تاريخ حضارات العالم

الحضارة الفرعونية - الآشوريون - البابليون
الفينيقيون - الفرس - اليونان - الرومان

ترجمة محمد كرود علي
تاريخ حضارات العالم

تأليف
المسيو شارل سنيبوس
أحد أساتذة كلية السوريون ف. باريس

تعريب
محمد مكرد علي

أبو علي الكردي
منتدى سور الأزيكية

الناشر
الدار العالمية للكتاب والنشر
تاريخ حضارات العالم
شارل سنيوبرس
الطبعة الأولى: 2012
رقم الإصدار: 3304 / 2012
الرقمي الدولي: 1-25-5178-977-978-978
الطباعة
دار طباعة للطباعة - الجيزة
الناشر
الدار العالمية للكتب والتشر
15 شارع الفاروق عمر بن الخطاب
الطالبية-فصر-الجيزة
تلفون: 03-37241803-فاكس 37241565
01007265885-01223595973
Email: alamyah@hotmail.com
جملة للمغرب

بسم الله وبه نتتقي

هذا هو الجزء الأول من تاريخ الحضارة لمؤلفه العلامة المسيو شارل سنيوبوس أحد أساتذة كلية السوربون، شرح فيه الحضارة التي أثرت على مکمل آمة من أمم منذ عرف التاريخ إلى يومنا هذا، ويتطرق الجزء 스لام موجز على الشعوب الشرقية القديمة كالصينيين والفينيقين والبابليين والأشوريين والفرس واليهود وسام مطول على مدينة اليونان والرومان تصفح المؤلف مئات من الكتب حتى كتاب كتابه في مدة مديدة وتوخي الإيجاز والسهولة في معظم مصنفه وبالغ في حسن تنسيقه وتجويد أسلوبه فرأيت أن أنقله من الفرنسي إلى العربية ليمم نفعه أسرها، وهي راية هذا الشرق؛ كما هي راية الغرب والله أسأل أن ينفع به ويمن بالتوقيع لتعريب الجزئين الآخرين من الكتاب، وهو من أهدافه.

القاهرة، ٢٤ شعبان سنة ۱٣۲۶ هـ.
البشر والشعوب

علم خصوصيات الشعوب يعمر الأرض ناس قلما يتشابهون يختلفون بالطول وهيئة الأعضاء والرأس وسيماء الوجه ولون العيون والشعر، ويتبادلون باللغات والأخلاق والإحساس، وبهذا التمايز ينقسم سكان المعمور إلى عدة أقوام تدعى أجناسا فالجنس مجموع ناس يتناسلون ويبايعون جنسا آخر، وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقا هو الذي يتآلف منه مجموع خواصه فيعرف الجنس الزنوجي مثلا بجلد أسود وشعره مجدعة وأسنان بيضاء وأنف أسود وشفاه خنس وفك ضخم ويدعى درس أحوال الأجناس، وما يتشعب عنها "إيتنو غرافيا", أي: علم خصوصيات الشعوب، وهو علم لم يرتفع بعد لحداثة وضعه وما برح مشوها منتشرًا لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التمييز بينهما أحيانا.

الأجناس أخص الأجناس الجنس الأبيض، وهو يسكن أوروبا وشمال إفريقيا وغربي آسيا والجنس الأصفر ينزل في آسيا الشرقية، ومنهم الصينيون والمغول والترك والمجر، ومن دخل أوروبا منهم من الفاتحين فينشروه صفراء وغيرته خرز مقطعة ووجباته ذاتية ولحيته خفيفة والجنس الأسود يقطن م automát وإفريقي، وهم الممتازون بأدبي أسود وأنف أسود ووفرة صلصة ولونه الأحمر يستوطن أمريكا، ومنهم هنود، تملك القارة حمر الأديم سبطة الشعر.

الشعوب المتحضرة يعد أهل الجنس الأبيض من المتحضرين إلا قليلا أما سائر الأجناس، فقد ظلوا على حالة الهجمية والبربرية، كما كان الناس قبل زمن التاريخ قامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقيا فقام المصريون في
وادي النيل والكلدان فيسهل الضرات وصلهم أهل فلسطين واحتر أثناهم الآثير وشفاههم مبرمحة، ولا يعلم على التحقيق من أين متنبعتهم. ولم تتفق أراء العلماء على تسميتهم فيدعوهم تارة كوكسيين وأخرى شاميين، وقد انتشرت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين. ق م عصابات من الرعاية أهل غارة وزمزماء فترة فانشروا بـ أطراف أوريا سكافة وغرب آسيا وقسمهم العلماء إلى قسمين آريين وساميين.

الأريون والساميون ليس بين هذين الجنسين من علامة خارجية جليّة فكلاهما من الجنس الأسبي أهلية وجسدهم مناسبة أضعافهم صافية جلودهم وثيابهم شعورهم نجل عيونهم رقيقة شفاههم منتصبة أرنبتهم وهم من الأصل رعاة من سكان الجبال يألفون الاحترام والقناص ساميين من أرمينية وأريون من وراء جبال حمايّة، وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالدينية قديما، وقد وقع الاتفاق على تسمية الشعب التي تتكلم لغة آرية بالمبريمن، وهو الهنود والفرس، آسيا والروم والطباطس والإسبان والجريمانيون والسلافيون والسلافونيون (الروس والبولنديون والعصراو) والسلت. (1) أوريا والساميون هم الشعب الذي تكلّم لغة سامية، وهم العرب واليهود والسوريون. وما ينبغي أن نعلم أن بعض الشعوب تتكلم آية آرية، أو سامية، وليس من الآريين والساميين شيء، حكما أن الزنجي قد يتكلم الإنكليزية، وليس فيه عرق من الإنكليز وربما عددها كثيرا من الأوربيين في مصاف الآريين، وليست أصولهم الواقع والأساس في جنس غلب عليه الآريون فاقتبس لفظتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب أيام غلبههم على أمرهم فهدان الأسمان الآري والسامي يطلقان اليوم على فريقين من الشعوب وليسا جنسين حقيقيين، ولا يقال بناء على هذا المعنى: إن الشعوب المرتبطة كانت سامية وآرية فنشأ من

(1) الانكليز والفرنسي من السلتيين والجرمانيين
الساسيين الفينيقين رجال البحر واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب فسار فريق من الآريين إلى الهند وانصرف آخر إلى أوروبا فنشأت منهم تلك الأمم التي كانت، ولا تزال لها مقدمة العالم، ولقد استورد الهندوس القديم بأرائهم العالية الفلسفية، أو الدينية والتزمن بإيجاد السنائع والعلم والفناء والرومانيون بتأسيسهم الشرقي والغرب مملكتين عظميتين من أضخم الممالك التي نشأت في الأيام الخالدة.
وبدأ تاريخ الحضارة بالآريين والكلدان، حتى إذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يشير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية.

التاريخ

الأساسير: نقلت أساطير الأولين عن روايات مسلسلة تمالك تحدث الناس بها قبل أن يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات فتحدث اليونان أن أقدم أبطالهم أبادوا الشيطان وقاتلوا الجبابرة وصافحوا الآلهة وزعم الرومان أن رومولس رأيته ذهبية ورفعها إلى السماء وقص جماجم الشعوب عن طفولتهم أساطير من هذه القبيل لائقة بها عند التحميص مهما قدم عنها.

التاريخ يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود أخبار صحية دونها أهل ثقة وعلو سماع، وليس هذا الدور واحدًا في الكلام على الأمم ككل فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق.م وتاريخ اليونان يكاد لا ي تعالى الثمانمائة سنة ق.م، وليس لأثانيا تاريخ يعرف إلا في القرن الأول للميلاد وعرف تاريخ روسيا منذ القرن العاشر، وليس لبعض القبائل المتوحشة إلى اليوم تاريخ ينشأهم.

تقاسم التاريخ الكبيرة: يبدأ تاريخ الحضارة بأقدم شعب متمدن وينتهي بأيامنا فمعنى القرون الماضية الدور العربي في القدم جدا ومعنى القرون الحديثة الدور الذي نحن فيه.
التاريخ القديم يبدأ التاريخ القديم بالأمم القديمة المعروفة من المصريين والكلدانيين، أي: من نحو ثلاثة آلاف سنة ق.م ويعتم شعوب الشرق من هنود وفروس وفينيقين ويهود ويونان وبغدانو وينتهي حوالي القرن الخامس ب.م بسقوط المملكة الرومانية.

التاريخ الحديث - يبدأ التاريخ الحديث بأواخر القرن الخامس عشر زمان اختراع الطباعة واكتشاف أمريكا وبلاد الهند ونهضة العلوم والصناعات ويلزم بذكر شعوب الغرب خاصة من إسبان وطليان وفرنسيس وسكس وروس ومريكان. القرون الوسطى هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون القديمة والحديثة، فلا هي قدمة لما اعتور الحضارة القديمة من الأضامحلا، ولا هي حديثة: لأن التمدن الحديث لم يتكون بعد وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط.

مصادر تاريخ الحضارة القديمة - ليس من الوجود اليوم أشوريون ولا يونان ولا رومان، فقد بادت الشعوب القديمة كفافة، وما خلفهم من العادات هي فهرست نستفتيه للبحث عن أديانهم وأخلاقهم وصنائعهم والعادات هي الكتب والرسوم والأثار واللغات وهذه عدتنا في دراسة الحضارة القديمة، وهي تدعي مصادر لأننا نستقي منها معلوماتنا والتاريخ القديم يتفرع من هذه الأصول.

الكتب - وضع القدماء الكتاب أيام عرفوا الكتابة، فكان لبعضهم مثل الدرس واليهود والهنود كتاب مقدسة وخلف الرومان واليونان توارих وقصائد وخطبا ومقالات فلسفية وقلمها نجد في الكتاب المواقت اللازمة لباحثتنا إذ ليس لدينا كتاب أشوري، ولا شمالي، ولا ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتائفه جدا، وقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت تأليفهم أندر، ولم يكن لهم من صنف إلا نسخ قليلة مما أن الحال كانت تقضي باستنساخها بكلها باليد، وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع، أو تعذر قراءة ما بقي منه وسمي علم حاليا "اليوغرافي"، أي: علم الخطوط والكتبات القديمة.

المعهاد - أقامت الشعوب القديمة لأنفسها معاهد مثلنا من مثل معابد...
لأريابها وقصورللوضعها وقبور لوتها وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر، ولقد تهدم كثير من هذه المعالم واستؤصل وتجزاً بيد العدو او بيد سكان البلاد ومنها ما لم تتو الغير على تقويض دعائه، وما فائت مائة للعيان متبادلية مثل القصور العتيقة لانقطاع الأيدي عن تعدها، وقد بقيت بقيّة يعلم منها ما كانت عليه سابقاً، وما زال بعض هذه المعالم فوق التراب كالأهرام شيد مصر ومعابد ثانية وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوليزه في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا، وأن السائح لعهدنا لينظر إلى هذه الآثار نظرته لأثر حديث، وقد رد أغلب هذه المعالم على التدريج بتراب، أو رمل، أو فتات أرضية وأنقاض فينغفي تخلصها من هذا السلف الكثيف، أو حفر أرضها وكثيرا ما تكون عميقة للغاية، ولم يعبر على القصور الأشورية إلا بخرق أعمام ونلال، وقد حفرت حفرة عمقها أثنا عشر مترا للوصول إلى قبور ملوك ميسينيا.

وبعد فإن عفاء هذه الخرابات لم يكن بصنع الدهر وحده فلبث البشر اليد الطويل في ذلك، ولم يكن القدماء ليجبون مثلنا في التقدير والقياس لإقامة البناء، وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل سيكونوا يرجمون الأنقاض ويبونون عليها، ولا ينزعونها، حتى إذا أشرف البناء الجديد على السقوط تتتيمه أنقاضه إلى أطلال أخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الأنقاض، وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الأطلال إذ كان تمت خمس مدن خربة سكنها وأعمقها على عمق خمسة عشر مترا، وما برجوا يمرون في رومية في الأحبابين على ثلاث بناءات منضضة بعضها فوق بعض، وقد تراكمت عليها الأطلال فعلا التراب في سفح التلال بضعة أمتار.

بقيت مدينة برمتها لم تمسها طوارق الحدثان وذل ذلك بحادث طبيعي جرى عام 79 للهجري وهو أن بركان فيزوف في إيطاليا قد سيلاً من الحمم ماينة أمطرت رماداً فانكشفت للحلاح مدينتان رومانيان كانتا مدهشتين، وهما
هيركولانون ووبومبيه كانت الأولى تحت الحرم السائلة والثانية تحت الرماد، وقد أحرقت الحرم المناع وغشّحا الرماد وحفظها من الهواء بقيت سالبة، وكانما أزيح الرماد تظهر مدينة بومبيه للأعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرنًا وأناكه لترى لا بلاتها بعد مجريات العجلات وآثار سير الكركيبات وصورا خطت بالفحم في الحيطان ونقرًا واثكاكا وماعونا وخزها ووجزا وذبتها في الدور والمساكن وهيأكل عظام من دهشتهم الكارثة مبهرة مبدهة، وهذه عرف القارئ أن الآثار والمعالم تفيدنا كثيرا في الوقوف على حالة الشعوب القديمة ويدعي علم الأزمة القديمة "ارشكيولوجيا".

الرسوم - تعني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم الرسوم زيرت على الحجر وحفر بعضها في الصفائح من القلب ووجد منها مدينة بومبيه ما زير على الجدران بالأصبغ، أو بالفحم، وأن بعض هذه الرسوم لتمثل تشكيلات وقائع، أو رجال؛ كما هو جار الآن عند الإفرنج فيما يقيمونه من تماثيلهم وينبغيهم هكذا نرى الإمبراطور أرغسطس دون حياته على معهد أنسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن صيفات زيرت على القبور ويمثل بعضها الإعلانات لعهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراب إذاعة بين القوم ويدعي علم الرسوم "إيبيرفيا".

اللغات - تفيد اللغات التي نطلاقها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم فإذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجزي له أحيانا أن أصل هذين اللسانين واحد ويسجل بأن الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبعة واحدة.

ويدعي علم اللغات "لينكستيحك".

النقاش - لا يذهب ذاهب إلى أن الكتب والمعالم والأطلال واللغات تكشف

للإحاطة بتاريخ القرون السالفة فإن فيها تفاصيل جمة يمكن الاستغناء عنها، وما ترغب نفس الباحثين في استبان حقائقته قد يعدها ويفر منها، وما برغ العلماء يحضرون ويحلون ويظفرون حقل يوم بإطلال ومعاهد لم تصرف من قبل.
وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلكك أبد الدهر.

مصر

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل، وهي مضطرب ضيق خصيب ممتدة على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها 240 فرسخا، ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا وهناك سهل واسع تختلله شعاب النيل وترعه فمصراً: كما قال هيرودوتس أبو التاريخ هبة من النيل.

النيل - يزخر النيل بصل سنة في الانقلاب الصيفي ببعض دلتا بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرفع ثمانية أمتار وأحيانا عشرة فتصبح البلاد مكالبييرة وترى القرى المشيدة على الأكمام عساكنا جزيرات، ثم تنخفض المياه في أيلول (سبتمبر) ويعود النهر في سكانون الأول (ديسمبر) إلى مجريها الأصلي، وقد ترك لن كم مكان طبقة من الطين خصبة، وهي الإبلز وتسمى الطمي هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع التربة الندية بدون حرص فالنيل إذا باتي مصر بالماء والتربة وإذا تحول عنها تعود مصر طحالب المحيطة بها قاعا صفضفا ورمالا مجدية ما أمطرتها السماء وابلا، ولا رذاذ، ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يوجد به نيلهم من الخيرات الحساسة، وهذا نشيدا مكانا ينشدونه تعظيمًا له "سلام عليه أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الأرض وتأتي بسلام فتحلي موات مصر أنت إذا أنجلت تملأ الأرض طريا والقلوب بشرا فينال كل مخلوق قوته و بكل سن ما تقسمه رحمان انت تأتي بالأركان الطيبة وتنتج كل خير وميز وتبنت للبهائم مرعاها.

غنى هذه البلاد - مصر على التحقق واحة في قفر إفريقيا تنبت ترنيتها البر والفول والعدس وأنواع البقل والنخيل فيها غابات وأجام، وتبنيت المروج التي برويها النيل بمائه ترعي قطعان الفناد والثيران والعنز والأوز وتكاد مساحتها
تُساوِيُمَّلَاهُوَلَدُ الْبَلْدَةُ الْبَلْدَيْكَ (١٠٠٠ كِمْ بُعْرَةٌ مَّرْيَعٌ) ومِصرَ الْيَوْمُ تَقُومُ بَأْوُدَّٰٰدٌ ١١ مِلْيُونٌ(١) مِنَ الْسَّكَانِ، وَهِي نَسْبَةٌ لَا تُعْتَهِدُ يَوْمًا عَلَى أَنَّ مِصرَ كَانَتْ أَهْلَهَا يَدَلَّهُمْ أَضَعَأَوْرًا أَيْمًا أَكْثَرُ مِنْهَا الْيَوْمُ.

روايات هِيْروْدِيْتُسٍ - ذُرَعُ الْيُوْنُوْنِ مِصرٌ أَحْسَنُ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ سَائِرُ السَّيْرَاءِ العَرْبِيَّةَ الشرقيَّةَ فَلِزَارُهَا هِيْروْدِيْتُسُ أَبُو الْتَارِيْخُ إِلَى الْقَرْنِ الْخَامِسِ قَ.م. وَوَسَّعُ رَيْسَ صُوْفُهُ فِي أَنْشَأَتِهِ وِلَاءَ السُّكَانِ وَأَزْيَاذِهِمْ وَذَكْرِ لَهُمْ وَذَكْرِ حَوادِثٍ مِنْ تَارِيْخِهِمْ وَحَكاياٍ لَقْنَاهَا مِنْ أَدْلَاهُ وَكَلِمَتْ دُيودُ وَسِلْفِ برَوْنِ إِلَى مِصرٍ أَيْضاً، بَيْدَ أَنَّ سُكَانَهَا أَنْذُكُوْرَهَا يُوْرُا ثَلْاثِيْهِمْ فَلْمْ يَدَرِسُ لَهُمْ أَنْ يَعْفَرُوا شَيْئًا عَنْ قَدْمَاءِ المَصْرِينِ.

شَامِبُوْلِيْوْنِ - دُعْتُ حَمْلَةِ الْفَرْنْسِيِّس إِلَى مِصرٍ (١٩٨٦ - ١٩٠٠) إِلَى فَتْحٍ أَبْوَابِ الْدِّيْارِ المَصْرِيَّةَ لِلْعَلْمَاءِ فَهُمْعُرَوفُ إِلَى يَزُورُونَ الأَهْرَامُ وَخَرَائِبٍ ثَيْبةٍ عَنْ أَمْمٍ وَيَعْدُونَ مِنْهَا، وَقَدْ حَفَلَ وَطَابُوهُ بِالصُّوْرِ وَالْآثَارِ، وَلَمْ يَلْحَدَ أَحَدُ أَن يَحْلِجَ الْحَقَّ المَصْرِيَّ السَّمِيْنَ بِالْهِيْروْغِليْفِي وَتوْهُمُ الْنَّاسِ أَنْ سُكَانَهَا مِنْ هَذِهِ الْكِتَابَةِ يُقَامُ مَكَّةً، حَتَّى إِذَا أَحَدُ أَهْلِهِ اٌخْضَفَ نَفْسَهُ شَامِبُوْلِيْوْنَ أَحْدَ عَلْمَاءِ الْفَرْنْسِيِّس وَعَمَّدَ إِلَى طِرِيقَةٍ أُخَرَ وَجَاءَ أَحَدُ الْضَّبَاطِرُ مِنْ رَشْدٍ بِأَثَّارِ ذِي خَطُوْترَ ثَلَاثَةٍ كَانَتِ النِّخْطُ الْهِيْروْغِليْفِيَةَ المَسْطُورَةَ بِهَا مُتَرِجَمَةُ إِلَى الْرُّومِيَّةُ وَهَذَا أَحَدُهَا يَمْثِلُ الْمَلِكُ بَطْليْمُوسٍ مَحَاطَةً بِبَدَايَةٍ فَتَوْلِصُ شَامِبُوْلِيْوْنَ بِهَا الْأَسْمَ إِلَى الْاَطْلَاعِ عَلَى وَلْدِهَا مُقَابِلَتَهَا بِأَسْمَاءِ مَلْوُكٍ أَخْرَ، وَكَانَتْ أَيْضاً مَحَاطَةً بِبَدَايَةٍ اِسْتِكْشَفُ حَروْفُ الْهُجَاءِ وَمَا تَيْسَرَتْ لِهَا قِرَاءَةُ النِّخْطُ الْهِيْروْغِليْفِيَةُ ظَهَّرَ لَهَا أَنَّهَا كَتَبَتْ بَلْغَةً تُشَبَّهُ القَبْطَيَةُ، وَهِيْ الْلِّغَةُ الَّتِيْ شَاذَتْ بِمِصرَ عَلَى عُهْدِ الرُّوْمَانِ وَعَفَرَتْ حَقَّ مِعْرَفَتِهَا.

عَلْمَاءُ الْآثَارُ المَصْرِيَّةُ - جَاءَ بَعْدَ شَامِبُوْلِيْوْنَ زَمْرَةً مِنْ العَلْمَاءِ تُوْفَرُوا عَلَى

(٢) يُهَاَلََ ذَاَلِهَاخْتِمَامٌ خَمْسَةِ مَلاَيْنِ نَسْمَةٌ وَنْصُ مِلْيُونٌ
دراسة أحوال مصر واكتشاف جليها وخفيفتها وتدعى هذه الفئة من العلماء إجتبولوك، أي: المشاغلون بالأثار المصرية ولهم رصافة في مقالات أوروبية كافية، وقد أجرى مارتن (1871 - 1881) من المشاغلون بالأثار المصرية على نفقة خديوي مصر ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطة إدارتها بالسيسي ماسبور.

الاكتشافات الحديثة - لا يعتبر بلد من بلدان الأرض على خبائي ثمينة صخباريا مصر ودفائنها؛ لأن المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور يضعون فيها ما يقتضي للميت من ضروب الأمتعة والأثاث والرياح والسلاح والطعام. وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والأعلاق وساعد إقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الأمتعة سالمة بعد مضي أربعة، أو خمسة آلاف سنة فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً كآثار قدماء المصريين، وما عرفنا شعباً معرفتنا له.

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري - قال إسحاقي مصري لهيرودنوس: أنت معاصر اليونان أطفال ضلام يفهم من هما أن المصريين كانوا يرون أنفسهم أقدم أمم العالم، فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية إلى عهد الفتح الفارسي سنة 520 ق.م. ترتقي أولها إلى أربعة آلاف سنة، وساحت مصر دولة داخل هذه الأعوام قرناً فجعلت منفيس إلى بلد الصعيد عاصمتها أولا إلى عهد السلالة العاشرة (هو دور الدولة القديمة)، ثم صارت مدينة ثيوبا في مصر العليا (هو دور الدولة الحديثة).

منفيس والأهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة إلى باقى الأيام زهاء خمسة آلاف سنة، ثم أخذ السكان أحجار أنقاضها إلى القرن الثالث عشر وبنوا بها مساحات القاهرة، وما تركوها منها أتى عليه النيل وسند دونه حجاباً أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد

_____________________
13
تعدها أيضا إلى الدور القديم، وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعند
أعظمها 147 مترًا معبدة بناءً بئرة عالة عامل مدة ثلاثين سنة. وقد أقيمت سدود
منحدرة قليلاً لرفع الأحجار إلى شاهق، ثم خربت.
التمدن المصري - يدل ما يستخرج من قبور تلك الأعمر من هياكل وصور
وأدوات على أن هناك شعباً متمدنا، فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف
وخمسمائة للميلاد حراثة الأرض ونسج الثياب وتطبيق المعادن والنقوش والرسم
والخط، وكانت لهم ديانة منظمة وملك وإدارة على حين كانت الأمم النبية.
وهم الهندوس والفارس واليهود واليونان والرومان - حالة من الهمجية مأثورة
مدكورة.
ثبيتا - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة
الحادية عشرة. ولم تزل خرائطها المدهشة في لوح الوجود، وهي ممتعة على ضفتي
النيل ومحيطها نحو أثني عشر كيلو مترا، وعلى الشاطئ الشمالي صف من
القصور، وهي أقصر والكرنك، تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كثلاهما
وسط الخراب ويجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول، ومكان هناك
قديما أكثر من ألف ABI الهول وأعظم هذه المعابد الخشبية معبد عمون -الكرنك، أحيط به سور محيطه 1300 متر، وأن طول أشعر قطر (إيبوستيل)
وأعظمه في العالم مئة متران وعمقه 50 مترا، وهو حجم عمود فاندومن، وكانت
ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة
سنة.
فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس وماله على
الأرض ويزعمون أنه كان هو ريا، وقد شهدت صورة الملك رمسيس الثاني
جاسا بين ملكين وفليف، يتعبد إنسانًا ويعبد ملكًا ولفرعون سلطة مطلقة على
البشر لرميبيته فيحكم حكم الموه على سادات مصر، وعلى المقاتلة ورعاية كفالة
والكهنة 7 عباداتهم يا يلفرون من حوله وبحرسونه فيكون رئيسهم الكاهن
الأعظم للعب عمون المستأثر بالحول والطول دونه، وقد يحكم باسم الملك
ويخليه في الأحاليين.

الرعايا: يملحق مصر من أعلاها إلى أسفلها الملك وكهنة والجنود والموالي،
وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حراث الأرض وعمال الملك يلاحظونهم
ويقبضون ثمار عملهم بضرب العصى أحيانا وليحك ما كتبته أحد هؤلاء
 الموظفين إلى صديقه له ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرث الأرض فإن جابي
الأموال يقف على الرصيف المد لجبابة عشر الغلات وثة من العمال بعينهم
يتبوعه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد البدار
البدر إلى تسليم الحبوب وإذا لم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات يلقونه على
الأرض ويشدون وثاقته ويرونوه في المرة رأسه إلى تحت وقدهما إلى فوق.

كيفية حكم مصر: سكان الشعب المصري أبدا، ولم يزل بعد فرحنا لا يهم
خاضعا خائنا أشبه بالطفل المستسلم إلى ظالمه، وكانت العصا في هذه البلاد أداة
التربيه والحكومة، حتى سكان أعوان الملك يقولون (خلق ظهر الفتى لضرب فهو
لا يمتثل الأمر إلا إذا ضرب) ذكر أحد سياح الفرنسيس أنه سكان واقفا ذات يوم
 أمام خرائب ثيبة فيها قلائل لم يبت شعري كيف بنوا بكل هذا فاستضحك دلبه
وقال ماسكا بيده مشيرا إلى نخلة: "هذه بنوا هذا أجمع" اعلم يا مولاي أنه إذا
كسرت منه ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكتشافهم عريانا أبدا
تبنى قصور كثيرة ومعابد.

اعتزال المصريين: قلما خرج المصريون من بلادهم لما أنهم حارموا ركوب
البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحية، وما اتجروا والشعوب الأخرى، ولم تعرف لهم
بحرية إلا على عهد الدولة السادسة والعشرين، وما كانوا أمة حربية قط، ولقد
قاد ملوكوهم الجنرال زوج حروبه واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا البعوث إلى زنوج
الحبش تارة وإلى القبائل السورية أخرى فإذا غلبا صوروا صورة النصرة على
جدران قصورهم وتمت قطعوا راجعين من غزاتهم يأتون بالأساري فيستخدمونهم
في بناء المعاهد على أنهم ما أحرزوا قط نصرا مؤزرا، ولا فتحوا فتحا مبينا فدهم.

الأيام مصر أكثر مما حمل المصريون على الأفيار.

ديانة المصريين

يقول هيرودوتس: إن المصريين من أشد البشر تدينًا، ولا يعرف شعب بلغ في التقوى درجتهم فيها فإن صورهم بجمالتها تمثل ناسا يصلون أمام رب وكتبهم على الجملة أسفار عبادة ونسحرة.

الأرياب المصرية- رب الشمس راس الأرياب (الآلهة) عندهم، وهو الخالق المحسم العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريفان مثله في الروبية، وكان المصريون يعبون بهذا التثليث الذي تختلف أسماؤه، وإن اتحدت مسمياته، فكان أهل لكل إقليم يسمي كلًا من هذه الأسماء الثلاثة باسم يختلف عن الآخر ففي منضيض سمي الأب فتحا والأم سيخت ولابن إيموس، ويب أبديدوس سموها أوزيريس إيزيس وهوروس، ويب ثيبة عمون وموت وشولس، ثم اختار أهل كل إقليم أرباب الأقاليم الأخرى، وقد يشتقون من كل رب تثليث أرياب أخرى وهكذا تعدد الأرياب وتشوش الدين.

أوزيريس- لهذه الأرياب التاريخ، وهو تاريخ الشمس، فكان هذا الكوكب يتراءى للمصريين: كما يتراءى لغالب الشعوب الأصلية إنه أقدم المخلوقات وعبادار أخرى أنه من الأرياب فأوزيريس، أيا: الشمس قتلها سبت رب الليل وآيزيس القمر امراته تبكية وتنفذه وهوروس ابنه الشمس الساطعة يأخذ ثأره قاتلا قاتلا.

عمون را- هو رب ثيبة عندهم صور مجدزًا السماء شكل يوم في قارب وأرواح الموتى تقدف به بمجاودية طويلة فالر يقف في المقدم مستعدا لضرب العدو برمحة وهكاك النشيد الذي يكأن يغني به تعظيمها لا الحضام عليه، أن تهب محسنًا أنت تهب صادقا يا مولى الأفقيين أنت تطوف السماء من عل وأعداؤك.
هالكون السماء ٢ الأنس والأرض ٢ فرح والأرباب والناس ٢ عيد وحكلها اجتمعت
لتمجد "رأ" يشاهدونه ٢ قاربه، وقد حكسر الندى يا را هب فروعون حياة طيبة
وامتحنها ما يقوته من خبن وما يرويه من ماء وطيب شعره وعطر أرذانه".
أرباب رأسها رأس حيوان - مثل المصريون أريابهم ٢ صورة آدمية تارة، وعلى
مثال البيهيمة أخرى ونكل ربي حيائته فيتجسد فتحا ٢ الجمل وهرودوس ٢ عاشق
وزوسياس ٢ النور وتختلط الصورتان طرا ٢ إنسان رأسه رأس حيوان، أو ٢ حيوان
رأسه رأس إنسان وللرب عندهم أن يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلا
باملاقاً، أو إنساناً برأس باشق، أو باشق برأس إنسن.
حيوانات مقدسة - لا يعلم لماذا حكنا يعنى المصريون بهذه الإشارة من اتخاذ
الحيوانات التي تشبه الأرياب مقدسة مبارككة مثل الثور والجمل وجوديس (طائر
طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح في.intersection على إطعامهم وحمايتهم.
فقد قتل أحد الرومانيين ٢ القرن الأول قبل الميلاد قطا ٢ الإسكندرية فشار
الشعب وقبض عليه فذهب برم إزادة الملقع وشفاعته فيه فعله ذلك على حين
يرحب المصريون بأس الرومانيين كثيراً، وحكنا للمصريين ربي يعبدونه ٢ ملك
معبد، وقد قس صرابون صحفية زيارته تمساحا مقدسا ٢ ثيبة فقال: حكنا هذا
الحيوان رابضاً على شط غدير فاقترب منه الكهنة وتقدم أثناهم منهم ففتحا فمه
وجاء ثلاث وحشة حلويات وسمكا مشوي وشراباً من عسل مصنى.
الثور ابييس - أجل هذه الحيوانات المريبة، أو المؤهلة الثور ابييس فإنه حكنا
يمثل أوبروس وفتح مما ويعيش في منفيس ٢ مصلى له يخدمه الكهنة فيه،
حتى إذا ذهب هذا الثور يكون حاله حال أوبروس (رب الشمس) فيحنط وتحمل
مومياه ٢ ناوس، أما قبر أوسار هابي فهو من المعاعد الهائلة، وقد فتح ماريت
الفرنساوي مقبرة السرابيوم عام ١٨٥١.
عبادة الموتى - عبد المصريون أيضًا أرواح الموتى ويظهر أنهم حكنا يعتقدون
أولا أن لكل إنسان قرينا (حكا) فإذا مات يخلفه قرينه ٢ حياته، وهو اعتقاد
اعتمده كثيّر من الشعوب المتوحشة، وكان القبر المصري يدعى قديماً "بيت القرن". وهو عبارة عن مكان منخفض منظم مكشوف يزين من أجل القرنين بمضروب الأشار من حكراسي ومناضد وسرير وصناديق وأصندة وأغصنة وأغشية وأقمشة وأذواق زينة وأسلحة ويجعله تارة مرجعة حربية، وما شاء للذنح من تمام وصول وكتابل وطعامه من بره وكما حلا بالعين وحلى بالفم ويدعون فيه طوراً قرينياً، وهو مثال من خشب أو حجر صنعت عليه صورة وصورة، ثم يسور من داخل النافوس فيبقى فيه القرنين ومنى الأحياء بأمره فيجلبون له طعاماً، أو يتوسلون إلى أحد الأرباب أن يرعش طعاماً على نحو ما تراه ۱۰۰۰ هذا الرسم الميزور على الحجر (قرنيناً لأوزوريس يعطي زادا من حذاء وشراب وثيران وأوزورين وخمر وجعة وبلاس وعطور وصلما طاب وصفا إلى المتوفي فلان) حشر الأرواح أنشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون أن الروح تنفصل عن الجسد وتلحق بأوزوريس تحت الأرض، حيث تغيب الشمس بكل يوم فيما يظهر هناك يتصدر أوزوريس في محاكمته، وقد تحاول به أربعة وعشرون محكماً فيؤتي بالروح أممامهم فتحاسب عما قدموه بين يدي نجواها في الحياة فتوزع أعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القلب فيهفته الميت قائلاً: "يا قلب إن يربطك عن أمي منذ درجت على الأرض فلا تقم على شاهدتنا تتجيى على أمام الرب المتعال فالنفس الشريرة تهدد قروناً، ثم تلهك والنفس الطيبة تطير أحقاباً وبعد محن كثيرة تتضم إلى زمرة الأرباب وتتنى فيهم.

الموميات - تستطيع الروح لحظة خلال هذه الزىارة الدخول في الجسد لتنصير ولهذا أتى أن يظل الجسد سليماً، ومن أجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجسد فيهماً جثته عنباراً ويفطرونها لمستحصال من النظرين ويعتصمن بها بعض العادات لتمصير مومياء هكذا توضع المومية لحبت من خشب أو جيسب وتوضع في القبر مصحوبة بما يقتضي لها من ضروريات الحياة.

كتاب الأموات - كان يوجد بجناح المومياء كتاب صغير اسمه كتاب
الموتى يذكرون فيه ما ينبغي للنفس أن تقوله في العالم الثاني دفاعًا عن نفسها أمام محكمة أوريس، وهو "ما ارتكبت خيانة، وما عذبت أيها، وما ارتكبت محرمًا، ولا ألغت البطالة، ولا وضعت بالعبد إلى مولاه، ولا حبست الخبز عن المعبد، ولا سرقت عصييات الموتى، ولا طعامهم، ولا طففت مكابيل الحبوب، ولا صدت الحيوانات المقدسة، ولا قبضت الأسماء المقدسة أطعمة الجروان وأسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا للأرياح وصنعت الوضائم للموتى أه". وهنا تستبان حكمة المصريين، وهي الاحتفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ما له علاقة بالأرياح، لأن يكون الصرخ مخلصا محترفاً.

الصناعة: المصريون أول من مارس الصناعة التي تمس حاجة الشعب المتحضر إليها فكانت الصور في القبر من عهد السلالة الأولى، أي: من نحو ثلاثمائة ألف سنة قبل الميلاد تمثل ناسا يحرثون ويزرعون ويحضدون ويدرون الحبوب وقطعانًا من ثيران وخرافا وأوز وخفازير وأعيان حسنة ثيابهم واحتفالات وأعيادًا يحتفل فيها بضرب العيدان، أي: كما كانت حياة هذه الأمة بعد ثلاثمائة ألف سنة حتى القزمة بالقزمة، وقد عرف المصريون لذاك العهد صنع الذهب والفضة والقلز والأسلحة والحلي والزجاج والخزف والمينا ونسج الثياب من صوف وعكستوان ونسبة شفافة، أو موشة بالذهب.

عقود الأبنية: قناع المصريون أقدر البنائن القدماء في العالم، أقاموا المعاهد العظميمة، حتى صارت مكانها خالدة بحيث لا يتو مزمنًا معدها على تقويضها وتبديها، ولم يتبنا مثلنا بيوتا لسكن الأحياء بل مكان مبانيهم خاصة بالأرياح والموتى فينبون لهذا الغرض المعابد والمقابر، ولم يبق في مساحتهن إلا رسوم محيلة أما قصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بنسبة للقبور ذلماً، لأن المسكن بنى ليأتي إليه الإنسان في حياته والمقبر يبقى خالداً على
الدير.

القبور - أصل الهرم الكبير قبر مدومي والقبور القديمة هي من هذا النوع، وتاريخ مصر السفلى إلى اليوم أهرامات مصنوعة من الصخور أو من البحت في هناك. تختلف قبر الكبير والصغر، ثم صارت تقام القبور تحت الأرض، يعمر بعضها تحت التراب، وينحت الآخر من حجر الصوان "الكرانيت" على الجبال ولكنه جبل قبور جديدة، وكانت مدينة الموتى، أي: مدافنهم على مقربة من مساكن الأحياء، ولكنها أزهى وأروع.

المعابد يتطلب الأرباب تكوين مساكن طبية خالدة وتتألف معابدهم من هيكل جميل، وهو ما تأتي إليه تكتنف القصور والمداخن وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم، وقد صنع مجموع هذه الأبنية المسرة في عصور كبيرة فاستولك من جماع السلاسل المصرية في تشييد معبد عمون في سبعة من السلاسل الحادية عشرة إلى السلاسل الأخيرة، ومن العادة أن يفتح أول المعابد باب عظيم محني الجوائب وتمام على طرفه مسلتان مبنيتان بشغاف الصخر مذهبة الأطراف، أو تمشالان من الحجر على مثال جبارة، وقد يوصل إلى المعابد من طريق طويل نصب على جوانبه تماثيل أبي الهول مصنوعات من الحجر على صفين هذه الأهرام والنجحيات والتماثيل وأبو الهول والمسلاط تنبئ بما بلغه المصريون من العناية بعقود الأبنية وصلها ثخينة قصيرة عميقة، حيث تبدو هذه المعابد ضخمة لا يبلها الدهر، ولا تفقها الغير.

صناعة النحت - حاكم النحاتون من المصريين الطبيعية بنقوشهم، وأن الناظر ليدنى من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة، ولا شك أنها كانت صور الموتى، ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاني المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، وعلى عهد السلالة الحادية عشرة تقيد النحات بقاعدة مقررة دينية فلم يعد يمكن تمثيل الجسم الإنساني على حسب ما يظهر له وأخذت التماثيل منذ ذلك العهد تتشامض، وغدت السوق متازنة والأرجل ملتفة.
ونال الأذن مشتبتكة على الصدر والهيئة غير متحركة لكنها مهيبة وأبدا ذات جلال
ومتعة في النوال، فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزا
متفقا عليه.

الرسم - استعمل المصريون أصباغا لا تنسحب بقيت باهية زاهرة بعد مضي
خمسة آلاف سنة عليها على أنهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا، ولا خبرة
لهكم بتنويع الألوان ولا رسم الظل والأشباح البعيدة، ومكان للرسم؛ كما
للنفش قواعد دينية مطردة فإذا عرض على صانع أن يرسم خمسين شخصا
يصورهم على هندام واحد ونظام واحد.

الآداب - للمصريين أدب مختص بهم، فقد عثر في النوايس على مكتبة طب
وسحر وزهد؛ كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات.

مصیر التمدن المصري - احتفظ المصريون بأربابهم ودينهم وصنايعهم إلى ما
بعد سقوط مملكتهم فخضعا للفرس، ثم للهيبن، ثم للرومان، ولم يطرحوا
شيئا من عاداتهم القديمة، ولا نسوا خطهم ومومياهم وحيواناتهم، ثم دثر
التمدن المصري ببطء بين القرن الثالث والثاني م.

الأشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها - ينبع من قمم جبال أرمينيا المغطاة بالثلوج نهران سريع
جريهما بعيد غورهما، وهم الرافدين دجلة والفرات الأول من الشرق والثاني من
الغرب يلتقيان أولا، ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيتقمق دجلة 2 جريته
وبنطف الفرات في صحاري الرمال، ثم يجمعون النهران قبل أن يصلوا إلى البحر.
فبالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان سبسب من صلصال تمطره
السماء قليلا، وتشتهر فيه الحرارة والجليظ، بيد أن الأنهار تسقي بجدولها هذه
الأرض الصلصالية فتصيرها من أخصب بقاع الأرض وأنبت قيمانها، وان حبة القمح والشعير لتأتي مثتين، وبي أعوان الرخاء ثنائمة والنخيل ينظف البلاد غابات غيابا يستخرج منه الخمر والعسل والطحين.

الأمة الكلدانية- باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكتها شعوب متعددة، وقد هاجر إليها عدد من الأجناس من أصقاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجا في هذه السهول الفضية الأرجاء جاءها من الشمال الشرقي ناس من النورانيين أهل اللون الأصغر، وهم يشبهون الصينيين وأتاه من الشرق طائفة من الكوفيين ولدونهم أسرم قامهم، وهم أنساباء المصريين ونزل إليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية، وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج.

مدنها- زعمечен الكلدان أن ملوصولهم تبسطوا في مناحي السلطة منذ مائة وخمسين ألف عام، وهو زعم خرافي يعدرون عليه؛ لأن الحامل لهم عليه توج مملكة الكلدانين فقند هذه الأرض تتخللها هضاب وأكاكيم سكونها كومة أنقاس من بقايا بلد فعنثه طوارق اللهد، وقد فتح كثير منها وأخرجت منه عدة دفائن مثل "أر" و"لارسام" و"بالايلو" وظفر الباحثون بعدة آثار، وما برح أمر هذه الشعوب مستورا عن الأنظار مجهولة حقيقتهم على أرباب الأفكار على أنه من المأمول أن يظهروا بكتابات جديدة في الأمام الكثيرة التي لم تتناوله الأيدي بالحفر واستخرج الدفائن وبعد، فقد دعت هذه الأمم نفسها بالسومريين والأكراديين وانقرض ملكهم حوالي سنة 3300 قبل المسيح، وربما كانت إذ ذاك إبان قدمها فيرد عهدها إذا إلى ثلاثين قرنا قبل الميلاد على الأقل.

الآشوريون

آشور- هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطئ دجلة، وهي مخصصة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها وأحادير تخترقها هضاب وتتدخلها صخور
تتلوج فيها السماء ٤ الشتاء لقربها من الجبال، وتلهب عليها الأعاصير ٤ الصيف.

أصولهم - ذكر بحر العمران ٤ بلاد الكلدان، فكان فيها أمصار عاش فيها الأشوريون خاملين ٤ جبالهم، وقد أغار ملوحتهم بجيوشهم الجرارة ٤ القرن الثالث عشر على السباب والفاداف، فأسسوا مملكة ضخمة عاصمتها نينوى.

أساطير قديمة - لم ندرك نعرف عن الأشوريين منذ أربعين سنة إلا قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية، وقيل: إن نينوى بني مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستنفقت امرأته سيراميس بلاد مصر، وكانت من الأرباب فاستحالت بعد حمامة فخلفها ملوك خاملون مدة سنة حوصل آخرهم في عاصمتهم اسمها ساردانابال فحرق نفسه ونساءه إلى ما شاكل ذلك من الأقصايس التي قل فيها الصدق وأعوزت كلمة الحق.

نينوى - هذا ما عرف عن مملكة أشور القديمة إلى أن اكتشف المسبو بوثا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ أطلال قصر عظيم بالقرب من قرية خراساباد الحقيقية، وقد غشيتها رمال صبرها رابية وهذه هي المرة الأولى التي شهدتها فيها الصناعة الأشورية بمظهرها وجدت الثيران المجنة بالأحجار سالمة مائعة على باب القصر، وقد جيء بها إلى باريز فجعلت في متحف اللوفر، ولقد استلتفت بوثا بحفرياته أنظار أوربا فأكتشفت بعضات دكترية وخصائص الإنكلوز توفر بالأس وليارد على الحفريات أخرى اكتشفت قصور غير هذه سلمت هذه الخflashdata لجافات الهواء ٤ تلوك الأرجاء ودما غشيما من طبقات التراب، ثم إنه عثر على جدران مغشاة بنقوشا بارزة وصور وتماثيل وكتابات دكترية فتمدني درس حال تلك العمارات ٤ أماكنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش وأول ما اكتشف قصر خراساباد، وهو الذي بنى الملك سرغون مكان نينوى عاصمة ملووك أشور، وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو أبراج مرفع الأضلاع درع ٤ خولة نحو ٤٣ كيلو متراً، وقد بنى خارج الجدران بالقرم وداخله تراب مهيل أما دور المدينة فقد دهقت ولم يبق منها آخر ضئيل ولا رسم محيل، بيد أنه ظهرت عدة
قصور شادها غير واحد من ملوك أشور، وقد ظلت تينوى عاصمة الملوك إلى أن
أوغل الماديون والكلدانيون إلى أحياء مملكة أشور ومزقوها شحر مدر.

كتابات الفارسية- يتألف كل حرف في الكتابات الآشورية من مجموعة
علامات على شكل سهم، أو زاوية ولذلك، يخي الراضي هذا الخط بالخط السماري،
وكان يستعملونه خنجرًا مثل النصل في آخره، حد مثل الأضلاع لرسم هذه
العلامات يبنونه في صفحات من الخرز الرطب، ثم يدخلونه النحور فيصير صلدا
لا ينحني أثرب، وقد كشفت في قصر أشورنيال مكتبة تامة من الصفائح قام
فيها القرم مقام الورق.

الخط السماري- غالي جملة من الرجال في حل هذا الخط أعوام كثيرة
فتعذر عليهم قراءته إذ كان لأول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات
متباينة، وهي الآشورية والسوسية والمارسية والكلدانية والأرمينية، دع
الفارسية القديمة، وكان تستعمل اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها
الآن مشوهة بكل التشوشوش لأسباب عديدة أهمها ترسبتها من خطوط زمنية
ينوب كل منها منها مصطلح مثل "شمس" "رب" "سمك"، ومن خطوط ذات
مقاطع، لأن هذه اللغة مائتي خط ذي مقاطع يتشاكل بعضها مع بعض
ويسهل القياسها وإشكالها، لأن الخط الواحد كثيرة ما ينوب عن كلمة وعن
مقاطع، لأن الخط الواحد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خط واحد أواحد
يقرأ "أيلو" تارة "أيان" طورا، وهو أصعب هذه الصور وأشكلها.

مكان هذا الخط عسرا، حتى على من يكتبونه، ونصب ما لدينا من الآثار
المصرية هو كتاب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف
آخر، فتأتي الرجوع إليها في حل المشكلات على ما سكان عليه شأن المتعلمين في
ملكة أشور منذ 2000 سنة، وقد أفلح العلماء في حل الكتابات الآشورية، سمحا
أفلحوا في حل الكتابات المصرية فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث
آشورية ومادية وفارسية ونفعت الفارسية حل غيرها.
الشعب الأشورى- فطر الأشوريون على حب الصيد والحرب، وأن نقوشهم لتمثيلهم مجددين بالأقواس والرماح راكبين صهور الخيول بحيث سأغ أن يوصفوا بأنهم كمامة مجال وأبطال يحسنون البر والطر، وإن استوى نجاتهم رواحهم إلى مناوة ومغامه في حرب زيون، ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطنا آسيا ستة قرون وخرجوا من جبالهم يغروهم على جيرانهم ولطالما آويا من غزواتهم، وقد أسروا شعوبا بأجمعها والظاهر أنهم يناسبون غيرهم القتال لحض حب السفحه والتدمير والنهب، فإنهم أشد خلق الله بأسا وأفسههم قلويا.

الملك- رأى الأشوريون ملكهم الخلافة عن الله في الأرض جريا على العامة الأسيوية فأطاعوه طاعة عمياء، وبدلوا في حبه مهجهم، فكان الملك عنهم سيدا مطلقا في حكمه رعاياه مما اختلفت طبقاتهم يدعوهم إلى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوبا آسيا، حتى إذا قفل منصورا يصور مأثره على جدران قصره ذاكرا انتصاراته، وما ناهه من الغنائم وحراقه من المدن وذبحه من الأسرى وسلبه من أحيائهم.

الحملات- إليك بعض فترات من نشرات الحروب قال اسيرة زيرهابال عام 882: إنني عمروت جدارا أمام أبواب المدينة العظيمة وسلخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم، وقد دفنا بعضهم أحياء في أساس البناء وصلب فريق آخر وجعلوا على أوتاد الحائط وسلخت جلود شكريين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضمت جثثهم إلى أشكال الأكاليل.

وكتب توصلا بالقرر عام 745 ما نصه حبست الملك في عاصمتة ورهطت كوكما من الجند أمام أبواب هدمت مدنها حقلها ودمرتها وأحرقتها، وأقفرت البلاد وصبرتها أحكاما وقعا صفصفا ينعى فيها يوم الخراب، وقال سنحاريب في القرن السابع: انطلقت كعالمة المدمرة فسبعت السروح والأسلحة في دماء الأعداء مكانها في نهر والتراب مبل وجمعت جثث جندهم فكما تجمع الغنائم ويرت
أطرافهم وقضضت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما نقصف البينة وقطعتهم أيديهم عقبا لهم بما جنت أيديهم». هذا وقد صورت في إحدى النقوش التي تمت هذه كلمة سوس، وهي ترد إلى عهد أسوريين ييال ووشونت فيها رؤوس المغلوبين ببعضهم الآشوريون، وقد صلمت ذاك بعضهم وسملت أعين آخرين ونتفته لاحعم ونهاك رجل يسلج جلده، وهو حي مما دل على أن أولئك الملكون كانوا يرتحلون إلى ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب.

خربة المملكة الآشورية- بدأت هذه الطريق إلى الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستيلاء على بابل وذلله نحو 770 وظل الآشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات، حتى أخضعوا- وإن شئت فعل: خربوا- بلاد بابل وسوريا وفلسطين ومصر، وكان المغلوبيون يثورون في غضون تلته العد البلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم، ولم سيعبوه قوى الآشوريين واتحد اليابانيون والماديون فقتلو على بشر مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة 125، وهي المدينة التي سماها أببابي بني إسرائيل "عين الأسد" ومدينة الدم والغنية في تسير الاستيلاء عليها وخراب، فلم تسهل لها قائمة بعد، قال النبي ناحوم: (خربت نينوى فمن يشفق عليها يا تري).

البابليون.

المملكة الكلدانية- قامت مملكة آشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين، أو المملكة الكلدانية الثانية، وقد تكلم أحد أنبياء إسرائيل على لسان الرب فقال: "انا أحبي الكلدان تلك الأيام الطالمة وسرعان ما تطوف الأرض للاستيلاء على مساكن غيرها، وأن خيولها لأخف سيرا من النمر وفروضها لينتشرون في الأطراف ويطيرون كالنسر بنتج على قيصرته" وبالجملة، فقد ألف الكلدان في القرون والحبب والفتح، وهم يمثلون الآشوريين بكل الممثلة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسوريا.
وكانت مدة حكمهم قصيرة، فقد أنشئت المملكة البابلية سنة 175 وأبادها الفرس سنة 37 ق.م.

بابل – مكان يختصر (404 - 531) من أقدم مロックها، وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود أسرى وأسس بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور أقيمت هذه المعاهد بالآجر لقمة الحجر مصهر الفرات، وناثب عليها الدثور والعوالم لم يبق منها إلا اصكواب من التراب والأنقاض، وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض مكتبات فرعت هيئة المدينة، بيد أن هيرودس اليوناني وصف بابل وصفًا مذهباً، وكان زارها في القرن الخامس ق.م. إذا هي محاطة بسور مريع يشتهه الفرات، وكانت المدينة تشغل حيزًا من الأرض مساحتها 1513 ميلولومترا مربعاً (أي سبعة أضعاف مدينة باريس)، ولم تكن كل هذه البقعة النسيجة الأرجاء غامرة بالدور والمساكن بل مكان يتخليلها حقول مزروعة تقوم بأود السكان أونا الحصار ؛فكانت بابل من ثم أشبه بمعسكر حسين منها بمدينة، ويز جدتها أبراج ولها مئة باب من النحاس الأصغر، وكان سمكة صالحا ملروح مربكبة عليها، ويز حيال السور خندق عريض عميق مليء ماء وسطها حافته بالقرمدة، وكانت دورها ذات ثلاث طبقات، أو أربع والشوارع وسطها زوايا قائمة، وما أعجب بناء جسر الفرات وأرصفته والقصر الحصين والجناح العلقة إحدى عجائب الدنيا السبع وهذه الجناح سطوح مغروسة بالأشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الأولى بعد الثانية.

برج بابل – بني بختنصر، تصرف المدينة برجم بابل، وقال إن إحدى مكتباته:

"لقد جددت أعمدة بوريسيا (من ضواحي بابل) ليعجب الناس منها، وهو معبد السيارات السبع في الدنيا فأعاد تأسيسها إلى النحو الذي كان عليه في الأزمان السالفة"، وهذا المعبى على شكل مربع مرفوع من سبعة أبراج بعضها على بعض وخص بالبريج بأحد السيارات السبع وصور باللون الذي اختاره الدين لتلتوج السيارة، وهذه الألوان إذا بدأت بها من الأسفل فهي زحل (سواد) والزهرة (بيض)
والمشترى (أرجوان) وعطارد (أزرق) والمريخ (قمرزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبية)، وكان هما أعلى الأبراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن إليه سكاهنة.

أخلاقيهم ودياناتهم

أخلاقيهم - لا يعرف هذا الشعوب إلا بمعاهدها ومعاهدها تكاد لا تعدد أعمال ملوكها فلا ترى الأشوريين أبدا إلا، وهم مصرون في حرب، أو في صيد، أو في احتفالات، وما صور نساؤهم قبل إذ كان جلس بيوتهم لا يخرج للناس، وعلى العكس في الكلدان، فإنهم كانوا أهل حراثة وتجارة ولكنها لا يعرف شيئا عن حياتهم يقول هيرودتес أن هذه الأمة كانت تجمع البدنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزواجهم فيبيعون الجميلات منهم ويؤخذ ثمنهن ليعطي جهازا إلى مشوهات الخلقية، قال: وعندى أن هذا القانون من أحكم ما وضع من القوانين والشرائع.

دياناتهم - دين هاتين الأمتين واحد فالأشوريون يمتهبون بمذهب الكلدان، وقد اتبعت علينا هذا الدين؛ لأنه نشأ صحف الدين الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوهة كلها، فكان التوراتيون يعتنقون على نحو ما تتوهمه قبائل سبئيصر الصفر أن العالم غاص بالشياطين (ممثل الطاعون والحمى والأشباح والعفاريت) دابها تريص البشر والبشر الأخذ بمختنقهم ولذلك تراهم لا يلجنون إلى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم، وكان الكوشيون يعبدون ربيين ذوي أقنومين الذكر، وكان القوة بزعمهم والأئثى، وهي المادة، وكان الكهنوت الكلدان، ويمم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساعتهم أن يعنوا بتوحيد الدين.

الأرباب - الخرب المعال هو أيلو بابل وأشور وتيمور ولم يقسمون له معبدا، ومنه يشتق ثلاثة أرباب، وهم أشو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنب نسر.
معصب رأسه برأس سماكة ويعل ملحة الأرواح مصور كلامليك على عرشه ونواح،
 وهو العالم المنظور هيئة جبار ذي أربعة أجنحة منتشرة ولكل من هذه
الأرياب ربة انش إشارة إلى كهف الصوار والذراري، ثم ترد من أسفل صور القمر
والشمس والسيارات الخمس والكواكب، ويُهاو بلاد البلدان الشفاف بضيء
سناها إضاءة ثم تتعدها فنتيئلاً كالأرياب، وقد أقام الكلدانيون معابدهم باسم
هذه الأرياب، وما هي فيما الحقيقة إلا مراصد يمكن منها المتعبد من مراقبة سير
الأفلاك.

علم التنجيم- ذهب الكهنة إلى أن هذه الكواكب أرياب عظيمة تعمل عملها
في حياة الإنسان فكل امرئ يولد في الدنيا يطلق كواكب من الكواكب فيتأتي
انتبؤ بساعته إذا علم الكوكب الذي ولد في طالعه، ومن هنا نشأ علم التنجيم
والطالما فما يحدث في السماء علامة على ما سيحدث على الأرض فإن النجمة المذنبة
مثلا تتبع بعدون ثورة ويعتقد كهنة الكلدانيين أنهم إذا رصدوا القبة الزرقاء
وسياراتها يتنبأون بالحوادث، وهذا أصل التنجيم.

علم السحر- للكلدانيين ضروب من الرقي والطلسمات يدندمون بها لطرد
الأروح، أو استحضارها، وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين، وهي أصل السحر
نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق المملكة الرومانية، ثم
تعداها إلى بلاد أوريا عرف ذلك من تبع القوانين السحرية في القرن السادس
عشر، وكان فيها إذ ذاك كلمات أخرى محرفة.

العلوم- نشأت علوم النجوم في بلاد البلدان فمنها عرفنا منطقة البروج
وتتألف الأسبوع من سبعة أيام إكراماً للفوارع السبع وتقسيم السنة إلى اثني
عشر شهرا واليوم إلى أربعة وعشرين ساعة والساعة إلى ستين دقيقة، والدقيقة
إلى ستين ثانية وعنهم أخذنا طريقة الأوزان والكيلليم محسوبة على مقياس
الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة صافة.

29
الصناعات
علم عقود الأبنية - لا يعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها إذ قد سجل العفاء على معاهم، وقد حاول أهل الصنائع من الأشوريين ممن رأين صنائعهم حدو الكلدانيين، فصح الحكم على الملكتين جملة واحدة سكان الأشوريون يبنون تلك الكلدانيين بآجر محفف بالشمس ويفضحون شوارع الأبنية بالأخجار.

القصر - أقام الكلدانيون قصورهم على أعمدة صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشوه سطوعها كبيرة واقتحمت جبل العلالي والنافذة ضيقة واطئة واكتسبت بتطويرها كثيراً؛ لأن الأجر لم يكن ليں يلح في بناء القباب المنبتطة العالية، فالقصر الأشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز والسقوط سطوح ممتدة ذات شرفات، وله الباب ثيران ضخمة ممنهجة على هيئة الإنسان والجدران مغشاة من الداخل تارة برواد من الخشب النفيس وطورا من الأجر المزين بالرما، وأخرى بصفائح من الرخام الأبيض المنقوش وآيات تزدان الغرف بالصور ويحل الأثاث بالتصريف البديع.

النقش - يعجب المرء من نقوش الصور الأشورية وخاصة المحقق أن التماثيل نادرة، ولا إتفاق فيها؛ لأن النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ذاتية تشبه الصور ويرسومون مشاهد لا نظام فيها أحياناً وحروباً وصيودا وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها أو موصف حفل، وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة لقرى بنات الخدمة الموكلين بطماع الملك وزمر العملة بينون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والأسماك في الماء والطيور وترفرف على وسعتها، أو تتطار من شجرة إلى أخرى وتعرف الصور الكبرى من جوانب وجوتهما؛ لأن أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الأمام ولكنهم تقرأ فسحاتهم الحياة والشرف وظهر الحيوانات في الأحباب وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد، وفي العادة أن ننقل نقاً حقيقياً مدهشاً، وسكان الأشوريين يتالرون الطبيعة ويرسومونها أصح رسم، وهذا تعرف قيمة صنائعهم، حتى أن اليونان اقتنوا

30
بمذهبهم فإن الصنائع بأن قلدوا النقوش الآشورية فضقوا مقلديهم، وليس في الأمم، حتى لا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات على الآشوريين.

الفينيقيون
صور وقطائج

وصفها: فينيقية من بقاع الأرض الضيقة طولها خمسون فرسخًا وعرضها من ثمانية فراسخ إلى عشرة، وهي بين بحر سوريا وأعلى سلسلة جبل لبنان بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل أودية ضيقة ومجار حرجة متناقلة بين هضاب وعرة ممتدة إلى البحر ومن السلاسل تعبث بها العواصف إلى آخر الربع، أما في الصيف فينضب ماؤها إلا ما خزنه منه في الآبار والصهاريج، ولقد كسبت جبال هذه الناحية بالأشجار، فكان القمم أزر لبنان المشهور، وِي المنحدرات الصنوبر والسيرو، وِي السفوح أشجار النخيل بالغة شاطئ البحر، وِي الأودية ينمو الزيتون والكركم والتين والرمان.

مديتها: تتألف عن بعد على طول الشاطئ الصخري رؤوس من البحر، أو جزر منه تكون منها مراشف طبيعية فشي هذه المواني أقام الفينيقيون مدنهم فقامت صور وأرواف في جزيرة يزدهم فيها السكان في المنازل، وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان وجلبون الماء لشفاههم في القوارب، أما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس، ولم تكن أرض هذه البلاد تقوم بأود هذا العدد من الناس ولذلماك مال الفينيقيون إلى الملاحة والتجارة.

الخرباء الفينيقية: لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب، فقد ضاعت، حتى كتابهم المقدسة، ولقد جرى الحفر بها مواضع مدينه، ولكن الخرباء على ما قال العالم المندوب إلى ذلك: لم تسلم إلا في البلاد المملة المتروكة على أن السوريين عنا صغيرا بالخرباء فانتهوا حرمة القبور وأخذوا حلي الموتى.
وهدموا العمالات ليستعينوا بأحجارها على البناء وحظموا النقوش وذلك
لكراهة المسلمين الصور المنحوتة بحيث لم يبقَ اليوم سوى شقيق من الرخام
المحقوم وأحواض ومعاصر تحت ال١ الصخر وبيضعة نواييس من الحجر أطلال
قما تجدي نفها وتأتي العلم بفوايد، وليس ما عرف الفينيقيين إلا ما علمناه
كتاب اليونان وأنباء إسرائيل.

حكومة الفينيقيين. لم تكن فينيقياً مملكة قائمة برأسها، بل مكان لكل
مدينة ناحية صغيرة تبقى بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث
بمندوبيها إلى أعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة، وكانت صور
محط رجال المندوبين منذ القرن الثالث عشر وأذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية
خضعوا لسلاطة جماع الفاتحين من مصريين وآشوريين وبابليين وعشر وادوا لهم
الجزية عن يد، وهم صاغرون.

صور. كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية
ضاقت على أهلها فأقيمت إذ ذاك مدينة جديدة قبالتها، ولقد أسس تجار صور
مستعمريات في البحر الأبيض ص لهم يصيرون الفضية من مناجم أسبانيا وسلع
العالم القديم أجمع دعاهم أشجعاً النبي الأمراء ووصف حزقيال النبي تلحك
القوافل التي كانت تأتيهم من خلص صوب وأوب ولطلب سليمان النبي إلى هيرام
أحد ملوك صور عملة يشغفلهم فبناه القصر والعبد في بيت المقدس.

قرطاجنة. كانت هذه المدينة مستعمرة صور فقامت هذه بالعظمة، وذلك
أن الصوريين نبدتهم إحدى الثورات فأسسوا مدينة قرطاجنة على شاطئ إفريقية
بالقرب من تونس بعثته على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون
(الفارة) ويحكي أن سكان البلاد أبوا أن يبيعوها إلا مسافة تكفي للتغطية جلد ثور
ففصلت جلد الثور سيراً رقيقة بحيث اقترنت مكاان واسهعا يستوعبها فينبت
القلعة إذ ذاك، ولقد اتسبت قرطاجنة لوقوعها من منتصف البحر الروماني، ولأن
فيها مرافئين فاقامت فيه أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحا، حتى آلل أمرها إلى أن
حكمت شاطئ إفريقيا بأجتمعه وأسبانيا وسردينيا، وكان لها يُطلق مكان مكتبة لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية.

الجيش القرطاجي - اقتضى لقرطاجنة أن يدرب لها جيشا لتكون مكاتبها التجارية من حيث الوطنيين وترى برعاياها عن الانتقاض. ومن ثم كانت حياة القرطاجي ثروة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة أثرت قرطاجنة احترام الجند فجندت لها جندا من البربر سكان بلادها، ومن متشردي محل صقع وناحية فصارت صباغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها وبيدرين بالأديان كافة، ولكل جندي بزته وأسلحته الخاصة به تخافف بزة رصيفه وأسلحته. فترى منهم النوميديين يلبسون جلد الأسد يتخذونه وطاء، أما يتخذونه غطاء يركبون خيلا سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيليهم تعدو عدوا، كما ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوءاء مسليين بحرا وطائفين من الأيبيريين في أسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد وغالبين عراة إلى الزنار يحملون تروسا طفيفاء وسماء محدبة يمسكونها بكلتا يديهم وجماعات من البالياريين مدرين من طفولتهم على رمي الحجارة أو صور الرصاص بالمقاليع، أما القدواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم، وربما صلبتهم إذا غلبوهم، ولم يحرزوا نصرًا مؤزرا.

القرطاجنون - كانون قرطاجنة ملكان والأمر والنهي لمجلس الشيوخ، وهو مؤلف من أفغى تجار المدينة، ولذلك كانت كل قضية ينهى بها إلى الحكومة مسألة تجارية. صرط الناس القرطاجنون لفسوحة ويطعمون وفقراءهم، ولما كان لهم أسطول منظمة وعندهم مال يستأنرون به جندا وحكومة باطشة تهيا لهم توطيد دعائم ملكهم غرب البحر المتوسط مدته ثلاثة قرون (من القرن السادس إلى الثالث) بين مظارع الشعوب ببربرية مشتقة على نفسها مختلطة ماكملتها.

الديانة الفينيقية - الفينيقيين والقرطاجنون دين يبهد الديانة الكلدانية فالرب الذكر يسيمي عندهم بالسماء والرية الأنثى وتدعى بعلت هي
الشمس والمطر. ينظر الفينيقيون قوى هائلة تحي وتميت، وكل من المدن الفينيقية رياض فلسطيناً، كما يصفون (الشمس) وعشتروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون ونانن ولجبل بعل تمور وعالمنص ويلتحف اسم الأرباب. في الاعتبارات إيجادا وعدها وهكذا ميدفع على قرطاجنة باسم مولوس ويعتبر عدمًا، وقد تنوبة عن هذه الأرباب أصواء ولها محابين ومذابح ومهنة. يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم الماء والأعياد الحافلة باعتبار صونهم موجودين ويوقدونهم ضحايا بشرة باعتبار صكونهم مخربين وглядاستهم زيادة الصيد العظيمة. في الغابات المقدسة وصورةها على شكل هلال القمر والحمامرة ويرسم بعل مولوس في قرطاجنة تمثالاً عظيمًا من القلذ باسطة زراعية ومثليهما، وإذا أرادوا تسكن غضبهم يرفعون على بديه أطفالاً تسقط للحال في هاوية من النار، وقد قدر أعيان مدينة قرطاجنة مات في طفل من أولادهم ضحايا للرجلة مولوس في خلال حصار أغالوص تنكر قرطاجنة.

هذا وإن تحل الديانة على ما نشأتها عليه من السهوبات وسفك الدماء لترهب الشعوب الأخرى ولكنهم يحاكونها ويتأرجون بها، فكان يذبح اليهود لبعل الجبال وعيد اليونان استارته وصيدون باسم أفروبيت وبدل ملخارات من صور تحت اسم هيراتكليس.

التجارة الفينيقية

أشكال الفينيقيين - عاش الفينيقيون بالتجارة لازدادهم أقدامهم ببقعة ضيقة من الأرض، ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وسكندائيين وآشوريين، ولا قبائل الغرب البربري (الأسحن والغاليين والطلبان) عهد بركوب البحر وشق العباب والفينيقيين وحدهم جروا في تلك الأعيان على تجشيم البحر فصح أن يدعوا من أجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء بيتاعون من كل شعب سلعة ويتقايضون معه على غلات البلاد الأخرى تجارة.
كان مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً.

القوافل: اعتاد الفينيقيون أن يرسلوا قوارب قوافل تتجه وجهات ثلاث إحداها إلى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والأبازير والعاج والأبنوس وريش النعام وقرود الهند، والقافلة الثانية ترحل إلى بلاد آشور لتعود منها بنسج القطن والكتان والحمرا والأحجار الكريمة والماء المطر وحرير الصين، وتقصد القافلة الثالثة من أنحاء البحر الأسود تستجيب منها الخيل والرقيق والأواني النحاسية من مصنوعات سكان جبل قاففسيا "القوقاز".

بحريتهم: بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب بآسرة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية، وما مست حاجتهم أن يكونوا أبداً على مقرة من الشواطئ لي ركوبهم البحر إذا كانوا يتجهون حيثما أرادوا بجعل نجمة القطب قيد نظارهم، ومكانوا يستدلون بها على الشمال، ولقد فطر الفينيقيون على الاستفادة بركوب اليم فألقوا بأنفسهم في مراكب صغيرة تغدوا بهم وتروح في أطراف البحر الرومي، بل جروا على اجتياز مضيق جبل طارق، أو كما دعاء القداماء "أعمدة هيركول" فيجتازون البحر المحيط إلى شواطئ إنكلترا، وربما بلغوا بلاد النرويج سافرت عصابة منهم في خدمة أحد ملوك مصر في القرن السابع وفاتجز البحر الرومي لتتوفح حوالي إفريقيا، ثم رجعت على ما قبل بعد ثلاث سنين من البحر الأحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ إفريقيا إلى خليج غينية، وقد كتب القائد حانون قصة هذه الرحلة.

البضائع: كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظرف به إلى المشرق من المحاصيل بصفتهم الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صبايا أحمر وهو الأرجوان، وعند الأنفسة الأوروبية تستعمل عند الأقدمين كحافة ملابس للملوك والأمراء ويجلبون النفضة التي يستخرجها أهل أسبانيا وسردينيا من
مناجهم، وكان القصير من ضروبهم يستعملونه في صنع النحاس الأصفر، وهو مركبة من نحاس وقصدير، ولا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون إلى طبره وينشدونه، حتى خُشوات إنكلترا في جزائر القصير المعروفة بجزائر كاسبتر، وحينما حلوا يتخذون الرقيق يبتغاونه تارة؛ كما كان يبيع النحاس العبيد إلى الساحل إفريقية إذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجار بالرقيق وينزلون طوراً في السواحل فجأة فيختطفون النساء والأطفال وينقلون بهم إلى بلادهم، أو يبيعونهم في القاصية، وإذا وانتهم الحال ينقلبون قرصانًا، ولا يتحامون إطالة يد التعدى على الأغار.

سراخبتنه الفينيقيون - لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة الأمم الأخرى إلى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والتجار، فمن ثم كانوا يكتمرون الطريق الذي يسلكونها لندن عودتهم من الأقطار النائية ولذا لم يعرف أحد القديم جهة جزائر الكاسيبريد المشهورة التي جلبوا منها القصير، وقد رأى إحدى المراقبن بلاد إسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تحمل، ونالت قسطاجنة تغرق من تصادفهم من التجار الأجانب في سردينيا، أو ناحية جبل طارق، حتى إن ربان إحدى المراقبن أغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطاردها مخافة أن تطلع على خطة سيره.

مستشاراتها - أنشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها، وهي مركز للبرد حصينة واقعة على شواطئ بحر على مرفاً طبيعي يخرجون إليها بضائعهم، وهي العادة أنسجة وفخار وحلي وأصنام فيناتي أهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم بها؛ كما يقايض اليوم تجار الأوربيني زنوج إفريقية تقام أمثال هذه الأسواق في قبرص ومصر وجميع البلاد البحر الرومي التي كانت على هميجتها مثل إفريطش (كرت) وبلاد اليونان وصقلية وإفريقية ومالطة وسيردينيا وشواطئ إسبانيا (مالقة وقادس)، وربما أقاموها في بلاد الفول.
موناصو، وكان أهل البلاد يبنون أكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقبس السكان أربع الفينيقيين، وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمام، حتى بعد أن صارت المدينة يونانية؛ كما في سيتير والرمل الخارط.

كما في كورنات ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية، كما في إقريتش.

نضوذ الفينيقيين - لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على يد ما أسسا مكاتبةهم التجارية إلا الاحتفاظ بصلحهم الخاصة، ولكن حديث أن نفعت مستعمراتهم التمدن فإن براغرة الغرب أخذوا عن أمم الشرق، وكانت أكثر منها تمدنًا صيفيًا صنع الأنسجة والحملي والمأمون، وتعلموا محاصراتها مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الأواني والحملي والأصنام التي يأتيهم بها الفينيقييون، وعلى منوال هذه البضائع نسوا بعد فإن الفينيقيين حملوا من مصر وأشهر الصناعة والبضائع معا.

الأبجدية - حمل الفينيقيين أيضًا إلى البلاد التي نزولوها أجديتهم وحروف الهجاء، ولم يخترعوا الخط إذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون، وقد استعملوا حروفًا تدل بكل منها على صوت; كما هو الحال في حروف الإغريق على أن خطهم كان مشوها بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وأخرى على كلمة برمتها لا جرم أنه اقتضى للفينيقيين إذ ذاك طريقة أبسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطروحا العلامات كلها من مقاطع وصور، ولم يبقوا سوى اثنتين وعشرين حرفًا يدل بكل منها على صوت، أو على لفظ باليسم فاقتضيت الشعوب الأخرى هذه الأبجدية المؤلفة من اثنتين وعشرين حرفًا، فقد كتب اليهود من اليمين إلى الشمال؛ كما كتب الفينيقيون، وكتب غيرهم كاليونان من الشمال إلى اليمين وجعلهم بدلاً شكل الحروف إلا قليلاً والخط الفينيقي على التحقيق أصل الأبجديات كلها من يهودي وليسي يوناني وأيطاليكي، وأيتوسكي، وأبيبيسكي، وربما كان الخط النرويجي أيضًا فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة.
الإسرائيلىون - العبرانيون

التوارى - جمع اليهود أسفارهم المقدسة بآسرها في سفر واحد دعوه التوارة، وهو اسم يوناني معناه الكتاب هذا هو سفر اليهود الجليل، وقد صار لأهل النصرانية أيضا كتابا مقدسًا، وذٍ التوارة أيضا تاريخ الأمة اليهودية، ولقد استخدمنا ما أتيل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة.

العبرانيون - لما نزل الساميين من جبال أرمينية إلى سهول الفرات أخذت إحدى قبائلهم على عهد مملكة الكلدان الأولى تضرب نحو الغرب فجازت الفرات بالقفر فسورية وبلغت بلاد الأردن وراء فينية وترف هذه القبائل بالعبرانيين يعني أهل ما وراء النهر، وهم كمعظم الساميين شعب من الرعاة الرحلالة لم يحرثوا الأرض، ولا سكنوا الدور والمنازل، بل سكانوا يتنقلون من مكان إلى آخر في قطعان بقرهم وغنهم وجمالهم منتجمين المراعي أوبن إلى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم، وذٍ سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية.

البطاركة - كان السبئ منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه وأولاده وموالبه، وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة، فكان بهذا السبئ أبا وكاهنًا وقاضيًا وملكًا من أجل هذا دعوته هؤلاء الرؤساء بالبطاركة وأعظمهم إبراهيم ويعقوب فالأول أبو العبرانيين والأخرون والإسرائيليين أظهرتله التوارة مظهر رجلين أرسلهما الله ليرأسا شعبًا مقدسًا، وقد أعطى إبراهيم ربه ميثاق ووعده الطاعة هو، ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله إبراهيم بذرية تضوق نجوم السماء عدا واطمأت نفس يعقوب بأن تكون منه أمة عظيمة وشعب جم.

الإسرائيليون - سمى يعقوب باسم إسرائيل، أي: مدافع عن الله لرؤيا راهًا ودعي سبئها ببني إسرائيل، أو الإسرائيليون وذكرت التوارة أن القحط حدا يعقوب أن يغادر بلاد الأردن ليسكن وأهل بيتة صغارهم وعشرهم على التخوم الشرقية من مصر، وهي البلاد التي دعا يوسف أحد أبنائه إلى هبوطها، وقد صار
وزيراً لعينيها أحد الفقراء وظل بنو إسرائيل بتلك الأرجاء قرونًا كثيرة فجاءوا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة، حتى صار عددهم ستمائة ألف رجل خلف عنك النساء والأولاد.

نزول الوعي على موسى - افتتح عزيز مصر يسمى الإسرائيليين ضروب المظالم ويضطرهم إلى صنع الملاط والقرمد لابتناء مدن حصنية فقام من بينهم إذ ذلك موسى أحد أبناءهم، وقد أوحي إليه ربه وعهد إليه أن ينقذهما من الجور والعسف، وكان يرعى غنمته ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط علبة تنزلت، ثم سمع هذه الكلمات "أنا رب إبراهيم وأسحق ويعقوب رأيت ما دهمن شعبى في مصر من الحزن وسمعت شكاوى ممن يظلمونه وعرفت ما يناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينابه من المصريين لأنزله بلادا من أرض سكنها تفشي لبنا وعسا فتعلئ إذا أرسلها إلى فرعون تخلص شعبى أبناء إسرائيل وتخرج بهم من مصر" فقد موسى الإسرائيليين وهاجروا من مصر، وهذا ما يدعى بالخروج، أو سفر الخروج واجتازوا بمسرح جبل طور سيناء، وهناك تلقوها شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلا كاملا في القفار جنوبية سورية.

وكتيراً ما كان الإسرائيليون يعودون الرجوع إلى البلاد التي تركوها فيقولون: "إنا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والهشة والبطيخ والكرات والسحل فخلق بنا أن نؤمر علينا زعيمنا يقودنا إلى بلادنا، ومكان موسى يدعوه إلى الطاعة، ثم بلغوا الأرض التي وعد الله بها نوراهم.

الأرض الموضوعة - دعيت أرض سكنيم، أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد إسرائيل، ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الأرض المقدسة، وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف، ولكن فيها جبال وآملة وصفتها التوراة بما يلي: لقد ساقك ربك القيوم إلى بلد طيب ذات أنهار وينابيع الأرض تنبع من الوادي، وعلى الجبل بلاد البير والشمر والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكث فيها خبزك أمنا من القحط لا ترزا له مال، ولا ينقصك
شيء من رفاهية الحال وبلغ عدد الإسرائيليين بعد الإحصاء عندئذ 2000 رجل يحمل السلاح منقسمين إلى اثني عشر سبطة عشر منها من نسل يعقوب وأثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين أو الكهنة وعددهم 30 ألف رجل، وسُكن البلاد التي تزولوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فأبادهم الإسرائيليون واستولوا على بلادهم.

ديانة الإسرائيليين.

الله الفرد - عبد سائر الشعوب القديمة أربابا بكثرة، أما الإسرائيليون فاعتقدوا بوجود إله منزه عن الهيول برأ العالم ودبره فضي سفر التكوين أن الله خلق ٢٤ البدء السماوات والأرض، وقد خلق النبات والحيوانات وخلق الإنسان على صورته ومثاقله فالبشر كلهم صنعة الله.

شعب الله - بيد أن الله اختار من بين الناس جميعا أبناء بني إسرائيل ليجعلهم شعبه وأمته فدعا إبراهيم، وقال له: سأجعل بني وبنينك وبين ذريتك عهدا لأكون ربك ورب ذريتك من بعدك. وقد تمثل الله ليعقوب قائلًا له انا الله القادر إله آبائه فلا تتحام نزول مصير فسأجعلك فيها أمة عظيمة، وسأأل موسى ربه عن اسمه أجابه: تقول لأبناء إسرائيل إنني أنا الله السردم إله آبائه إبراهيم واسحق ويعقوب أرسلني ربي إليكم هذا هو اسمي على الدهر.

العهد - في بين الإسرائيليين والمولى تمامًا إذا اتحاد، أو عهد فالقيام جل جلاله يحب الإسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه أمة مقدسة وأعلى الشعوب كفافة نظره. وقد وعد أن يجعلهم سعداء أقوياء وتعهد الإسرائيليون أن يقابلوا على ذلك بأن يعبدوه ويدخموه ويطبعوه فيما يريدهم عليه: كما يطاع المشرع والقاضي والعلم.

الوصايا العشر - أوحى القيوم الصمد عز شأنه مشروع بني إسرائيل بوصاياه.
إلى موسى على جبل طور سيناء بين البرق والرعد، وهي مسطورة في لوحين، وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهاما وصاياهما العشر بما نصه: لا يكن لحكا الله أية أخرى أمامي لا تصنع لحكائنا منحوتين، ولا صورة ما مما لا يسمى من فوق، وما ذكرت الأرض من تحت، وما بين الزمان وتحت الأرض لا تسجد لهن، ولا تعبدن لأتي أنا الربي إلهك إليه غير يلتمض خنود الأبدان في الأبيات في الجبل الثالث والرابع من مبقيضي وأصنع إحسانا إلى الهومن من محبين وحافظي وصايائي لا تنطق باسم الربي إلهك باطلة: لأن الربي لا يبرئ من نطق باسمه باطلة اذكر يوم السبت لتقتديه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه يودح الربي إلهك لا تصنع عملًا ما أنت وإبنك وإبنتك وابناتك وعبدهك وامتك ويهيمتح وذللك الذي داخل أبوابك: لأن ستة أيام صنعت الربي السماه والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح يوم السابع لذلك بارك الربي يوم السبت و قدسه آركم أراك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي تعطيك الربي إلهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تسته بيت قريبك لا تسته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شينال مما قريبك.

الشريعة - على الإسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر أن يعملوا بكثير من الأوامر الإلهية مما ذكر في أسفار التوراة الخمسة الأولى، وهي التي تتألف منها شريعة إسرائيل فالشريعة تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين الأعياد (السبت صلاة سبعة أيام والفصح ذكرى خروجهن من مصر وجمعية الحصاد وعيد المظالم في موسم قطف العنب) والشريعة هي التي ترتيب الزواج والأسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الأطعمة والأدوية فالشريعة عندهم والأمر على ما ذكر مجله الأحكام الدينية والسياسية والدينية والقضائية وللإسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعاً.

(الديانة ألفت الشعب اليهود) لم يقبل الإسرائيليون بحكم الله قبول من...
خضع وخنف فقد، قال موسى لللاويين، وهو على فراش الموت دافعا إليهم كتاب
الشريعة: "خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا إسرائيل لأنى عارف بما انتتم
عليه من شكاسة الخلقت وفساد القلب؛ ولم تبرحوا طول حياتي تبدون نواذاً
cebanian على الملوك القيم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم بعد مماتي، وقد
حدث أن مرت قرون، ومن العبرانيين من يعبد الأصنام، وربما كانت هذه الفترة
هي السواء الأعظم من الأمة على أنهم أصبحوا أشبه بسائر الساميين في سوريا
وطل الإسرائيليين وحدهم على قدم الإخلاص للمولى جل شأنه فتأتفل منهم
الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين الله المتعال من قبيلة مجهولة على
التدرج نعم فإنها أمة قليلة الحصا والعدد ولكنها من الأمم التي لها الشأن
الأعظم في تاريخ العالم.

ملحكة القدس.

القضاة- نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قرونًا كثيرة
لم يكن لدى العهد؛ يكما تقول التوراة ملكاً لإسرائيل بطة، بل سكان يعمل على
شامكن ويعمل بما يوحي إليه رأيه وصبر ما يككروا وإسرائيليون ينسون رهم
ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط رهم عندئذ غضباً من سيئات أعمالهم
وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الأفعال، حتى إذا تدموا على ما فرضوا
عند الله وأصبحوا خاضعين خانعين يرسل رهم إليهم قضاة يسعون في
خلافهم من أعدائهم المباغتين، وربما مات القاضي وعاد دبيب الفساد يدب في
نفس الإسرائيليين فيسجدون لعبودات أخرى، وكان هؤلاء القضاة مثل
جدعون ويبتاج وشمرون من الخزاعة يحرون القبائل باسم القيم الأبدى، ثم لا
يثبت الشعب أن يعود إلى عبادة الأوثان والتعلق بحماية العبودية.

الملوك- سئم الإسرائيليون آخر الأمر وطلعوا إلى شمويل (آموم) الكاهن
العظيم أن يجعل لهم ملكا فملحق عليهم شأول على رغم إرادته، وكان على هذا الملك أن يكون منفذا خاضعا إرادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له: لقد نبذت صلام الله ظهريا فسبع ين برك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك، ثم إن داود، وكان زعيمًا جنديًا خلفه وحمل على أعداء إسرائيل شكاها واسترجع لهم جبل صهيون ونقل إليه عاصمتها: وهي القدس.

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة إلى بابل وثيبة عاصمة بلاد فقيرة، وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون إلى العمران، بل كانت ديانتهم تحظر عليهم إقامة المعابد، وكان يقضي على مساحات الخاصة أن تشبه تلك المباني من الحجر التي لا تزال تشاهد إلى اليوم لسلطان لبنان، وقد غشيتها الكرد والتين، ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدس، وكان فيها للملحق قصر يسكنه ألا، وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرضه المصنوع من العاج، وهناك أقيم بيت الرب، وهو أول معبد عبراني.

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على هدف سليمان عبادة القران المقدس عند النصاري مقسمًا إلى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين، حيث كان قسون المعب، ولم يكن يسمع لغير الكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة، ويفسع المكان المقدس، وكان فيه مذبح البخور ومصرجة ذات أغانى سبعة ومائدة الخبز يدخل إليه الكهنة لحرق الفاكهة ووضع القرابين، وفُقد المقدمة ساحة البيعة مفتوحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير عليه، فقد صار معبد المقدس بعد واسطة عقد الأمة يقصدونه من أقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات، وكان الكاهن الكبير الذي يرجع إليه أمر العبادة من أعظم الرجال، وربما كان في الأحيانين أكابرسلطنة من الملك.
نكبات إسرائيل

إن سليمان آخر ملوك عصر بالجملة والطول وانفصل بعده عشرة أسباب أكثر من مملكة إسرائيل تلته الملكة التي عبد سكانها عسول الذهب وأرما الصناعيين، ولم يخل من دين الله وحده، أو لهيل بيت المقدس سوى سربطين ومنهما قامت مملكة يهودا (٨٧)، ولقد انتهكت قوى تينك الملكتين بما ضطروا إلى دخوله من المعارك، حتى إذا جاءتهما جيوش الفائتين من الشرق خريت مملكة إسرائيل بأيدي بختصر ملك البلدان (٨٨).

إحساس الإسرائيليين

رأى المؤمنون من الإسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم، وأن الله عز وجل تخرج عنه عضده أن يعزهم على نحو ما جرى قدما على عهد القضاء وأرسله للخطابين يمزقوه لكل مصايبة وركب أبناء إسرائيل هواهم واجتراحوا الآثام ؛ جابر ملاهم فبنو علالي وقصورا فالمدن مكافة وحنا حدو الأمم المحيفة بهم فخلالهم يدللهم أمر يهمهم، وما حرمه عليهم فصنعوا صورا مسببكة وسجدو للوكاكاب وعبدوا الصنم يصل ولذذا تبت الله تعالى أصل إسرائيل وعاشقهم فجعلهم طعمة من يكتسح بلالهم ويسلب طارفهم وطالبهم.

الأنبياء

على ذلك العهد ظهر الأنبياء، وهم إباص وأرميا وأشيعيا وحزيقي، وعندما عادت أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زمانا في الصيام والصلاة والاعتزاز والتكبير يأتون باسم الله لا غرزة مثل القضاء، بل منذرهم ومبشرين يدعون الإسرائيليين إلى الإناقة وقلب الأصنام والنوبة إلى بارئ النسم وبدرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد إذا لم يئسوا إليه فكانوا من ثم يدعون ويتبنأون.

التعليم الجديد

رأى هؤلاء الرجال المستمسيكون بالأمر الإلهي أن العبادة الرسمية في القدس غثاء باردة ولت شعري لم يذبحون البقر ويرجعون البخور إجلال الله على نحو ما يفعل الوثنيون يقول عيسو "أصبحوا إلي بأسماهما وعوا ما يقوله تعالى ماذا أعمل بجمع قربائكم، فقد شبحث من ضحايا الفن، ومن
دنه الحيوانات السمينة، وما عاد يلد لي دم الثيران، ولا الخراشان، ولا الزيوس
فكفر إذا قلت أن تقدموا لي ضحايا هي من العباث فإن نفسك عزفت عن استنشاق
بخوركم ومتب تزعم أنديكم أحول نظري عنكم؛ لأن أيديكم ملأى بالدم
المهرق فقوموا وظهروا نفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا نفسكم عمل
الصالحات وخدوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين وأقسموا الانتغيم
ودافعوا عن الأيم وعندما تصر خطاياكم سكالقرمي حمراء تبيض سكالثلج.»
وهيذا رأيت أن الأنبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالنذور والضحايا بالعدل
وصالح الأعمال.
المسيح - استحق بنو إسرائيل ما دهمهم من المصائب، ولكن لكل قصاص حد
ينتهي إليه وغاية يقف عندها فقد، قال عيسى: باسم الحي القيوم أيها الشعب لا
تخش الأشوري أبدا فإنه سينالك من عصاه مثل ما كان يناله من المصري في
الزمن الغابر، ولكن ستنقش ثورة غضبي قريبًا ويرفع عن مكانه ذلك العباء
الثقيل عليه، فقد علم أنبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم
وهيئوا السبل للهومسيح.

الشعب اليهودي

الرجع إلى بيت المقدس - جاء أبناء يهوذا من سهل الأفرات، ولم ينسوا
وطنهم ولطالما احتفلوا به وشدوتوه. في آناباههم يقولون جلسنا على شاطئ
أنهار بابل وبيكنا، وفد ذكرنا صهيوون فعندنا صائحة معلقة. في أشجار
الصنفاص على ضفة النهر، وكان يقول لنا من أتوا هنا تغدوا ببضع أناشيد من
جبل صهيون، ولكن أتى لنا أن نتغنى بنشيد للرب في أرض عربية وبعد سبعين
سنة في العبودية أذن سيروس فاتح بلاد بابل أن يعودوا إلى فلسطين فوجدوا بناء
أبنته المقدس والعبد وعادوا إلى إحياء الأعياد والاحتفاظ بالكتب المقدسة
وجدو العهد مع ربهم علامة على أنهم عادوا إلى طاعته وعادوا من شعبه، وهذا

45
العهد عبارة عن ميثاق على الأصول مكتبة أعيان الشعب ووقعوا عليه.

اليهود - دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملكة تارة
وكأحبن كبيرى أخرى، وبكلمة الحالين كانت تؤدي الجزية إلى زعماء سورية
فجبين جزاه الفرس أولاً، ثم المقدونيون، ثم السوريون، ثم الرومانيون وإذا صدق
اليهود دعوا صنته لندن رجوعهم مع رهنهم ظلوا على عهدهم الأول من العمل
بشروط موسى والاحتفال بالأعياد وتقديم النذور في القدس، وكان الأكبر
يحفظ الشريعة ومعاهدة مجمع الأعيان والكتبة ينقولونها والعلماء يفسرونها
للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الجري عليها والعمل بذيلها
وجليانها واشتهر الفرسون خاصة بغيرتهم وتفانيهم في القيام بضروب الأعمال
صالحة.

المدارس (الكنائس) - ومع هذا، فقد كان اليهود يرحلون في التجارة
وينشرون خارج بلادهم في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وأيكلاتيا، ووصفت طائفة
من أهل منهم في القدس الكبرى جميعاً كالمدن الإسكندربور دمشق وإنطاكية
وافيس وكورنت وورومية، وكانوا أبداً يجتمعون في صعيد واحد ليحفظوا
سكونهم ويجمعوا شملهم المشتت بين الوثنيين، ولم يقموا المعابد لأن الشريعة
كانت تحظر عليهم ذلك، وليس لهم أن يبنوا سوى معبد يهودي أحد ألا وهو
معبد القدس، حيث كان يحتفل بالأعياد وتقام المواسم والشعائر، بيد أنهم
كانوا يجتمعون ليشرحو صلاح الله ويتلووه ودعيت هذه الأماكن باسم يوناني
(الكنيس) ومعناه المجالس.

حراب المعبد - ظهر المسيح يخلد لحله المدة فصلبه اليهود واضطهدوا
حواريه سواء وكان في بلادهم، أو في المدن الكبرى التي حل فيها الجم الفضير
منهم، ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام 70 على الرومانيين فأخذت عنوا ودبح
سكانها كفافة، أو ربحا ببع الإماء والعبيد فأطلق الرومانيون النار في المعبد، وقد
حفل وطابهم بالأعلاق المقدسة، ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لديهم.
ما كتب على اليهود بعد تفرقهم عاشت الأمة اليهودية بعد خراب عاصمتها، وتقلت شؤونها تحت ظل الكوسكر في العالم أنشأت تستغني عن العبد. وأتقت صلابة القدس مكتوبة بالعبرية والعبرية لغة بني إسرائيل الأصلية. لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل. بل اقتبسوا لغات الشعوب المجاورة كالأذرية والكردية، وتخصيصا اليونانية على أن المنورين في الدين من اليهوديين ظلوا يعرفون العبرية، وهم يشرحون التوراة ويفسرونها وهكذا حفظت الديانة اليهودية وفاضل اللغة العبرية أيضا بقي الشعب اليهودي وكثر أشياء هذا الدين في الأقيان. فكان الملكة الرومانية أنسا كثيرون ممن يدينون باليهودية. وليستوا من العنصر اليهودي في شيء.

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطفقت تضطهد اليهود اضطرادا دام إلى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جمعاء، ومن العادة أن يتسمح مع اليهود في إجراء مراسيم ديانتهم لفناهم واستثمارهم في شغوف الأعمال المالية ولكنهم ينحونهم عن ممارسة الوظائف الإدارية، ولقد أدركهم في معظم المدن أن يلبسوا ثيابا خاصة وينزلوا في حي خاص مظلم وحيد، وبذلك يشعروا أن يشعروا بأحبابهم ليسوغون في الفصيح والناس يرونهم بأنهم يسيمون النابيع ويتكلمون الأطفال ويدنسون القربان المقدس، وربما يشروعون بهم في الأحباب فيئتونهم ويستمون ما دورهم ويستمدون قضاة البلاد السم، أو يشعرون بهم في أموالهم، ولقد اجتهد دار اليهود من فرنسا وإسبانيا وإنكلترا وإيطاليا، ولم تبق منهم بقية إلا في البلاد البرتغال وألمانيا وبولونيا، في البلاد الإسلامية، ومن هذه المالكين رجعوا إلى سائر قارة أوروبا منذ انتهت أيام اضطهاداتهم وعكف الناس عن إرهاقهم وإعاناتهم.
الفرس - دين زردهشت

إيران - بين نهر دجلة والسند وبحر الجزير والخليج الفارسي صقع عظيم

يعرف بلاد إيران تبلغ مساحتها خمسة أضعاف مساحة فرنسا، أو تزيد، ولكن
معظمها محدد صاحب، فهو يتآكل من صحراء رمال محرقة، ومن أرجاء باردة
قارة تشتق أودية عميقة شجراء وتحيط بها جبال شاهقة وأحيل بين الأنهار
وجريها فهي لا تسير إلا ريثما تضيع الرمال أو بحيرات مالحة ويشتد هواء
هذه البلاد ويتقلب فيه، حرا الصيف وقرها الشتاء، وقد يجتاز من يبحث
هذا البلد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو 22 درجة تحت الصفر إلى منطقة
حرارتها 60، سبتغردا بمعنى أن تلتك البلاد جمعت إلى برد سهيرا حرارة
السينافل، وهناك تعصف الرياح الزعيمة فتقلب الأجسام فعل الحسام، بيد أن
الأودية وضفاف الأنهار محصنة منبتة، وهذه البلد هي، ولا جرم مصدر الدراق
وشجر الكرز ومستنبط الثمار والمراعي.

الإيرانيون - سكنت بلاد إيران قبائل من الآريين (3) (القاطنين ببلخ، أي:
بكتريا) وهي الوطن الأصلي للجنس الآري) سكانا سخائر أبناء هذه البلد جنس
من الرعاة المسلمين المحاربين، ونقد سكان الإيرانيون يقاتلون على ظهور الخيل
ويطلقون السهام ويلبسون البسة من الجلد يجعلونها وقائية على أبدائهم من هواء
بلادهم الشديد.

زردهشت - عبد الإيرانيون أولا ما عبده قبلهم الآريين من قوى الطبيعة
وخصوصا الشمس "ميترا" وقام بين أظهرهم حكيم اسمه زردهشت (1) وله كتب
سكتيرة منها ما له علاقة بالشريعة، ثم ظهر زردهشت وأصلح هذا الدين) ويدعوه

(3) ما مكان هذا الفصل بين هلالين هو في الغالب من إملاء العالم الدكتور مورا مهدي
خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية الفقراء بمصر وإليه رجعنا

تصحيح بعض الأعلام

48
الإفرنج رواستر فاصلح ديانة الإيرانيين بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد، ولم يبلغنا من أخباره غير اسمه الإيراندي (أرندو بازندووافستا) لم يبق شيء مكتوب يؤثر عن زردهت، ولكن تعاليمه المؤلفة بهدف بزمن طويل قد حفظت في الإيراندي: أي: الشرعية والإصلاح، وهو كتاب الفرس المقدس، وقد كتب هذا السفر بلغة قديمة لم يفهمها أتباع هذا المذهب أنفسهم ودعوانيها، أي: الإفرنج بارن، وكانت تنقسم على ما ورد في أساطيرهم إلى إحدى والعشرين نسخة كتبت على اثني عشر ألف جلد ثور ضم بعضها إلى بعض بأسلاك من الذهب وأبابها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض أسرات إيرانية بتعاليم زردهت وأخلصوا دينهم له فلجئوا إلى بلاد الهند فحفظوا فيها أحلافهم المدعوون بارسيس تلتك الديانة القديمة، وقد وجد عندهم سفر تام من الإيراندي وقطع من الكتابين الآخرين.

أورمزد "هرمر وهرمس" وأهرريمن "رمؤز إلى العقل والنفس عند العامة إله الخير والشر" هذه ديانة زردهت على نحو ما ورد في تلميح الكتب إلا أن هرمر الذي يدعو الإفرنج أورسرب، وهو الدين الذي لا يخفى عليه شيء خلق العالم والعالم يحسبون له بهذه الألفاظ ادعو الخلاص هرمر وأحتفظ بشعائره فإنه النور والضياء عظيم رحيم كمالي شبه جملي سام ظاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة، وهو الذي يرتاح وصولنا وانتمانا وإذ مكان على جانب من الصلاح لم يخلق إلا ما هو مكدلك، وما يرى في العالم من شر، فقد يراه ربنا الإبراهيم، أي: روح العذاب وندعوه إهريمين (وديون، أي: شيطان).

الملاكية والشياطين - يقف إهريمين الشرقي المحمود قبالة هرمر البارئ الحليم، ولكل منهما طائفة من الأرواح فجنود هرمر هم الملاكية المطهرون "يارستا" وجنود أهرريمن شياطين جبناء "درو" ويسكن الملاكية في الشرق ضوء المشرق والشياطين في الغرب ظلمات الشفق وكلا الجبشي لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما، لأن كلهما حاضر في كل مكان في السمى هرمر وملائكته.
إلى الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم وتطوع إهريمن وشياطينه حولهم
لإهلاكمهم وسوء طالعهم وطلاهم.

خلائق هرمز وأهريمن شكل حسن في الأرض هي من صنع هرمز وتستخدم
للخير فالشمس والضياء اللدائن يطردان الليل والكواكب والشراب المخمر الذي
يتراءى كأنه ضوء سيال والماء المروي للإنسان والحقول المزروعة التي تغذيه
والأشجار التي يستظل بها والحيوانات الأهلية والكلب والطيور ومنها خصوصا ما
يعيش منها غضوء ولا سما الذيك؛ لأنه يبشر بالنهار هذه كلها برآها
هرمز وعلى العكس ينبث بكل ما يضر من أهريمن فيكون شرا مثل الليل
والجفاف والبرد والقفر والنباتات السامة والشوك والحيوانات الكاسرة والأذاعي
والحلمات الطفيليّة (نوربالوعض والبزاغة والبق) والحشرات التي تعيش في
الجحور المظلمة كالمصانع والمخارب والضفادع والجرذان والنمل وهكذا تبعث
الحياة والطهارة والحقيقة والعمل معا حسن في عالم الأخلاقي من هرمز
والموت والقدرة والذيب والخشى وكل ما خبث وساء ينبث من أهريمن.

العبادة - مصدر العبادة والأخلاق من هذا الاعتقاد فعلى المؤر أن يعبد رب
الخير (1) ويناضل عنه يقول هيرودتيس إن من عادة الفرس أن لا يقيموا هياكل
وعابد ومذابح للأرباب ليبع من أخرى ذلك إكانر بالنعمة؛ لأن هذه الأمارة لا
تعتقد اعتقاد اليونان من أن للأرباب صورة على نحو صورة البشر، وأن هرمز
ليبدو بحالة النار، أو الشمس ولذا يحتفل القرس بعبادتهم في الخلاء على الجبال
أمام مصدر مشتعل فينشدون الأناشيد تمجيدا تهرمز وينببون له الحيوانات
(حكذا) دليلا على عبادته.

الأخلاق - تناول الإنسان عن هرمز محضا لعمله منقحا لعمل أهريمن

(4) إن بعض زنادقة الفرس امهدوا (هم منها) نار الجزيرة يبردون ربع الشر على عكس ذلك
وينهبون إلى أن منهذ الخير لما كان ذائه صالحا وريحهما لا حاجة أن يخضع له ويتقرب
إليه بأنواع القربات وتدعى هذه الطالةة البازيدية (عبدا الشيطان) قاله المؤلف

50
في جاهد في الظلمات، وهو يبد النار بالحطب الجاف والعطور وجاهد في القضر بحرض الأرض وابتناء البيوت وجاهد حيوانات أهريمن بقتل الحياة والضباب والحلمات الطيفية والحيوانات الكاسرة وجاهد الدنس، وذلك أنه يتجه ويدفع عنه كل ما مات وخصوصا الأظافر والشعر وحيثما وجدت الشعور والأظافر المقصوصة فنهاك يجمع الشياطين وحيثما وجدت الشعور ويجاد الكذب جاريا على قدم الصدق، قال هيرودتس إن الفرس يستقبحون الكذب، وهو عندهم عار وعبارة: كما أنهم يكرهون الاستدانة؛ لأن المديون يكذب بالضرورة ويجاد الموت، وذلك بالزواج والاستكانة من الولد جاء فيه الرائد فاستمتع ما أبقى البيوت التي حرفت من النسل والذراري.

الجنانز - متى مات الإنسان تعود جثته إلى رب الشر، ولذلك يقتضي إنقاذ الدار منها لا بإحرازها فإنها تنجس الدار، ولا بدفنه فإنها تنجب الأرض، ولا إغراقها فإنها تنجب الماء، ومن فهل ذلك كيفه قد تلطف بحمأة القدارة أبد الدهر وطريقة الفرس يذخر وعوده وتختلف عن غيرهم من الأمم فيجعلون الجثة بين مكان عال مكشوفة وجهتها نحو السماء مثقلة بأحجار، ثم يسرعون إلى الفرار خشية من الشياطين لأنها تجتمع بزعمهم أي ما عندن الدفن، حيث ماوئي المرضى والحمى والقدارة والرعاب والشعور القديمة وعندها تجء الكلاب والطيور، وهي من الحيوانات الطاهرة فتطهر الجثة بافتراسها.

مصير الأرواح - تنفصل روح الموت عن جسده، ويَاليوم الثالث من موتها يعود بالروح على الصراط (شنيواد) المؤدي إلى الجنة مارا فور هاوية جهنم فيسأله الأرواح الطاهرة وأرواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخل بها إلى مقام السعادة (بمودوس، أي: فرووس) فيذهب الشياطين لأنها تتجافى عن روح الأرواح النقيبة، أما روح الشرير فتصل على العكس من ذلك إلى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ أحد بيدها ويلقي بها الشياطين في الهاوية ويتناولها روح الشر

51
ويقدها قعر الظلمات.

طبوعة الديانة الفردوسية، أو الهرمانية المزدقة.

نشأت هذه الديانة في بلد يشتد فيه الاختلاف والتناقض ففيها الأودية الباسمة بزرعها والأراضي البائرة المحيطة والمراوح الرطبة والقطار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث تترأى قوى الطبيعة فيها سكانها في حرب عوان أبدا، وهذا الجهاز الذي يمثل للفارسي فيما يحيط به قد أخذت شريعة للعالم وهكذا تألفت ديانة خالصة من الشؤوام تدفع بالإنسان إلى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالشيطان والجرم في الغرب وشمل شعوب أوروبا صفاية بالأوهام.

المملكة الفارسيه.

الماديين (6) - سكنت بلاد إيران عدة قبايل، ولم يشتهر بينها سوى الماديين والفرس خيم الماديين في غرب بلاد فارس، وهم أقرب إلى الآشوريين، ولذلك مكان على أديهم خراب نينوى وبلادها "239"، ولكن لم يلبثوا أن استغرقوا في الترف وانشروا يتخذون ثيابا مسدوحة وبألفون البطاله ويعتقدون اعتقدات خرافية شأن الآشوريين الساقتين وما زالوا على ذلك، حتى امتنعوا معهم، أي: امتناع.

الفرس، أما الفرس فكانوا في الأحاف الشرقي (والأجنبي) واحتفظوا بأخلاقهم وديانتهم وشتدتهم يقوله هيرودت في الفرس لا يعلمون أولادهم إلى سن العشرين غير ركوب الخيل ورمي النشاب وقول الصدق.

قورش أوسيروس، أو كيسخسو - قام رئيسهم قورش حوالي سنة 520 وخلع ملك الماديين (الذي هو جده لأمه) وجمع تحت لوائه شعوب إيران صفاية ففتح بهم هيدية وبابل وجميع بلاد آسيا الصغرى ويرى لهذا الملك قصة فصلها

(6) بلاد مادي يسميها العرب بلاد الجبل والعراق العجمي وأزربيجان واسترآباد، أي: ولايات فارس وكرمان ومكران، أي: بلورستان وخراسان)
هيرودتيس يُؤذن بتوفيقلا شفياً، قال: إنه دعا نفسه في بعض مازيري على الأحجار بقوله أنا قورش ملك الكتائب والعظماء واقتدار أنا ملكه بابل وسومير وأسكن ملك الأقاليم الأربعة وأبيع كمبير (ميكاوس) وسلطان سوزيان.

رسوم تيستون: أكد كمبير بكر أولاد قورش أخاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علمنا ذكرنا مما اتصلنا به من الرسم الذي مثل فيه ذكرنا، ولا تزال ترى إلى ألبيوم يتخوم الفرس وسط سهل أفيح صخرة هائلة تحت نحتا عموديا علها 60 متر، وهي صخرة تيستون، وهناك صخور ذاتية على حجر تمثل ملكا متوجا ويده البسرة على قوس، وهو يدوس أسيرة وتسعة أسرى أخرون واقبون أمامه، وقد قبدهم بنفسه وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بثلاث لفات، فقد أعلن الملك داريوس دارا ذكرنا فقال: هذا ما قمت به قبل أن أخدو ملكا، فقد كان كمبير بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلني، وكان له أت لأبيه وأمه اسمه سمرديس فقتل ذات يوم كمبير أخاه سمرديس، ولا علم للقومب ما جنته يدا، ثم وجه كمبير وجهته نحو مصر ويبنا هو عزل فيها شاربه الشعب، وكان قد أصبح الكتاب مألوفا إذ ذاك يُذلك البلد، ويباع مادي وسائر العمالات فقام مودنان (1) كان حاضرا إذ ذاك اسمه عوماتا وجدع الأمية بقوله: أنا سميرديس بن قورش، وعندئذ انتم موشه الشعب أجمع وانصرفوا نحوه متخلين عن كمبير ثم قصى كمبير يحبه بجراح جرح نفسه به وبعد أن أتى عوماتا ما أتى من هذه الحيلة واستلب من كمبير بلاد الفرس ومادي وسائر الأقطار جرى في الخطة التي شاءها وصار ملكا على هذه البلد وحاكمها متحمما في أهلها فخافه الشعب بظمة ومكن لا يستنكف من قتل الأمية عن بكرة أبيها لئلا تكشف حيلته ويعرف القوم أنه لضيق بسمريديس بن قورش ودعى في أسمه، وقد أظهر المملك داريوس هذه الخدعة، ولم يكن أحد في بلاد الفرس ومادي بحرا على استرجاع

(1) مودن موبدنان: أي، رئيس الكهنة
تاج الملك من هذا المؤيدان عوماتنا، قال دارا بعد أن قدم ما سلف: وعندئذ تقدمت ودعا الرب هرمز فاعانني بالتوسل به، وكان في صحبتي بأس دوو إخلاص وصدق وأعanoi على قبل عوماتنا وخاصة رجائه فأصبحت ملكا بمشيئة هرمز واستعدت الملك الذي مكان بنو قومنا سلبوه وأرجعته إلى حورتي وأخذت أعيد المذابح التي طو بسماها المؤيدان عوماتنا، وذلك لأنها كانت مخلصا للأمة وأعرت الأناشيد والاحتفادات المقدسة إلى سابق عدها واضطر دارا بعد أن ضرب ذلك الدخيل عوماتنا ضريبة قاضية أن يقاتل عدة زعماء ثائرين فقال: لقد قاتلت تسع عشرة مرة وغلبت تسعة ملوك.

الملكة الفارسية: علم بما مضى أن دارا أخضع المملكة الخليفة وأعاد مملكة الفرس، وقد وسع نطاقها بفتح مراة "تراثيا، وهي اليوم بلاد التلفاز والروسمي" وولاية من الهند، وكان ينضم تحت لواءه شعوب الشرق أجمع من ماديين وفرس وأشوريين ومكذانيين ويهود وفينينيين وسورين وليدييين ومصريين وهنديين، فكان سيف سلوته يحمي الأصقاع الواقعة بين نهر الدانوب "الطوية" عرفا ونهر الأندوس "السند" شرقا وبيين بحر الحور شمالا إلى شلالات النيل جنوبا مملكة لم يعهد لها مثيل في الضخامة 120 مملكة، بيد أن قبيلة جاءت بعد واستولت على تركة الممالك الآسيوية بأجمعها.

أقيال الفرس: قلما يعني ملوك الشرق بأمر رعاىهم إلا ليسنزوا أموالهم ويمتهنوا فيه سبيل سلطانهم أبناءهم ونانا مديحهم وثناءههم، وما قط أخذوا أنفسهم بالنظر في شؤون من يحكمونهم، وكان شأن دارا(7) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك هك قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويشاء هواه محفظا بلغته ودينه وشرائه وأحيانًا برؤسائه وسادته من قبل على أنه مكان

(7) هو ابتدأ طريق البريد وتجنيد العشرة والمئات والألف الخ وجعل لكل مملكة حاكما مدنيًا وخادما وعسكرًا وجعل كلًا عينا على صاحبه برسالاه إليه بتقاريرهما كل أسبوع
يعني التنظيم دخل المملكة الذي يتقاضاه من رعاياه فقسم بلاذة إلى عشرين حكومة سماها إمارة، وكان لكل حكومة شعوب مختلفة. لكل الاختلاف سواء كان بلغتها، أو بعاداتها ومعتقداتها، وكان على كل حكومة أن تؤدي مسانة خراجا معينا بعضه نقد ذهب وفضة وبعضا غلات ويوانج قمح وخيل وعاج فيتقاضى حاكم لكل مقاطعة، أو قيله ممن وسد إليه أمرها الخراج ويبعث به إلى مولاه الملك.

دخل المملكة بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليون مسكة زماما ما عدا خراج الغلال، وإذا اعتبرنا قيمة النقود في ذلك العصر فإنها تعادل ستمائة مليون جنيه ذهبي، وكان الملك ينفق هذا على حكومته وجيشه وخصائه ومدد قصره، ويبقى عنده فئة سنة مساتح مطيعة من الدين يدخرا في صناديقه، وكان ملك الفرس مثل سائر المشارقة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الأبهة والتمجيد.

لم يكن في العالم أغنى ولا أقدر من ملك الفرس، فقد كان اليونان يدعونه السلطات الأعظم ملك الملوك شاهنشاه، وكان له سكؤرة ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرسا كانوا أم غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه وأنت ترى فيما ذكره هيرودتس كيف تكتب، يعامل أعظم سادات قصره سأل يوما بريكتاسب برى حكشتاسب، أي: روح العظمة، وكان ابنه يسقته ما ذا تقول الأميرة؟ أما إذا فاجاهه ووالي أيهم يشتنع على محامد أطيط الشناء ولكنهم يذهبون إلى أن لحنا ميلا للخمر، قال يكمبز، وقد استشاط غضبا من هذا: أعلم إذا كان الفرس يقولون حقا وصدقًا فإذا أنا رميت بسهمي قلب

(8) قال المؤلف ذكر هيرودت ثمانين حكومة، وقد عثر على الرسوم المزورة على إحدى وثلاثين حكومة قال مرزا مهدي حان الظاهر أن هذا الالتباس في تقدير الأعداد جاء من أن مالكوه هذا الفاتح العظيم كانت مقسمة ثمانية أقسام منها ملكتنا مادي والفرس الخاصة، وما بقي منهما قسمان قسم استعماري وقسم استهلاكي.
ابنها واقفا أمامها. هذا البدو فذلحا أن الفرس لا يعرفون ما يقولون، وما هو إلا أن أعد قوته وضرب ابن بريكستاب فخراً اللفتى صريعاً فاجأه الملك سلم رؤيت أبن أصابه سهامه فرآه قد أصابه ومرق حشة فاستقر السرور الملك وقد لوالد الغلام، وهو ضاحكا: لقد رأيت بهذا أن الفرس قد أضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت أحداً يطلق السهم إطلاقاً لفيصيب الغاية على ما رأيت من الرشاقة فقال بريكستاسب: لا اعتقد أيها الدولة أنه لاexus الرب نفسه أن يرمي النبال مثله في الدقة والاعتدال.

أعمال الفرس. أدى شعب آسيا لا 3 لكل دور من أدوارهم جربة للتقاتين وخصوصاً للظلمان والغاشميين فمنفعتهم الفرس كثيراً بأن صدروا بعضهم عن مقاتلة بعض أزالوا من يسبح اسباب الشحناء، وذلماً لأنهم أخضعوا كل الشعب لرئيس واحد، وكان عدهم عهد سلام لم تعهد فيه مدن تحترق، ولا ديار تحرب، ولا سكان تذبح، أو تؤخذ زرافات وأفواجاً تستعبد. مدينة سوس وبرسوبوليس (6) - عنى ملوك الماديين والفرس بإقامة القصور على نحو ما كان يقيم ملوك أشور وأحسن ما اتصل بنا خيره من تلك القصور قصور داراً ل سوس وبرسوبوليس، وقد حضر السيديو ديولافوا الأفرنسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد مرينة بالمنينا تبين إرتقاء الصنائع إذ ذاك وبيقت من قصر البرسوبوليس خرابات عظيمة، وقد تحت لّ صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر، وهو يوصل إليه بسلم واسع بانحدار قليل بحيث كان يتأتى لعشرة فرسان أن يصعدوا معا.

النقش الفارسي. - أحداً نقاشو الفرس حصن الأشوريين إقامة قصورهم فتبدها 1 برسوبوليس: كما تجدها في بلاد أشور سقوفاً متسعها البسطة.

(6) (سوس في ولاية شيراز هي التي ظهرت فيها شريعة هرمزاب وبرسوبوليس هي اصطخر.) (ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)
يحرسها أسود من الحجر والنقوش النائمة تمثل صيدا واحتفالات. وقد أحسم الفرس في إتمام نموذجاتهم في ثلاثة أشياء، وذلك بأن استعملوا الرخام عودًا على القرميد وجعلوا الدرجات سقفاً بالخشب المصور، وأنشئوا أعمدة خفيفة على شكل جذوع الأشجار أقصى ما يعلم من الحداق واللطف، وهي أعلى من محيطها باثنتي عشرة متر، ولذلك جاءت نقوشهم أجمل أثراً وأوقع في النفس من نقوش بلاد آشور وقلمها نجح الفرس في الصنائع ويظهر أنهم مكانوا أحسهم شعوب ذلك العصر وأظهمهم وأشجعتمهم، و_facebook حكمهم أسيا مدة قرنين أقل حورا مما يعرف من ضروب الحكومات، وكانوا أميل إلى الرفق بمن يحكمون.

اليونان - العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد - أرض يونان من الأقاليم الضيقة المضطرب (هي 1000 كيلومتر مربع) لا تكاد مساحتها تضاعد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الآلية، وما يختلفها من جبال ويتقسمها من الخلفان أقليم غرب يتكون خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في إخلاق ساكنته وتقطع أرض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال البند فيناوح الجبل فيها جيلاً مثله ويقوم الصخر إلى جانب الصخر، حتى إذا بلغ ترعة صدرت ينبض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من الترعة فيبدو على سطح البحر ستمانة متر سماكه حصى أحاطته به سلاسل عالية ومرة ملحة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الجزء على طول الشاطئ، وما هي إلا جبال ممومة بمراعاسها فوق المنا، ونقل 2 هذه الأرض ذات الوعاد والنجاد التربة الزراعية وتكاد لا تر يحيثما ألقت ناظرك غير صخور جدرا مدراء، أما الأنهار فتشبه سيولا ليس فيها غير طرية ضيقة من التربة المتبعة بين مجارها ونصف جاف بين صخور الجبال الجرداء، ومكان 2 هذه البلاد الجميلة بعض غابات وأشجار سرو وعار ونخيل وصخور غروست 2 مواضع من التلال، ولكن قلما أثبت بغالاً جيدة، أو مرامي حضيفة في البلاد هذا

٥٧
شأن طبيعتها ينشأ أبناؤها مشوقة قدودهم قوية أجسادهم قائعة نفوسهم.

البحر— تمد بلاد اليونان من البلاد الساحلية، وهي أصغر من البرتغال وشواطئها تكاد تقرب من شواطئ أسبانيا لكورتها ينساب فيها البحر من عدة خلجان وووائعة (10) وتجاره، ومن العادة أن يحيط باليم صخور تتقدم، أو جزر نتتربص يتألف منها مرفأ طبيعي، وهذا البحر أشبه بحيرة لأمدد فيها، ولا جزر، ولذلك سلمت شواطئه من الضرر، وليس لونه سكال البحر المحيط أبيض كامداً سكيناً، وهو 2 العادة هادي صاف ولونه سكالبنفسح: سما يقول هوميروس، ولا أكثرا استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفراً قصيراً، ولقد تهب ريح الشمال صحة بكل يوم فتسير بها قوارب مدينة أثينا نحو آسيا وتقف فيها ريح الجنوب في المساء إلى المرفأ والجزر من بلاد اليونان إلى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين، وإذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة، وهي بمجرة من البابسة تراها بكل حين، ولذلك كان لسكان هذه البلاد من يكون بحرهم باعت على ركوبه واجتيازه فأصبح اليونان من ثم بحارة وتجارة وسياحاً وتصوص بحر ومشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم أجمع وجلبوا إلى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وأسيا واختراعاتها.

هوؤها— لطف هواء بلاد اليونان، حتى حتى أن الجليد نعثأثينا لا يحدث إلا في كل عشرين سنة والبحر معتدل في الصيف بما يخفف عليها من نسيم البحر وإلى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات منذ شهر مايو (آيار) إلى أواخر سبتمبر (أيلول) والهواء فاتر جاف، وكان يرى على بضعة فراسخ الأقلحة المطلة على أثنيه ريش تتمشى بالأس، ولا يست دول الجبال القاسية مستورة بالضباب: كما هو الحال عندنا معاشر الفرنسيس، بل إنها تتخل بأسرها في السماء الصافية هذه البلاد بجمالها تدفع المرء أن يتخذ الحياة عيداً غيري فكر

(10) قاموس الوقية نسمة مجدب، أو سهل يستتنف فيها الماء جمعه هو قاع ووقفاء

58
شيء يسمح حواليه فمن بزينة ظهيرة الحدائق بالليل واستمتع أصوات الصراصير، ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب بأسابيب ورصد الجبال للشرب من مائها واستصحاب البساتين راه وشربها على النغمات والأغاني وقد الشتاء الأيام فيه الرقص هذه هي بلاد اليونان، وما هي بلاد اليونان، وما هي إلا بلاد جيل من الناس فقير مقتصد فتي لا يعرف المراب أبداً.

ببساطة الفيشة اليونانية، لا يتعقب المراب من حرارة هذه البلاد، ولا يشقي بردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة، ولا تقتضيه البلاد عداء عززاً، ولا ثياباً ثقيلة، ولا داراً مرفهة، فقد اليوناني يتبلغ تخفته من الزيتون وسمك والسدرين ويلبس أماه وقميصاً ورداً فكثيراً ما كان يخرج حافياً مكشف الرأس وداره بناءة منيعة ليست من المطانة حيث يدفع اللصوص عن دخوله بثقب حائطها، ولا له من الأذان غير فرش ويبن لحف ويبن أواني جميلة ومصبغ، وسائر الجدران خالية من الزينة مبيضة بالجدير (الكلس)، ولا يأوي إلى الدار إلا أوناً النوم فقط.

بلاد اليونان الأصلية.

أصل اليونان، كان أصل الشعب الساسكن في هذه البلاد الجميلة الضيقة النطاق من الجنس الآري أنساب الهنود والفرس جاءوا منهم من جبال آسيا، ولقد نسي اليونان تطاف أجدادهم الطويل فكانوا يقولون أنهم ولدوا من التراب كالصراصير، بيد أن لفتهم وأسماء أربابهم لم تترك مجالاً للشك في أصلهم، وكان اليونان الأول محاكاء الآريين يقتاتن باللبن ولحوم القطط ويسيرون مدججين بأسلحتهم، وهم أبداً على قدم القتال ينضمون قبائل وفضائل تحت إشرة بطاركيتهم.

أساطيرهم، جهل اليونان أصولهم مساكن الشعوب القديمة، فلم يكن لهم اعتناً أسلافهم، ولا بالزمن الذي توطئوا فيه أرض اليونان، ولا شيء من أخبارهم
وأعمالهم فيها، وإن حفظ ذكر الحادثات الطارئة؛ كما وقعت ليتوقف على إعداد الأسياط لها، ومن أسبابها الكونية غير أن اليونان لم يعرفوها إلا حوالي القرن الثاني (ق.م)، ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين، ثم اتخذوا بعد طريقه حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في أوليا، كل أربع سنين وتدعى هذه المدة الدورة الأولمبية، وقد وضعت الألفومبية الأولى عام 773 فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذلك الحين، ولم يتصل بما وراء ذلك ومع هذا، فقد نقلت أساطير كثيرة عن هذه المدة الأولى يئا البلد اليونانية وخصوصاً وقصص قدماء الملوك والأبطال الذين كانوا يعبدونهم مكانهم نصف أرباب، وهذه الأقاويل مشوية بحكايات يتعذر الإملام بما فيها من حق وصدق، فقد ذكروا أن آثينا آلهة أن الملوك الأول المدعو سكروس صانع نصمه ملكاً ونصفه حية وذكرنا أن ثيناف أن سكروس مؤسس المدينة جاء من فينيقية للبحث عن أخت أوروبا التي خطفها ثيوس، وكان قبل تنينا وزرع أضراسه فنبت منها مقاتلة، ومنهم تناقلت الأسرات الشريفة ثيبة وزعموا أن مدينة أرخوس أن أصل الأسرة المالكة من بيلوس، وكان أعطاها المعبود زيوس صفتاً من العاج للاستعاضة عن ملكه التي أصلت إحدى الأرباب وهكذا كان لكل بلد أساطير يتناولها وتناقلنها وظل أبناء اليونان يذكرونها إلى ما بعد ويتبنون لأبطالهم القدماء نصيبياً من روح الروبية مثل أبطالهم برسي وليلير وقرون وهراباكلس وتييري ومينوس وكاستورس وبولوتوس وميلامايرس وأديس ومعظم اليونانيين، بل أن الطبقة المنورة منهم اتبعوا هذه التقاليد حقائق لا تراع فيها إلا قليلا تلقوها على نحو ما تأخذ الحادثات التاريخية أحباء الحرب بين أبي أدبيس ملخ ثيبة وجميلة الأرخوس التي سافر طلب جزء الكبش التي قام بحراثتها ثوران لحماها ارحل من قلز تقدف النار من أجواها.

حرب طروادة - أشهر هذه الأقاويل صدقاً حروب طروادة، وهي أوضحها بياناً وتفسيرًا فيها أن هناك نحو القرن الثاني عشر مدينة عتبة ذات سطوة اسمها
طرودة، وكانت المحاكمة المتحكمة على شاطئ القارة الآسيوية فجاء أحد أمراء هذه المدينة اسمه باريس إلى أرض يونان وسبى هيلانة حليلة ميلاس ملكة أسرة فاطمة أغمامون ملكة أرموس مع سائر ملوك اليونان وانتفوا لحصار طروادة جيشا يونانيا على أسطول مؤلف من ألف ومائتي سفينة فدام الحصار عشر سنين إذ كان الرب روي راضيا عن الطرواديين عاقدا النصر باللويتهم، ولقد اشترك ملكة الأيونيون يغادرة هذا الحصار فقتل هكتور رئيس الدافعين عن حياء طروادة، بيد أشيل، وكان أجمل اليونانيين خلقا وأشجعهم نسما وجر جثته حول المدينة قاتل أشيل بسلاح إلهي وهبته إياه أمه ربة البحر، ثم هلك بسهم أصابه بعقبه، حتى إذا رأى اليونان من الاستياء على المدينة بالإقدام عمدا إلى الحيلة فأوهموا أنهم أزمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصان ضخم الجثة من خشب اختبأ فيهم زعماء الجيش فأخذ الطرواديين هذا الحصن وأدخلوا مدينتهم فلما جن الليل خرج القواد منهم وفتحوا أبواب المدينة لليونان فحرقته طروادة وذبح الرجال واستعد الناس. 
ولا قفل زعماء اليونان من عزاتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بضهم في البحر وقدف الأمواج بفريق منهم إلى شواطئ بعيدة، وكان من حظ غولس أكثر هؤلاء الزعماء جريزة ودهاء وأطروهم يدا بيد كحيد المكايد أن قضى عشر سنين تتقاذف به البلاد، حتى أدت به الحال أن فقد سفنه جمعه ونجا من الغرق برضاه.

وبعد، فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعا في القرون القديمة شيوخ الأحرف التابلة فزعتم القوم أن غاية الحصار كانت سنة 1184 وحددوا مركز تلك المدينة وقد خطر للمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة 1874 أن يفحص محل هذه المدينة فأقتضى له أن يزيل أنقاض عدة مدان منضدة فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر مترا أعمق طبقة من تلك الأنقاض على آثار مدينة حديثة استحالت تراها وظفر في خرابهم أهم تلك الأبنية بصندوق ملء بالحلي من ذهب.
سماء طكبريام، وكان تمت نقش تلك المدينة التي ظهر سورها بكاء صغيرة حقيقية وعثروا فيها على عدد كثير من الأدامات الصغيرة الرديئة الصنع والوضع، وهي تمثل رهة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة سكان اليونان يمثلون الربة بالأس) ومع كل هذا فليس تمت دليل يقول على أن هذه المدينة الصغيرة دعية باسم طروادة قديماً.

ميسينيا - ورد في الأساطير اليونانية أن الملك أغامون الذي سكان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمتها مدينة طروادة، وأن زوجته قتلت عند عودته من هذه الغزاة ودفنت بالقرب من قصره، ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لأنها كانت مأهولة إلى القرن الخامس قبل المسيح، ولا يزال إلى اليوم حول الجبل سور من الصخور الضخمة مصنوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلبم بين أجزائها وتحتها خمسة أمتار، وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقادا منهم بأن الجبارة سيكلون قد أقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها ويدخل إلى هذا السور من باب علوه ثالثة أمتار مرفوعة من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين أسدين متقوسين، وهذا هو باب الأسود.

ولما اكتشف شليمان سنة 1873 مدينة طروادة عزم أن يبحث عن قبر أغامون في ميسينيا، وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الأرض فحضر شليمان في التراب، حتى وصل إلى الصخر فلما سكان على عشرة أمتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع صحنية كبيرة من الحلية الذهبية وأسوار وعقود وبابيس وتيجان وسبع خاتم سيفية ورقة من ذهب وزنها مائتي سيف وحجر مع نصوص مموهة بالذهب والفضة، وكان على وجوه بعض الجثث برفع من السفينة، وكتبت هذه القبور على ما ظهر مدافن أمراء ميسينا.

ومنذ ذلك العهد اكتشف الباحثون في كثير من أنحاء اليونان أشياء كثيرة ومنها أواقي خزفية وحلي تشبه خزف ميسينيا ولحيتها، وقد عثر في بعض الأحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من
ذلك بأنه كان يُتون من الزمن العريق في القدم بين القرن الثامن عشر والخامس عشر. مملوك أصحاب شوكة يستطيعون معها إنشاء مدن حديثة ذات غنى متوسط وتيسير لهم به أن يكتنزوا الكنوز ويصنعوا الآثار النفيسة، وهذا ما دعي بالتمدن المبسين.

أشعار هوميروس— إن القصيدة من المنسوبين للشاعر هوميروس، وهما الإلياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان وروحية أشيل أمام طروادة والأوديسة التي جاءت فيها حوادث عوس بعد سقوط طروادة هاتان القصيدة هما اللتان أحدثا في أطراف العالم أجمع سقوط مدينة طروادة، وقد حفظتها قرونا دون أن يكتبها، فكان المفون الذين ألفوا الترجمة يستطيعون نقصا طويلة منهم وينشدونهم، الأعياد، ويقول القدس أحد أعراف البيت التي نجدها بيرسترات أن تجمع القصيدة وكتبتها فأصبحت بعد ومازالت أبدا أجمل الآداب اليونانية المعجبة المطرية بقول اليونان إن مؤلفهما هوميروس كان أحد أبناء يونان من مدينة أثيناية وقصة نحو القرن التاسع، أو العاهل ويتكلمه على صفة الشيخ ضيير فظيع ويهم ينعره ويكدره وسكناه وتنازعت سبع مدن شرف نسبته إليها تدعي كلمة منها أنها مسقط رأسه، وقد وضع التسليم بذلك تقليدا بدون مناقشة فيه، وعم أواخر القرن الثامن عشر قام أحد علماء الأثينا وأسموه فولف أن بعض الناقصين هاتان القصيدةين أدوات من يجيز بأنهما ليست من نظم شاعر واحد ولكنه كتاب مؤلف من مقاطع لشعراء مختلفين، وقد حمل أهل العلم على هذه القضية حملات منكرة، وهم بين مثبت لها تماما ومنكر لها تماما وظللوا مدة نصف قرن يتنازعون وجود هوميروس، أو عدمه ومازال فريق أهل العلم إلى اليوم على أن هذه المسألة متعدد حلها، ومن المؤكد أن هذه القصائد قدمة العهد جدا، وربما كانت من القرن التاسع ألفت الإلياذة الأثينا الصغرى، وربما تألفت من مجموعة قصيدة خصت إحداثها بحروب طروادة وثانيتهما بحوارتها أشيل، أما الأوديسة فإنها على ما يظهر من نظم شاعر واحد، ولكن ليس ثمة من دليل يقوى على أنها
من نظم مؤلف الإلياذة بعينه.

اليونان على عهد هوميروس - يتذكر علينا أن نوضغ فإن تاريخ اليونان إلى قرون بعيدة وأشعار هوميروس أقدم مستند لشأنهم، ولا نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن الثاني قبل ميلاد المسيح لم يكن لبلاد اليونان إذ ذلك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس باسم قبائليهم الأصلية ويظهر أنهم: حكما وصفهم قد نجحوا مند غادروا أسيا فعرفوا حرث الأرض وبناء المدن الحصنية وتألفوا شعوب صغيرة وأنطعوا ملوسا لهم، وكان لهم مجلس شيوخ ودار ندوة، وقد فاخر اليونان بحكومتهم واحتقروا الشعوب النازلة بقريهم، لأنهم سكانا دونهم فدفعهم البرابرة، وقد صرح عولس بخشونة السيكوليس بقوله ليس لهم قواعد في العدل، ولا أندية يتشاورون فيها وأفرادهم يحكمون نساءهم وأولادهم بالذات، ولعينا بعضهم ببعض ومع هذا، فقد كان اليونان إلى ذلك العهد نصف برابرة، فلم يعرفوا الكتابة، ولا النقود، ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجراون على ركوب البحر وتجشم أخطاره ويزعمون أن الفول سكن جزيرة صقلية.

غرارات على أرضهم ورحلات إليها.

تاريخ اليونانية - لم يسكن جميع شعوب اليونان منذ الزمن الأطول البلاد التي وكانوا فيها في القرن السابع، أي: في العصر الذي أخذ أهل العلم يعرفون عنهم شيئا يوثق به، وقد حفظ كثير من هذه الشعوب ذكرى نزولهم في تلحك البلاد وامتصوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة في تلحك البلاد جاءت أمم كثيرة فاحتلت أرض يونان بقوالب سيفها وتشتت شمل عبرهم أمام المغيرين عليهم ويفقول اليونان أن بدء هذه الحملات الشعواء والرحلات كانت من القدم بحيث لم تصلنا أخبارها مستورة ونقلت وشعذ ذكرها تقليدا، أو يقولون إنها كانت في القرن الثاني عشر، أي: بعد أحداث طروادة بثمانين سنة، ولا عبرة بهذا.

٦٤
التاريخ إذ لم يكن لليونان سائر، يحسبون بها - في ذلك العهد المطاف على أن
هذا التاريخ أخذ قضية مسلمة بدون جدل، ولا نزاع فيه دعى أقدم سكان يونان
البالبلاس، وعلي معاناه القدماء، ولم يعرف عنهم شيء، ولا فيما إذا كانوا من
جنس يوناني، أو من جنس آخر، ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان، ولا
علم أيضاً كيف أبدل اسم بلاس باليونانيين إذ لم يرد في أشعار هوميروس أيضاً
ذكر لهذا الاسم، ومن المقرر أن بسطة يلد حفظت أثراً من آثار فاتحاتها وغزاتها،
فقد جاء قوم بربرة من البلاد المشهورة بالأثيوبيين الأزرؤوط اليوم وهاجموا سهل
بينين الفيسيف فدعي بعد باسم ثساليا وتألفت من هؤلاء المهاجرين عصابة من
الفرسان الأشراف وأمسي سكان البلاد الأصليين عملة يزرعون ويحرثون ليس إلا،
وقد رحل إلى وادي سيفيزي الذي سمي باسم نيوسيا سهل من لم تخضع نفسه لهذا
الحكم.

وبعد رحيل من الدهر خرج الدوريون من جبال البند، واجتازوا برزخ صورت
واغروا على بلاد المورة واستوطنوا من أقاليمها ما أمرعت تربته وغزبت رباعه
وبعوته مثل لاكنوبة ومويسينيا وأراغودي وسكيونيا وكورنت وميكان وبروي أن
قدماء ملوكهم دعوهم الهيراكليديين، أي: نسل المعبود هيراكليس ليغلبوا
رعايةهم الناشفين ويعبدوهم إلى عروشهم، وكان ملوك سويرطة برو أنهم من
نسل قدماء السكان لا من الدوريون، وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي
أغار عليها الدوريون إلى زراع وأهل فلاحة.

وأستولت عصابة من الإيتوليون الذين صحبوا الدوريون - تلحق الحملة على
مقاطعة إيليديا - الغرب وانهل الإشيشانيون ممن أبت نفوسهم الخضوع على
شاطئ جزيرة المورة الشمالي وطردوا منها الإيونيون وأسسوا الاثنين عشرة مدينة
الأثيوبيية فلجالا الإيونيون المطرودون إلى مقاطعة أتاكيا وامتزجوا بسكانها
الأقدام، ومن ذلك العهد عرف الأثيوبيون أي: سكان أتاكيا شعباً إيونيا، ثم
انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يعتمدون مستعمرات في السيف الآخر

٦٥
من البحر والأيوليون أقدم هذه العصابات النازلة في آسيا، ثم سكنوا بعد هذا الشاطئ بعينه واحتل الدوريون جزيرة أفريليشة مكرت، وبعد زمن احتل اليونان صقلية وإيطاليا الجنوبية.

الدوريون - يراد بالدوريون نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا، أو أخضعوا سكان السهول وشاطئ بلاد اليونان الجنوبية المعروفة بلبلاد المواد، وينذكرون هؤلاء الفيروز أن ملوكا من أسبرطة من نسل البطل هيراكليس قد طردهم وعلموا فجاءوا يبحثون عنهم في جيشهم، فتبع الدوريون أخلاق هذا البطل حياء به ونضاله على عروشهم وأغاروا على السكان فأستصفوا أرضهم وديارهم، وقد كان هذا المنصر جيلا من الناس استهر بجماله وقوته وصحة أجسامه، وعود البرد وشوف العيش وحياة الفطر والطاقة فترى رجالهم ونساءهم يلبسون ثيابا قصيرة لا تصل إلى ركبهم، والدوريون أمة حربية دعاها الاضطرار إلى أن تكون أبدا على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها، وهم أقسى أهل يونان لبعد إقليمهم عن البحر، ولذل هناك احتفظوا بأخلاق الأجيال المتوحشة، وهم أعرق الـثـيـاب اليونانية من غيرهم من سكان تلك الأمصار؛ لأنهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالعرباء، ولا تقليدهم في منازع أخلاقهم.

الأيوليون - يُدعى شعوب ايتيا والجزائر وشاطئ آسيا بالأمة الأيولية، ولا يعلم من أين جاءتهم هذه التسمية، وهم على عكس الدوريين جنس من البحر، أو التجار، ومن أكثر شعوب اليونانية تهديما؛ لأنهم استفادوا من الاحتكاك بأمم مشتركة أعرق منهم في الحضارة، واقتبسوا من النظر إليهم، وهم ضعفاء في صفتهم اليونانية لامتزاجهم بالأسيويين لأنهم نحوا نحو هؤلاء عاداتهم إلا قليلا يميلون إلى السلم وفيكونون بالصناعات ويشعرون عيش الترف يمضون الكلام ويرفقونه ويلبسون ثيابا ضافية الأذى على مثال المشارقة.

الهيلابيون - هذان العنصرين، أو الجنسان المتباينان المعروفان بالدوريين والأيوليون هما أشهر عناصر اليونان وأقدمها، فإقليم إسبارطة للدوريين وإقليم
أثنين للإيونيين، وليس السواد الأعظم من اليونانيون قومين، ولا أيونيين و يعرفون بالأيونيون، وهو اسم مجهول يطلق على شعوب مختلفة في تلك الأصقاع من الأيونيين والأسكرينيين و فوسيديين و بيوسيين من أهل البلاد اليونانية الوسطى والأزاهريين من أهل العصر مدخل من تقدم ذكرهم يسمون باسمه اليونانيين الذين عرفوا منذ ذلك العهد، وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه: كما تجاهل نحن ذلك على أنهن يقولون أن دوروس و غولس مكاناً لأولاد هيلانة وأيون حفيدةها.

**مستعمرات اليونان**

الاستعمار اليوناني لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط، بل قام منهم طوارئ من أهل المدن انشئوا بلدانهم في جميع الأحواض المجاورة، وكانت عدة من هذه الممالك الصغيرة اليونانية في جميع جزائر الأرخبيل، وعلى جميع شواطئ آسيا الصغرى وأفريقيا و قبرص، و في كل ما أحاط بالبحر الأسود إلى بلدان القافضات والقريمة على طول البلاد العثمانية في أوريا المعروفة إذ ذلك بتراسيا، وعلى شاطئ إفريقيا، و في قبائل إيطاليا الجنوبية إلى شواطئ فرنسا و إسبانيا.

أخلاص هذه المستعمرات - يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة، أي: من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس، وهذه المستعمرات أنشأت عن كل المدن ونتجت عن كل جنس دوريا سكان، أو أيون، أو أيونيا، أو أبوليا، و نازلاتها قامت المستعمرات في أماكن قفرة تارة، و في بلد مأهولة أخرى أسمت حيناً بالفتح و أونة بالإتحاد مع السكان وأنشأها بحارة، أو جمار، أو منفيون، أو متشردون وتمتاز هذه المستعمرات في اختلاف زمانها ومكانها ومجتمعها وأصلها بخلق عام وأنها نشأت دفعة واحدة بمتكبد قواعد ثابتة، وما مكان الطوارئ، أو المستعمرون من اليونان

(11) جاء هذا الفصل متأخرًا عن هذا بضعة فصول في الطبعة الأخيرة
يحلون في بلاد واحدا بعد واحد عصابات صغيرة، ولم ينزلوا بقعة عرض أطفال فقيرة، إنهم مساهمون في تدريب المدينة على نحو ما يفعل الطوارئ من الأوروبيين. إن أميركا اليوم، بل مكان الطوارئ منهم يسافرون جنرال تم وقائعهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فتوس فتود البلدة الجديدة في يوم واحد، وتمكن تأسس إحدى المدافن بعد احتفالا دينيا في حزب المؤسس لها سورة مقدسا ويعمل بينا مباركا يوقد فيه نار مقدسة.

تقاعد المستعمرات - ينصح مما نقل من القصص القديمة - تأسس بعض هذه المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة والبيئة الحكيمة استعمار مدينة مرسيليا والبداية به، فقد جاء إلى بلاد الغال فرنسا اليوم وأوكتسيس أحد أهالي مدينة فوسي - آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعا أحمد زعيم الغاليين إلى عرس ابنه، ومن عادة هذا الشعب أن تدخل العروس بعد الطماح حاملة كأس تقدمها لرجل تختار من الجماعة فوقفت أمام اليوناني، ومدت الكأس نحوه فظهر للقوم أن هذا العمل مكان بالبهاء من السماء إذ لم يكن متوقعا فما مكان من الزعيم الغالر إلا أن زوج أوكتسيس من ابنه وسمح له بأن يوسع ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا تم ما رأى أهل فوسي أن الجيش الفارسي يحاصرون مدينتهم المعدون لهم سفنا نقل عيانهم وأهاليهم وأصنامهم وحلي معابدهم وغادروا بلدهم ماحرين لي سفنهم وأقسموا عند منصرفهم أن لا يعودوا إليها إلا إذا عامت على وجه الماء الجديدة الحياة التي ألقوها في البحر، وقد بكت كثير منهم هذا العهد وعادوا إلى مسقط رأسهم، أما الباكون فظلوا يشكون العباب بعد العباب، حتى وصلوا إلى مرسيليا بعد أن تحشموا أهوالا صخرية وأسس الأيونيون مدينة ميلت تاركين نساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فذهبوا الرجال وتزوجوا نسائم وبناتهم قسرا ويعال: إن هؤلاء النساء أقسم أن لا يتناولن الطعام مع أزواجهن، وأن لا ينادينهم بيا أزواجها عادة بقيت قرونا يعمل بها نساء ميلت، أما مستعمرة برقة فيفربقة، فقد استبت بأمر
صرح من المعبد أبولون وحصي منه، فلم يكن سكان مدينة تبرا الذين أمروا
بذلك يحاسرون من نزول بلد مجهول، ولم يعملوا بهذا الأمر إلا بعد سبع سنين،
وذلك جريرتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا أن أبولون ساقهم إلى تلها الجزيرة
عقاباً منه لهم وحاول الطوارئ الذين أنكرهم أن يرفعوا فداهم مواطنهم
ومكره عليهم السفر وبعد أن قضوا عامين في إحدى الجزء، وقد حانتهم فيها
أسباب النجاح انتهى لهم الحال أن يستطيعون أبد الدهر مدينة برقة، فكان منها
مدينة عامرة وراقية.

خطورة المستعمرات- من شأن هذه الطوارئ أن تؤسس حكومة جديدة في
مكان ينزلها، ولا تخضع لأم القرى التي انتفلت عنها بته وحذاء بلغت الحال
بأن سكان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية حكملك منها مستقلة تمام
الاستقلال فأصبح صغير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاها بهما المدن
التي خرجت منها، وكان لها أصقاع أوسع وأخصب وسكان أقوى وأكثر ويقال: إنه
سكن في مدينة سيباريس في إيطاليا ثلثمائة ألف رجل يحمل السلاح، وأن
كروتون جيشت جيشاً مؤلفاً من مئة وعشرين ألف مقاتل وباقت سيرة كوزتي
صقلية وميلت في آسيا بقوتهما مملكتي إسبارطة وأثينا، ومكان يدعى جنوب
إيطاليا يونان الكبرى، وما كاكان الملكة الأصلية غير بلاد صغيرة بالنسبة لتلك
المملكة المأهولة لكلها بالطوارئ من اليونان وحدث أن حكان الهيلانيون أوفر عدد
البلاد المجاورة منهم في البلاد اليونان نفسها وترى بعين رجل تلها المستعمرات
طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وساقوس وطاليوس
وفيراغورس وهيراقيطس ودموقريطس وانفيديكليس وأرسطوطاليس وأرخميدس
وثيوبكريتس وغيرهم.

المدن - ظل اليونان منقسمين إلى طوائف صغيرة في كل البلدة التي نزلوها;
فمعاً كانوا على عهد هوميروس وغير خائف أن أرض يونان وإيطاليا الجنوبية
منطقة بالبحر والجبال، ولذلك انقسمت بالطبع إلى عدد كبير من المقاطعات

19
الصغيرة كل منها منفردة عن جاراتها برأس من البحر، أو انحدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتضعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على جدتها مدينة، وقد بلغت أكثر من مئة مدينة. وإذا أحببت المستعمراي بلغت زهاء الألف(11) ولا يست ment الملكة اليونانية إلا صورة صغيرة بالنسبة إليها فإن أيتبيكاً كلها لا تساوي نصف أصغر مقاطعات فرنسا بهذا العهد، أما أراضي سكرونت، أو ميكر، فقد صارت رضاء، أو مزارع، ومن العادة أن يكون ما يعبرون عنه مملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفأ، أو بضع قرى مبعثرة في الفلاة حول قلعة فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها، أو مرفاً المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه أكثر من بضعة ألواف من الناس وأعظمها لا يكاد يكون فيها مائتان، أو ثلاثمئة ألف نسمة وبعد قسم يلفل اليونيون أو اليونانيون أمة برأسها، ولا انفكوا من التقاتل والتقاطع على أنهم تكلموا اللغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ شيطان إسبانيا على شاطئ البحر الأسود فكانوا بهذه العلامات يتعارفون، كما يتعرف أبناء نبية واحدة ويعتازون عن سائر الأمم التي يدعونها البربرية فينظرون إليها نظر الاستخفاف والامتهاق.

الديانة اليونانية.

تعدد الأرباب. اعتقاد اليونان اعتقاد سائر قدماء الأريبي بأرباب سكثيرة، ولم يكن لهم شعور باللائحة، ولا بالبزنيةية، ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سردقه والأرض سلمه ومريته. واعتقاد اليونان أن بكل قوة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوة إلهية ونسواهم كما من هذه القوى إلى رب خاص إذ لم يدركوا أن علة واحدة تنتج كل هذه الأعوب ولذا عبدوا عددا عديدا من هذه الآلهة فكانوا وثنين على هذا النحو.
 نسبة انشوات البشرية ودعوى تجسد الرب - كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به وشدة تصور اليونانيين وسعة خيالهم مثلت لهم أذهانهم تحت هذا الاسم كائنًا حيًا - أبهي المظاهر من الصور البشرية، وكانوا يمثلون المعبود، أو المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيدة الحيا، عندما كان عولس، أو تيليماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدوان بسأله عن إذا كان رباً من الأرباب، وقد صور على ترس البطل أشبال صورة جيش، قال هوميروس وصف له: إن آريس وآتينيه كانا يقودان الجيش، وكلاهما متشح بالذهب وكنا من الجمال والاعتدال على صورة تتعلق بالأرباب إذ البشر أقزام قصار القامات، وكان الأرباب اليونانيون بشراً يلبسون ثياباً ولهم قصور وأjisad سكاجسدا، وهم إن لم يمروا يجريون وذكير الشاعر هوميروس كيف أن أحد المحاربين جرح الرب آريس فراح يصرخ مرتين الأنف، وعذاب الضرب من اختيار الأرباب على مثال البشر هو ما يدعى أنثرومومورفيسم، أي: تجسيد الأرباب.

 علم الميثولوجيا - للأرباب أقرباء وأولاد ورهط وأسرات؛ لأنهم أئناس كالأدميين فأهمهم ربة وإخوتهم أرباب وأولادهم أرباب غيرهم، وأناهم هم نصف أرباب وتدعى أنساب هذه الأرباب ثيوغوبياً وللأرباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم وأخبار شبيهتهم وأعمالهم فالرب أبوون مثال ولد في جزيرة ديلوس، وكانت لجأت إليها أمه لاتون، وقيل: عيانا مكان قد جرب تلحد البلاد في سفح جبل البارناس وهكذا مكان لكل مقاطعة يونانية أخبر تروها لأربابها سموها الخرافات، ومن مجموعها يتألف الميثولوجيا، أي: تاريخ الأرباب.

 الأرباب المحليون - بقي الأرباب اليونانيون، وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه أولاً حكواتين طبيعية، فكان القوم يتخيلونها: حكماً يتخيلون البشر وقوى الطبيعة، فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبها مننجساً إلا أن واحد وتخيل هوميروس الشاعر أن نهر جزيرة المرات هو رب، وقال فيه: لقد تدقن نهر المرات على البطل آشيل، وهو يزيد غيظًا ويرغي حنقاً ويجري طافحاً بالزبد.
والجيش وظلمت الأمة تقول إن الرب زيوس ينزل المطر ويرسل الرعد، وكان اليوناني يعتقد أن الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء، أو شمس لا السماء والشمس والأرض على الجمعية. وكان ربه مسماً للسماء التي تظل بالأرض التي تقلع والسه الذي يعله فإن، ثم كان لكل مدينة أرباب ومعبدات كثيرة فمن كتب الشمس إلى أرباب الأرض إلى ريب البحر، وكانت تلك الأرباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وأرضاً وأيضاً بما انه كان لأهل كل مقاطعة ريبا ومعبداتهم الخاصة بها فليس رب إسبارطة زيوس ربا لأثينية زيوس بعينه، وربما كان يذكر كقسم واحد ديان تحت اسم أثينية، أو ديان تحت اسم أفولون دينار أحد من طاف بلاد اليونان من السياح. أنه شاهد أثول من الأرباب كانت تدعى أرباب المدينة، ولم يكن هناك سيلة ماء، أو غابة غبياء، ولا أكمة شمس إلا، وهي مؤلفة (13) ولها صفحة لا يشاركها فيها غيرها، وربما كان هذا المعبود صغيراً لا يعبده إلا ناس من أهل الجوار، وما مزاره غير مغارة في الصخر.

الأرباب الكبيرة - وهم اليونان أن فوق طوائف الأرباب الكثيرة الصغيرة المبتدئة خلق كل مقاطعة بضعة أرباب كبيرة بكالسماء والشمس والأرض والبحر المدعو بهذا الاسم ولها كل مكان معبد خاص، أو مزار يتقرب فيه إليها، وكانت تمتلك كل من هذه الأرباب أهم القوى الطبيعية، وما أكثر عدد هذه الأرباب التي اشترك أهل اليونان كثافة في التقرب إليها فإنك لو أحصيتها لا تكاد تصل إلى عددها إلى العشرين، ومن سوء عاداتنا معاشر الإفرنج أن ندعو هذه الأرباب بأسماء أرباب أثينية والليك حقيقة أسمائهم.

زيوس المشتري هيرا جوبون أثينية منرفا أفولون أرتميس ديان هرميس عطارد هيرموتوص فولكين هيستيا فيسا أريس المريح أفروديت الزهرة بوزيدون نبتون أنغتيتريت رونتة كروبوس زحل ريهيا سبيلا ديميتير سبريس برسبغونة روزرين هاديس بلوتون ديوينروس باخوس، وهذه الزمرة من الأرباب هي التي كانت تعبد

(13) (يقول الشاعر آيزودس اليوناني: إنه مكان ديان بلاده ثلاثون ألف ربي)
خصائص الأرباب - لكل من هذه الأرباب هيثته وهندامته وأدواته المدعوه
خصوصاً هكذا تصورها المؤمنون من أبناء يونان وهكذا مثلها النقادون منهم،
ولكل خلقه المعروف به بين عابديه، ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم
بوظائف معينة، وذلك بمعونة أرباب ثانية تطيعها في العادة ويتصرف فيها بأمره
فأرب أخرى مثلاً، وهو على صورة عذراء ذات عينين براقين مثلت قائمة، وهي
تحمل رمحاً، وعلى رأسها خوذة، وعلى صدرها سلاح لا مع، وهي عندهم رارة الهواء
النقي والحكمة والاختراق، وعلى جانب من الهيبة والشراسة.

ومثل هيفيرتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة، وعلى صورة حداد أعرج قبج
الهيئة وزعماً أنه ينزل الصاعقة، وإن الرية أرتميس كانت عذراء متوحشة تحمل
قوساً ومكشاف، وهي تطفو الغابات تتغديد مع زمرة من الجنات، وهي ربة
الغابات والصيد والموت، أما هرميس الذي قتلوا لايسا نمالا مجندية فهو رض المطر
المخصبة وله أعمال أخرى، وهو رب الأسواق والأماكن ورب التجارة ورب السرقة
ورب الفصاحة يسري بأرواح الموت ويشيت في السفرات بين الأرباب ويقوم على
تدريب الحيوانات ورب اليواناني أبداً عدة وظائف في الغالب هي رضنا
مختلقة غير أن اليونان تخيلوا أن بينها تشابها ويرتؤون لها صلة وعائدة.

الأولم وزيروس - حكمل من هذه الأرباب اشبه بملحك في مقره ومع هذا، فقد
لاحظ اليونان أن جميع قوى الطبيعة لا تسير بالتصادف وأنها تعمل باشا واحدة
فكانوا يطلقون اللؤك الواحد للتعبير عن النظام والعالم ففرضوا أن الأرباب
اتحدوا على تسير نظام العالم وأنهم كائن لهم شرائع وحكومة؛ كما للبشر
وهي ترى في شمال اليونان جبل ذا قمم مكسوة بالثلج لم يصعد إليه بشر
واسمه جبل الأولم، وعلى هذه القمة المستورة عن أعين الناس بما يترسم عليهم
من الضباب تؤم اليونان أن الأرباب يعذون جلساتهم في مجتمعين مستردين
بترو سماوي يتفاوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس المشترى يرأس تلك...
الجلسات: لأنه رب السماء والنور الذي يؤلف السحاب ويرسل السواغ وصورة على مثال شيخ مهاب ذي لحية بضاءة جالس على عرش من ذهب، وهو الذي خص بالزعامة دون سائر الأرباب، ولذلك كثرا تخضع له فإذا بدت من أخدها بادرة المقاومة في أمر يهددها زيوس وإليك ما ذكره هوميروس على لسانه: اعتقدوا أن السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها أنتم معاشر الأرباب ذكرناه مكنتم أو إنما ولو بذلتم الجهاد سكلكم لا تجرون زيوس إلى الأرض، وهو الملك الأكبر، وعلى العكس إذا أردت أن أذبح السلسلة إلي فإن أذبح إلي الأرض والبحر، ثم أعلقه بقمة الأولب ويبقى العالم سلسلة ملتحما مصلوبا ما دمت أعلى منزلة من الأرباب والبشر.

آداب الميثولوجيا اليونانية: هم اليونان أن معظم أربابهم من نساء والسفن والخدع والسفاهة على جانب فاخترعوا لهم أخبارا سفيرة وأعمالا نابية عن طور البقاء، وكان هرميس بزعمهم لصا فنجها وحفرها وأريض بقصوته، وكانوا يأكلون من الحبوب بحيث لا ينفكون عن اضطهاد من تساهل إذ تقدير الضحايا لهم، وما أعجبت نيوبي ملكة ثيبة بكتيرة أسرتها لم يصب عليها أن رأى الرب أبولون يصمي أولادها بالسهام ويمزقهم بكل ممزق، وكان من حال تلك الأرباب في الحسد حيث لا تسمل للذين رؤية إنسان بلغ غايات السعادة فاليونان رأوا السعادة في أعظم الأخطار لأنها تجلب غضب الأرباب حتما، ولذلك ابتدعوا ردة للفضاب والانتقام سموها يميريس وينمحرون منها قصصا كالآتي: مثل ذلقة أن بوليكراش الظلم من أهل جزيرة سيسام خاف يوما حسد الأرباب إذ غدا ذا طول وجول، وكان يملك خاتم ذهب له موضوع كبير نفسه فألقاه في اليم لتشاب الحكمة سبها بالشقاق ثم إن صيادا أحضر لبوليكراش ذات يوم سمنة عظيمة وجد خاتمه في جوفها، فكان ذلك بنظرة شؤما دالا على وقوف المشينة الأصغيرة فحوصر بعد في مدينة وأخذ وصلب وعاقبه أرباب يونان على سعادة نالها وحظ من النعم أصابه.
عرف الناس بهذا أن الميثولوجيا اليونانية كانت عارية عن الأخلاق إذ كان الأرباب قدوة سبئة للناس، قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقو على الشعراء الذين نشرو هذه الحكايات وذكر أحد تلاميذ فيثاغورث أن معلمة اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس اشاعر مصنوبة في شجرة وروح إزيودس الشاعر مدلاً دعامة عقوبة لما على إهانتهما للأرباب، وقال مكسيونفان: إن هوميروس وإزيودس قد تسنا للأرباب أعمالاً من شأنها أن تكون عاراً بين البشر وشناراً عليهم، وذلك إنه واحد لا يشبه البشر بأحسادها، ولا بعقوته، وكان يزيد على ذلك قوله لم يكن للبقر والأسود أيد واستطاعت أن تصور صناديق لصنعوا للأرباب أجساداً تشبه أجسادهم وجعلت الخيل للأرباب أجساداً كالخيل والبقر والناس يذهبون إلى أن للأرباب إحساساً وصوتاً وجسدًا هذا قول مكسيونفان، وهو من الحق والعدل يمكن إذ جعل اليونان الأول أربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذلك العهد سفاحين غادرين حسودين معجبين وعذلوك كل أربابهم ثم صاروا على نسبة التحسن في أخلاقيهم متبرعين من هذه البدائيت كلها عازفين عنها، ولكن تاريخ الأرباب وأخلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة أخذها أهل الأجيال الحديثة لم يجرؤوا على تغيير أرباب أجدادهم الفظة السخيفة بغيرها.

أبطالهم

البطل - البطل في بلاد اليونان رجل مصور يغدو بعد موته روحًا ذات سلطان، ولا تتم له الروبية، بل ينال منها نصفها فمن، ثم لا يسكن الأبطال في الأولئك في سماء الأرباب، ولا يدبرون شؤون العالم أجمع ولهم مع هذا أيضاً سلطة فوق هكلا سلطة بشرية يعينون بها أحبابهم ويحلون أعدائهم ولذا عبدهم اليونان عبادتهم لأرباب واستمعوا بهم وتضرعوا إليهم، وما من مدينة، أو قبيلة، أو أسرة إلا وله بطل خاص بها، وهو عبارة عن أشباه متخيلة تحملها فتعمها وتتقدم إليها بأنواع القريضات.
ضرور الأبطال - ومن هؤلاء الأبطال فئة اشتهرت في الأساطير وغدت من الأعيان مثل أشيل وأوليس وأغامنون، ولا شك أن بعضهم لا حقيقة لهم قط، مثل هيراكليس وأديب، وليس بعضهم إلا أسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعولس غير أن عهدتهم ينظرون إليهم نظرهم إلى أشخاص قدماء، وقد عاش معظم هذه الأرباب وبعضهم من الأعيان قد ذكرهم التاريخ، وكانت لهم أعمهاتهم مثل ليونيداس وليزاندر وسكانا من القوى وديمقراط وأرسطو وسكانا فيلسوفين وليكوري صنلون وسكانا مشرعين وعبد أهل مدينة صروتون أحد مواطنهم فيلوبس؛ لأنه كان أجمل أهل زمانه في بلاد اليونان، وسكان الزعيم الذي يقود الطوارئ ويؤسس مدينة بعد بين السكان البطل المؤسس فيلوبس. لمعبداً ويليبرون إليه كل عام بأشكال النذور والقربات وهكذا كان ملتقيداً الأثيني يعد مدينة من أعمال تراسيا وبريزيداس الإسبارتي الذي قتل دفاعاً عن أمفيبوليس؛ كما يعد هذه المدينة إذ اعتبره السكان مؤسساً لبلدهم.

حضور الأبطال - يظل البطل ساحقاً في البلدين التي دفن فيها جسده سواء كان في قبره أو في الجوار، وقد وصف هيرودوت هذا المنتقد فكان مدينة ساسيوين تعدد البطل أدراتس فأقامته في الساحة العامة مصلى إكراماً له، ولقد رأى كليستيرن جبار ساسيرون أن يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عم ما إذا كان يفلح في طرد أدراتس فأجابه الهاطل بقوله: إن أدراتس كان ملحك الديسوري ونادى لص وقاطع طريق فلم لا يستطيع كليستيرن أن يطرد هذا البطل عمداً إلى الجيلة فبعث إلى ثيبية يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبيس وجعلها مقبرة المدينة في احتفال حافل، قال هيرودوت: إنه عمل شكله؛ لأن ميلانيبيس كان من ألد أعداء أدراتس قتل له شهره وأخاه، ثم جعل تلك الأعياد النذور تقدم إلى ميلانيبيس بعد أن كانت تقدم إلى أدراتس زمناً وراح يقطع سائر اليونانيين أن البطل المعتاظ يركب إلى الفرار.
ابة البطلان- 

للمجاهدين على أيدٍ ونفوسهم: فكمّ يهون الأرباب أن يفعلوا الخير والشر: حكماً يشاؤون، ولقد أخطأ الشاعر استريشير في كلمته على هيلانة المشهورة، ولهذا ظل ذلك أمورًا على نحو ما ورد في الأساطير. فكيف بصره للحالة، حتى إذا رجع عن كلماته عاد بصيراً ويزعمون أن هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فأرسلت شاعرًا بالداء بابئ ذي بده، ثم أتته بالدواء ويدعون أن الأبطال الحامية لبلد تدفع عنها الأدواء والمجاعة وتذيب عن حياضها من غارة الأعداء، وقد زعم الجنود الأثنيئين أنهم رأوا بين صفوفهم حرب ماراثون تزييه بطل أثيني ومؤسسها، وقد تدجج بسلاج لامع حرب سلامين وظهر البطلان أجاكس وتيلامون اللذان مكاناً فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة أعلى ذروة منها باسطين ذراعهما نحو الأسطول اليوناني، قال تيموثيلس: وصغري الفرس إذ قهرناهم، ولكن الأرباب والأبطال قهروهم، ويعيش روايات سوفقليس أديب إلى تولون بينا مكان أديب مشرفاً على الموت رآه ملحد أثينية وثيقة وأراده كلمة في الارض بترك جنته تذرف ٌ أرضهم ليكون بطلًا حامياً لها فأجاب طلبهما ٌ ان يذهب ٌ بلاد الأثينيين، وقال للوضوحهم: إنني لا أكون بعد موتي خالياً من النفع ٌ هذا القطر، بل أكون ركناً ركيناً لا تقاويه أنوف الألف من المحاربين، وحاسن يرى أن بطلًا واحدًا يساوي جيشاً برمته ويرهب بأس هذا الشيخ، ولا رهبة الأحياء جميعاً.

العبادة

بدع عبادة الأرباب- مكان الأرباب والأبطال على ما لهم من الحوال والطول يبشرون الناس بجميع الخيرات والسيئات: حكماً يشاؤون، فكان من الخطر أن يكونوا على المرء إلياً، ومكان من العقل أن يكونوا وإياه ليها واحدة، ولقد ذهب القول إلى أنهم كانوا أشبه بالبشر يضطرون إذا تركوا وشأنهم ويرضون إذا دعي بهم، وعلى هذا الفكر نشأت العبادة، فكان عبارة عن إثيان صالح الأعمال مع
الأربعاء تليل رضاهم، وقد صرح أفلاطون بالرأي العام كمما يلي، قال: إن الاضطلاع بالقول والقيام بصاحب الأعمال مع الأرباء سواء كان في الصلاوات، أو الندوز هو من التقوى التي بها نجاح الخليفة والبلاد وعكست هو الشقاء الذي بنى عروض المالك وندك معامل العمران. يقول كسينوفان في آخر كتابه الفروسيا: إن الأرباء لا يرضون عمن يفزعون إليهم في حاجاتهم فقط، بل يرضون عمن يكرموهم في بحوبة النجاح فالديانة كانت نادرة في بدء عهدنا وميثاقا، فكان اليوناني يسمى في استضاح الأرباء ونال من مقابلة ذلك مغافم ومنافع، قال أحد كهنة أبوالون العبد: إنني قد أحرقت من أجله ثيرانا ثمينة منذ زمن طويل تقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام عضشكو أعدائي. 

الأعياد العظيمة- زعم اليوناني أن لأرباءهم إحساسا وعواطف سمكواطف البشر، ولذلك عىونا بالقيام بكل ما يسترخي به الإنسان فكانوا يقدموه لهم لبنا وخمرا وحلواء وفياضة ولحما، وكانوا ينشئون لهم قصورا ويحتفلون إكراما لهم بأعياد إذ كانت تلك المعبدات أرباء سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة، وما كان بعيدا لكم هو الحل عندي اليوم عبرة عن أفراد، بل مكان احتفالا دينيا يضرب في خلاله عن الأعمال وتأخذ الأمية في إبادة مظاهر المسرة على رؤوس الأشواهد أمام المعبد فمن ثم مكان اليوناني يسر بهذه الأعياد ويحتفل بها إجلالا لأرباءه ومعبداته لا قيامًا بأموائه الخاصة وشهواته جاء في نشيد قديم إكراما للمعبد أبوالون إن اليونانين يدخلون السحر عليكم بما يقومون به من مطاعمهم المعهودة وغناهم ورقهم.

الألعاب الاحتفالية- نشأت الألعاب الاحتفالية من هذه الملبات التي كانت تقام إعظاما للأرباء، فكان لكل مدينة ضرب من ضروبها تكرم بها معبداتها، وما كانت في العادة تقبل لمشاركتها بها غير أبناء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالألعاب يشتركون بها جماعة أبناء يونان وحضورها، وذلك تأريعة أماكن من البلاد اليونانية وتدعى الألعاب الأربعة العظيمة وأخص تlinked
الألباب أُلاباب أولبيا يحتفل بها لكل أربع سنين إكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة أيام أو ستة، فيأتي دهماء اليونان من أطراف البلاد تغص بهم الملاعب والمشاهد ويتخذون بما يقدمه الضعفاء والثروة بالصلوات إلى المعبود زيوس الشمس وسائر الأرباب، ثم يتباين القوم في الأعمال التالية عدم على الأقدام حول الملعب قتال يعرف عندهم بالباساتن; لأنه كان عبارة عن خمسة ألعاب فيقفز المتبارون ويركضون من طرف الملعب إلى طرف الآخر ويدفون إن تعذر بطارة من معدن ويرمون الحراب ويقاتلون بالأيدي والأبدان، ثم ملاكمة تجمع الأحذاء يقاتلون فيها وأذرعهم مستورة بسبور من جلد ومسابقة عجلات كانت تجري في الميدان والعجلات خفيفة يجرها أربعة جياد وتتصدر القضاة في الألعاب بأثوابهم القرامدية، وقد يتوجوا بأسكال أفغار فينادي النادي بعد القتال باسم الظافر واسم والده على رؤوس الأشخاص، ويتوج بتج من الزيتون جراء ما وفق له ويستبله موطنوه استقبال الظافر الفاتح، وربما خرقوا خرقاً حائط ليمروا به منه فيقبل نقله مركبة تجرها أربعة من الديبدايسي القدرى وتشابه صاحبة يحيضه، وكان بعد هذا النصر الذي نعده اليوم من أعمال المصارعين في المحال العامة من أحسن الأعمال وأولها على ذلوك العهد يحتفل بها أعظم الشعراء، ولم يكنهم بنداور أشهر شعراء الأعاني القدماء غير نظم المقتطع في سباق المركبات ويروي أن أحدهم اسمه ديابكورس رأى في يوم واحد ولدى له، وقد توج فحصاه على أعين القوم حمل الظافرين فلمما شاهد الشب أن أمثال تلك السعادة عظيمة جداً بالإضافة إلى الميت ناداه مت يا ديابكورس إذ ليس في وسعك أن تكون بعد معبود فضاقة ذرع ديابكورس من الاضطراب ومات، بيد أيدي ولديه، وَيَّ نظره ونظر أبناء يونان أن رؤية ونديه وأمكنهما قوية شتنة وسقهما سريعاً مكان ذلك منتهى السعادة الأرضية، وعلى هذا يحقق ليونان أن يعجبوا بالقوة الطبيعية، فقد كان أقوى المصارعين من أحسن الجند في الحروب التي يقاتلون فيها جنداً لجنداً.
الفَالِ: سكان اليونان يرجون من آلهتهم أعمالًا كبيرة لقاء تلحك الواجبات والأعياد والاحتفالات فكانت المعبدات تحمي عبدتها وتسبيع عليهم بروز العافية والغناء والنصر، وتقهم المصائب والزوايا التي يتوقفون نزولها ترسل علامة من لدنهما يفسرها الناس، وهذا ما يكون يدعو بالفَالِ. قال هيرودوت: سكان إذا اقتضى إحدى المدن أن تستحق بعض الخطوب يتقدم لها على ذلك علامة بعد العادة، ولقد تفاءل أهل شينو صافر تفاؤلاً دلم على ما ينالهم من الهزيمة، فلم يرجع من مائة فتى بعثوا بهم إلى دلفيس بترنمون وينشدون سوى فتتين وهلك سائرهم بالوباء، وعلى ذلك العهد انقض سقف مدرسة المدينة على أطفال سكاناً يتعلمون القراءة، فلم ينج منهم سوى طفل واحد، وسكان عددهم مائة وعشرين.

هذا هي الإمارات التي قدم الأرباب إرسالها على أبناء اليونان وكردهم وعدهم، ولقد سكان اليونانيون يرون الأحمر والطيب الذي يرتفع في السماء وأحشاء الحيوانات التي يتطدون بها الأرباب؛ بل ومثل ما يقع نظرهم عليه من الزلزال والكسوف إلى غطسية يغطسها الماء يرون سك كهذه الأمور الطبيعية أمارات الهيبة فيها سعادتهم وشقاهم ففي حملة صقلية بنيت سكان نيسياً القائد الأثيني يرصب جيشه المنهزم له السفن أوقفه خسوف القمر فظن أن الأرباب بعثت بهذه الجحيمة تنذير الأثينيين أن لا يتعوا ما بدأوا من الأعمال الحربية فاضطر نيسياً إلى الانتظار سبعة عشر يومًا، وهو يقدم القرابين تسكونا لغضب الأرباب فمض الأعداء ن هذه الفترة مساء المدينة وخططوا أسطولها وبدعوا شمل جيشها، ولم يبر الآثينيون لما بلغهم هذا النبأ سوى أمر واحد نجاو من أجله نيسياً، وذلك أنه سكان عليه أن يعرف أن اختفاء القمر بالنظر إلى جيش منزهم علامة جيهه، ويعض غضب العودة المعروفة لعودة العشرة آلاف خطاب القائد كسنيفون له جنده فلما انتهى إلى هذه العبارة تنا الأمل الوطيد أن يرجع والمجد إلينا بموجة الأرباب عرفس أحد الأجناد على الأثر واستحضر الجيش يصلي ويضرع إلى الله على أن يبعث لهم هذا الفَالِ فهتف كسنيفون إلا بتقديم ضحايا لزيوس إذ بعث إلينا ما
نفتءال به بيننا نحن نتفاوض راع سلامتنا.

هاتف الغيب-- كان الرجل الأحوايين يجيب سؤال من يدعوه ويستشيره من المؤمنين لا إشارة صماء، بل على لسان أحد الملهّمين من علية الناس فيأتي الرّب مزار رب ينشد دون أوجبة بثقلونها ونصائح يستنصحون بها، وهذا هو معنى الهاتف بالغيب وإن كان لترى في أماكن كثيرة من بلد اليونان وأسيا جميلة صالحة من الهاتفين بالغيّب وأشهرهم دودون من بلد أنيروس ودلفيس، سفّح جبل الباراناس، فكان الرجل زيون دودون يجيب دعوة المضطرين بدوّي أشجار البلوط المقدسة والرّب أبولون كان يستنصحه دلفيس، وكان يسري مغارة من معبده من شق التراب مجرد تسيّم ظن اليونان أن الرجل بعث به، لأنه لما استنضقه إنسان إلا وخوف وحن ولذا وضعوا أنقية على شق الأرض، وهي عبارة عن إمرأة نيسيا فتجلس على تلّة الأنقية بعد أن تستحم حمام مقدس وتقبل الإلهام، فما هو إلا أن يأخذه شيء من البحران المصري، حتى تبدأ تصرخ بأصوات وتنفوه بكلمات متقطعة فيتلقّها منها سكينة يجلسون حولها فينظمونها شعراً ويدقونها على من جاء يستنصح، فكان هاتف الغيب من نيسيا هذه مشوّهاً ملتبساً، وما سألها كريزوس عما إذا كان يجب عليه أن يشهر على الفرس حرباً أجابته بقولها: إن كريزوس يدمر مملكة عظيمة، ثم إن مملكة عظيمة تقوة أركنها ولكنها كانت مملكة كريزوس، وكان للإسبارتين ثقة عظيمة بالبيسيا، ولم يكونوا يسيرون حملة دون استئثارها، وقاد اقتدى بهم سائر اليونانيين وهنا كدانت دلفي مبعث الهاتف الوطن.

الأمفكتيونيا-- ألف اثنا عشر رجلاً من أعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الأمفكتيونيا حباً بحماية قبر دلفيس، فكان يجتمع نواب هذه الشعوب كل في دلفيس للاحتفال بعيد أبولون وللنظر فيما إذا كان المعبد يخشى عليه من يد الأذى؛ لأنه كان فيه شروة عظيمة ربيّاً تدعو النصوص أن يبهوه، وقد صادر أهل سيراً، وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن

81
الأساس فألعن عليهم الأعيان المشار إليهم حرب من استنتاج الأمور المحظورة وحرب سياج المقدسات فأخذت سيرا وهدمت من أساسها وبيع سكانها ببعض الرقيق وأصبحت أرضها سكان لم تفن بالآمس.

ومع هذا فلا ينبغي أن يذهب ذاها إلى أن مجمع الأمفكيتون أشبه في وقت من الأوقات مجلسا يونانيا، بل إنه لم يكن إلا بمعبد أيونيون لا بالشؤون السياسية، وما قط ضرب على أيدي شعوب الأمفكيتون، حتى لا يثروا بينهم دواعي الشقاق والهاتف الغربي والأمفكيتونيا في دلفس مكانهما من السلطة حظا أوفر من سطوة الهافين والامفكيتونيين ولكننا ما ضم قط أشتات اليونانيين وجعلهم أمة قائمة برأسها.

إسبارطة - شعبها لاكونيا - لما هاجم أهل الجبال من الدورين شبه جزيرة المورة نزلت أعظم عصابتهم في مقاطعتي إسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا وحيد ضيق يشتهيه نهر عظيم يعرف بالأيروس يحيط يحيط بهما جبالان عظيمان غطيت قممهما بالثلوج، وقد وصفهما أحد الشعراء بقوله أيتها الأرض الفنية التربة المخصبة الرباع المتعدر استنباتها واستثمارها أيتها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنيعة بين ظهراني سكانها القدماء فاصبح بعضهم رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم، وبهذا انقسم سكان لاكونيا إلى ثلاث طبقات هم تاهيلوتيون والبيريكيون والإسبارطيون.

الهيلوتيون - سكنت هذه الطبقة من السكان أكواخا منتشرة في القلاة واقاموا على حرح الأرض وزراعتها وما ملكوا الأراضي التي كانوا يعملون فيها، ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها، وما سكان حالهم إن ذلك إلا حال عبيد القرن، الوسطى مستأجرين تابعين للأرض خلفا عن سلف عاملين لماكها الإسبارطي، وكان يتناول منهم أفضل قسم من غلالهم وطلما احتقرهم الإسبارطيون
وحاذوا بأسمهم وأساءوا معاملتهم واضطروهم إلى لبس ثياب غليظة وضربوهم
بلا داع تهددهم أنهم عبيد أرقاء، وربما أسكروهم في الأحاليين لينضروه أبناءهم
من السكر. وقد شبه أحد شعراء إسبارطة الهيلوتين بحمر موقورة تشبه وثناء
تحت عبء الأحمال وإعياء الضرب.

البيريكيون - سكت هذه الفئة مئات من القرن في الجبال، أو على الساحل
والفناء الأسافير البحرية واتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا أحرارا
يدبرون شؤون مزراعهم، بيد أنهم كانوا يدرون ضريبة لحكام إسبارطة ويخضعون
لهم.

حالة الإسبارطيون - أفاض الهيلوتين والبيريكيون ساداتهم الإسبارطيين
يقول كسينونفون لم يكن لأحدهم عندما تكلمه في شأن الإسبارطيين أن يكتم
مبلغ سروه لو تسنى له أن يحكم الإسبارطيين أحيانا زنلت إسبارطة ذات يوم
وكانه تتدد على أركنها، فما كان بأسرع من البرق، حتى انهال الهيلوتين من
أطراف الفلاة ليقتحم الإسبارطيون الناجين من الهلاك، ثم انقضت البيريكيون
وابوا الخضوع على أن الإسبارطيون كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون
سخطهم، وقد أمر الإسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتين
في مساكرتهم أن ينتقوا من أشتهار منهم بالشجاعة ووعودهم أن يعتقواهم،
وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها أشجعهم نفوسا وأجراهم على إبادة
نواجذ الثورة فانتخب ألفان منهم طافوا بهم أرجاء العيد متوجهة رؤوسهم إشارة
إلى البحر، ثم أدخلهم الإسبارطيون في خبر حكان، ولم يعرف أحد كيف هلكوا
على حين كان المضطهدين عشرة أضعاف مواليهم، وما قط ربا الإسبارطيون
على تسعة آلاف رب أسرة يقاتله مائتا ألف من الهيلوتين ومائة وعشرين ألفا
من البيريكيون واقتضى أن يعادل واحد من الإسبارطيين عشرة من مواليهم في
مسائل القتل إذ اعتادوا المصارعة قضت الحال بأن يكون أفرادهم أقوىاء أشداء
فكانت إسبارطة معسكترا لا جدار له، ومكان شعبها جيشا على قدم الدفاع أبدا.
التربيت

الأولاد - يأخذ أطفال هذه الأمة منذ ولادتهم ليكون منهم أجناد فكّل مولود يؤتي أمام المجلس فإذا وجد أنه ضعيف أشوه عرضوه على مجلس: لأن أحوالهم أوجبت أن لا يكون جيشهم مؤلفا إلا من أرباب القوة والجلادة فهم يستحيونهم يؤخذون من أهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع أقرانهم شكانهم أولاد جماعة فيرويون عارية أقدامهم، وليس على أبدانهم غير رداء واحد هو وقابتهم صيفا وشتاء وينامون على مكسس من القصب ويفتشلون في المياه الباردة من نهر الأورون ويلقون من الطعام ويربون كثيرا وأطمتمهم غليظة ليعتادوا أن لا يملؤهم معدهم ويتقمن إلى سرايا سهل سriteria مائة رجل، ولكل منها زعيم وكثيرا ما يريدونهم على التطور بالأرجل والأفحش وبساطتهم في عيد أرتيميس، حتى تسيل دماؤهم أمام هيكله، وربما مات بعضهم متآثر بما غلماهم من الضرب على أنهم قلما يستفتيون فيرون الشرف إلا يرفعوا أصواتهم يريدون بذلك تدريبهم على أن يقتلىوا ويعتملوا العذاب والألم وكثيرا ما ينمون عنهم الطعام بناتا فيسرقون ما يقتاتون به فإذا خذعوا يضربون بالسياط ضربا مبرحا، وكان من أحد أولاد الإسبرطيين: كما قيل، وقد سرق ثعلبا صغيرا وخباء تحت ثوبه أن أثر جعل بطنه فرصة للتعلم ينهش على افتراض أمره وأظهر فعلته، وكان يراد تدريب هؤلاء الأطفال على حسن التخلص في الحروب فيسيرون غاضين أبصارهم ساكتين وأيديهم تحت ثيابهم لا يلتقطون بيمنه، ولا يسرة مكانها على رؤوسهم الطير أمام الهياكل، وكان عليهم إذا يتكلموا على الطعام ويطيعوا بكل من يلقونهم، وذلك لكي يخضعوا للنظام.

البنات - أما سائر اليونانيين فيحجبن بناتهم في البيوت ويشغلنهم ببحياطة الصوف أراد الإسبرطية أن يقوا أجسام نسائمهم و يجعلنهم من المقدّرة بحيث يغلبن الأقوياء من الأولاد فمن، ثم كنضا يرون البنين على غرار البنات إلا قليلاً، ولقد كنضا يترمرون في رياضاتهم على الراكض والقفز ورمي الأطر والطمن.
بالحراب، وقد وصف شاعر ألمانيا كونها ما تكن فيها البنيات كاملة إلى مسترسلة شعورهن والغبار ثائر ورائهن، وقد استنكر من أمرهن أنهن بك من ترنع نساء يونان وشجعمهن.

التهديد - حياة الرجال منظمة أيضا كما كانوا الجندي إذ قضت الحال أن لا تنضني عزائمهم أمام جمهور الأعداء فيكون الإسبريطي في السابع عشر من سنة جنديا ويظل سكذبنا إلى الستين فكانا الأزياء وساعة القيم والمنام والطعام والرياضات محددة معروفة بنظمات: كما هو الحال في ثكنة الجند اليوم إذا لم يحارب الإسبريطي يستعد للحرب فيمن نفسه على العدو والقذف وحمل السلاح ويرفض مولح حين عامة أطراف جسمه من عنقه وذراعيه وصافته وساحقية، ولا يحق له أن يتجر ولا أن يحتف ولا أن يحرث أرضا فهو جندي، وليس عليه أن يحب من مهمته بمحاطة أي: عمل مكان، وليس له أن يعيش في اسمه على هواء فإن الإسبريطيين يتناولون الطعام زمرا ولا يخرجون من بلادهم إلا بإذن، وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو.

الإيجاز في الكلام - قاسي هؤلاء المحاربون شنوف العيش فكانت سحناتهم صفيفة تقرأ فيها العجب والخيلة؛ وكانوا يختزلن الكلام احتراما، وهذا ما يسمى بالكلام الموجز والإفرنجي لا كويبيك نسبة إلى مقاطعة لا كويبيا، وقد بقي منها هذا التعبير فكانت الحكومة تبعث إلى حامية على خطر من مباغتة العدو لها برسالة لا تكتب فيها سوى كلمة الحذر، ولقد أخطر ملوك الفرس جيشا إسبريطيًا أن يطرح سلاحه فأنجب القائد تعال خذه، ولا استولى لراندر على أشياء لم يكتب سوى هذه الجملة سقطت أشيده.

الموسيقى والرقص - كانت الأشغال الإسبريطية صنائع حرية بجيش حمل الإسبريطين معهم ضريبا من الموسيقى خاصة بهم كانت على جانب عظيم من الوقار والحماسة والكرابة في الاستماع، وهي من ضروب الموسيقى العسكرية فيروج الإسبريطين إلى ساحة الوغى على نغمات الزمار ويسيرون على الإيقاع ورقاصهم عبارة عن استعراض قائد الجند فيرقص الرافضون الرقص العسكري.

85
المتأثر ببلاد يونان المدعو بالبيريكيك مسليحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحرب.

بأس النساء - عرف النساء بتحميس الرجال على القتال واشتهرت آثار شجاعتهن في يونان فكتب فيها المصتب، وقد قتلت امرأة إسبارطية ولدها لفراره من الزحف قائلة إن نهر الأوروتاس لا يجري ليشرب منه الوعول، وما علمت إحدى نساء تلك البلاد أن خمسة أولاد لها هلكوا فقالت: ليس هذا ما أسألكم عنه فهلا سكبت النصر لإسبارطة فلم تجبت بالإيجاب قالت: إذا فلنحذد الآلهة ولنشكر لهم.

الترتيبات

الملوك والمجلس - للإسبارطيين أولاً كما لسائر أبناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار ندوة، وقد حفظت كل هذه الترتيبات، ولكن من حيث الصورة فقط فالمملوكون، وهم من نسل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون ولهم حق التصدير في المواضع الأولى في المآدب ويقدم لهم من الطعام ما يكفي اثنين، وإذا ما أحدهم يلبس جميع الرعايا عليه الحداد، بيد أنهم لم يتركون لهم أدنى حكم، بل يراقبون كل المزايدة، وكان مجلس النواب مؤلفاً من ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العمال الغنية القديمة يقومون بما ندبوا إليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون.

المفتشين - إن المفتشين هم السادة الحقيقيون في إسبارطة، وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام وبناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا، وهم يراقبون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الأعمال الحربية وثكير ما يريدونه على الرجعة من الحرب، وهم في العادة يستشترون أعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ما ينبغي باتفاقيتهم، ثم يجمعون الإسبارطيين في إحدى الساحات ويطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون منهم أن يصدروا عليه، أما الأمة فإنها
تستحسن ما تم بالهتاف دون أن نناقش أقل مسألة، ولا يعلم فيما إذا كان للأمة الحق أن ترفض ما قرر، وهي التي علمت الخضوع، وأن لا تعاند أصالة، ومكانة هذه الحكومة حكومة أشراف مؤلفة من عدة أسرات حاكمة فمن، ثم لم تكن إسبارطة بلاد مساواة، ومكان فيها الناس يدعون أهل المساواة، وذلك لأنهم كانوا سواء فيما بينهم، أما غيرهم فيدعون المسؤولين ولم يكن لهم شيء من الحكم البناء.

الجيش - بفضل هذه الطريقة في الحكم احتفظ الإسبارتون بأخلاقهم الجبلية القاسية، فلم يكن عندهم نقاشون، ولا مهندسون، ولا خطباء، ولا فلسفاء، بل إنهم انصرفوا وكملهم إلى الحروب وحذقوا علم الكور والضر، فيما حذق وغير من المقننين لغيرهم من اليونانيين وأتوا العالم بعملين عظميين أحسن طريقة في القتال وأحسن طريقة في التفكير.

المسلحين - كان اليونان قبلهم يسيرون إلى القتال بغير انتظام فيمتطي الزعماء صهوات الخيول، أو عجلات خفيفة ويتقدمون صفوف الحملات والناس يتبوعهم مشاة، وقد تسلح كل منهم؛ كما أراد، وقد تفرقوا طرائق قدها، وليس سيجعلهم أن يكونوا يدا واحدة في العمل، أو المقاومة، وما هو إلا أن يستحيل القتال إلى مباريات، ثم إلى دفاعات، أما في إسبارطة فلم تقابلها بأجمعهم سلاح واحد، وكانت وسائل دفاعهم درعا يغطي النصف الأعلى والخوذة تقي الرأس والمسامي (الطماقات) تقي الساق والترس تجعل في مقدمة الجسد، أما وسائل هجومهم فسيف قصير ورمح طويل ويسمي المسلح على هذه الصورة باسم إيبوليت، وانسلحين من الإسبارتون ممسومن إلى صiban وسرايا وفرق وشراذم على مثال ترتيب جيوشنا لهذا العهد إلا قليلا، فكان الضابط يقود إحدى هذه العصابات ويبلغ رجاهه أوامره الرئيس بحيث أنه يتأتي للقائد العام أن يوجد حرية الجيش بكله، وهذه الطريقة التي نراها سهلة هي بالنسبة لليونان إبداع عجيب.
مصاف الجيش مثلى بلغ الجند مقدمة الأعداء يأخذون مصافهم ويكون مع العادة على ثمانية صفوف متقاربة بعضهم من بعض مولفين من جميع متكافئة تدعى جحافل ومصافا ويقدم الملحك، وهو قائد الجيش عنزة على سبيل النذر للأرباب، وإذا تفافوا فهناك الذي بذلوا في نجاة جمعة من الجنرال يرد دون لحنا وعندما تتوزف صفوفهم فيباغتون أعداءهم مسرعين على الإيقاع ونغمات المزمار والرمم يعول والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراسة فينكسون أعماله بجموعهم ووثوبيهم ويهزمونهم ويقفلون حالا لثلا يقطع مصافهم وإنه ليتسنى لكل جندي أن يحمي أخاه مأهدا سير الجيش صكفا إلى سبب فيكون بذلك سكالبيان الرصوص يتعثر على العدو أن يجد إلى حرقه سببا نعم إن هذه العبئه كثيفة 2 ذاتها ولكنها تكري لغزبة جيش مشوش وقليما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع، ولقد فهم سائر اليونان هذا الأمر فأقندوا جميعهم بالإسبارطيون ما ساعدتهم المكنة، فكان جندهم حينما حلوا مدرجين بالسلاح وقاتلوا جحافل وكتائب متراصة.

الرياضة الجسدية- اقتضى تدريب رجال جفاف أقوياء ليتسنى مهاجمة العدو به مثل تلك الصفوف وتنكنس أعماله لأول وقعة، فكان على شكل جندي أن يحسن البراز والصراع فمن، ثم رتب الإسبارطيون الرياضات البدنية وافتدى بهم سائر اليونانيين فأشحت الرياضة علما من أعمال الأمة كافية وأكثر أعمالها اعتبارا ما يكلل صاحبها في الأعياد العظيمة عرفت إحدى المدن في البلاد النائية بين بربرة الغول، أو البحر الأسود وثبت أنها يونانية إذ كان لها ملعب للأعمال الرياضية، وكما هذا الملعب قطعة مربعة عظيمة تحيط بها أروقة، أو دهاليز، وهي في الأغلب على مقرية من نبع وله حمامات وقاعات للتمرین فيحضر السكان إلى ذاك المكان للنزهة والمجادنة فهو أشبه بنان، ومكان الفتيان يقضون في هذة الملعب عامين على الأقل يختلفون إليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الإطار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الجسم لتنمية العضلات والجلد.
وينغمون في الماء البارد ويطلقون أباداتهم بالزيت ويتمسكون بمسحاة.

المصارعون- معظم الإسبارتئين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات اريا ومروع، فلا يعتزمون أن يصبحوا مصارعين، وقد وقف بعضهم إلى أن تمت على أيديهم خروج ويبقى في رياضات البناء. إن ميلون من مدينة سكورتوس في إيطاليا كان يحمل نورا على مكتفيه يوقف عجلة، وهي راكنة بأن يمسكها من خلفها، ولقد صنع هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الأجناد وصيخرًا ما يقومون بقيادة الرحو، وبهذا صبح قولنا إن الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب.

أعمال الإسبارتئين- تعلم الإسبارتئين من اليونانيين التروض والقتال ووجه منهم مصارعون أقوياء أشداء وجد منظم وعرفوا بهذه المزية في بلاد اليونان، وكناوا من أجل ذلك يحترمون في كل مكان، ولا قضي على سائر الشعوب اليونانية أن تقاتل الفرس مجتمعة تحت رأية واحدة لم يستنكروا من اتحاد الإسبارتئين زعمائهم، قال خطيب أثيني، وكان هذا الأمر بحجة صحيحة واستحقاق تام.

أثيني- الشعب اللاتيني

أثيني- فاخر الأثينيون لكنهم أبدا بلادا واحدة ودعى أجدادهم أنهم وندوا من الرمل كالريزان، وقد اجتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم، ولم يهاجموها وقلما دعتهم أثيني إلى قتالها هذه المقطاعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية ناجئة في البحر على شكل مثلث الأضلاع، وهذه الصخور المشهورة يقطع رخاخها ويعسل نحلها جرداء مردها بينها وبين البحر ثلاثية سهول صغيرة قاحلة لا تروي (لجهاف سواحها في الصيف)، ولا يقوم بتفذية أمة كبيرة.

أثيني- على فرسخ من البحر أعظم من تلحك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منتصبة، وقد أسنى أثيني فسحها، أما المدينة القديمة التي كانت تدعى الأكروبول (المدينة العالية) فإنها كانت في قمة الجبل، وقد أخذ سكان
أتراكيا يتفرقون إلى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها بنفسها ولها ملك فجميع جمعها تحت زعامه، وهو ملك أثينية فيتألفون بذلك مدينة واحدة، وليس معنى ذلك أنهم سكّنهم يحرون رحالهم في المدينة، بل يظل كل منهم يسكن قريته ويزرع أرضه، بيد أنهم سكّنهم عبدهم أربابًا واحدة، وهي أثينية معبودة أثينية وخفضوا بأجمعهم للملك واحد.

ثورات أثينية- قد رجعت أثينية فتنعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (أركون) يتبدلون كل عام وانانا لنجعل هذا التاريخ بكل الجهل إذ لم يبلغنا عن ذاك الوقت أقل كتابة يستند إليها ويري أي أن الأثينيين عاشوا قرونا يد ضيق يضهد أشراف أصحاب الأملاك (أوبيراتيد) العملة من أصحاب المياومات أعراضهم ويبعع الدائنون مدينههم ببع الأرقاء، وقد عهد الأثينيون حيا بتوطيد الراحة إلى صولون أحد حكمائهم أن يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام فثلاث إصلاحات أولا تقليل قيمة السكة، وهو مما سهل على المديينين أن يوفوا ما عليهم من أهون بسبب ثانيا جعل الفلاحين ملوكا للأراضي التي رعزونها، ومن ذلك الحين كسار أثريا أكثر من صغار أصحاب الأملاك مما لم يعقد مثله بلاد يونانية ثالثا قسم السكان عاماء إلى أربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى على كل منهم أن يؤدي الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة نحوها، أما الفقراء فأعفاهما من الضرائب والخدمة، ولقد خضع الأثينيون بعد صولون إلى بيزيرتراس أحد أبنائهم العالمين العارفين ثم بدأ الاضطراب سنة 510.

إصلاح كليستين- استفاد كليستين أحد زعماء الأحزاب من هذه الاضطرابات قصم بثورة عظيمة، ولقد سكن كثير من الغربياء في أثريكا، وكان معظمهم ملاحين وتجارًا يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفأ فأعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وسواهم بالمدينة الأقدمين فصار من ثم نتلقى المقاطعة شعبان مختلفين سكان أثريكا وسكان بيرا وكانا يتميزان أحدهما عن
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
المتثليين (أي المتستقليين)، ولم يكف الرجل: كهما هو الحال عندما أن يولد في أرض أثينية ليست وطنية، بل يجب أن يكون ابن وطنى وعما استوطن الطراء في أثينيا أجيالًا كثيرة، وما عدت فقط أسراتهم أثينية فالمتثليون والحالة هذه لم يكن لهم أن يشتركون في الحكومة، ولا أن يتوجوا وطنية، ولا أن يقتشوروا ملكا على حين كانوا أحرارا أبطالهم ولهم حق السفر في البحر، وأن يكونوا صاراما وتجارا على شرط أن يتخذهم لهم زعيمهم ومولي يمثلهم أمام القضاء، وصحا في أثينيا زهاء عشرة آلاف أسرة من المتثليين ومعظمهم صاراما وتجارا.

الوطنين. أقتحمت الحال أن يكون الإنسان ابن وطنى، أو وطنية ليكون وطنا أثينيا، ومنى بلغ فيتى الثامنة عشرة من عمره بعد عندهم راشدا فيقف أمام جموع الشعب ويدفع إليه السلاح الذي يقضي عليه عمله ويقسم يمينا فيقول أقسم بأنني لا أهين هذا السلاح المقدس، ولا أخلد موقفه في صفوف العداء، وإن أخضع للحكام والقادة وأشرف بدرج وطنى فيكون بهذا الحلف وطنيا وجنديا معًا ويقضى عليه بعد أن يخدم في الجندية إلى سن الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الأمة والقيام بوظائف الحكومة، وربما رضي الشعب الأثيني يجعل رجل وطنيا على حين ليس هو ابن وطنى ولكن يرضي بذلك على صفة استثنائية وتوسعها في المكرمة العظيمة فيوافق المجلس على قبول الغريب وينبغي أن ينتخب على الأقل ستة آلاف وطنى بعد تسعة أيام من هذا الاقتراع، ويجسد جلسة ثانية، وذلك في الانتخاب سري والشعب الأثيني هو صدرامة مطبقة لا يدخل فيه أعضاء جدد إلا إذا رضي الأعضاء القديم بقبوله على أنهم لا يقبلون غير أبنائهم.

المجلس، يلقب الأثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (أي حكومة الشعب)، وليس هذا الشعب ما نعني به عندما من جمهور السكان، بل هو جماعة الوطنيين وخصائص الأشراف وعدهم بين خمسة عشر ألفا إلى عشرين ألف رجل، وهم زعماء الأمة بأسرها ولهؤلاء الجماعة سلطة مطلقة ونكلمها عليها، وهم على
التحقيق ملكي أثينا فإن مجلسهم يلتئم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضة والاقتراح يجمعون في الهواء الطلق في ساحة البيكس فيجلس الوطنيين على مقاعد من حجر ذات درجات ويفتحون المحاكم بإزائهم على مصصبة ويفتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها، ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يتناول فيها المجلس قائلًا من منكم يشرع في الكلام أولًا، ولكن وطني الحق أن يطلب ذلك وعندما يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت أعمارهم وتمت تكلموا صافحة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على سطح البحث فيقترب المجلس بأن يرفع أعضاءه إياهم، ثم ينصرونون.

المحاكم - لما كان الشعب حاكمًا فيما يقضي قضية القضايا لدائه، وركل وطني بلغ الثلاثين من عمره أن يكون من أعضاء مجلس الحكم فيجمع المحاكم في القاعات الكبرى فوقما مكتويبات من خسمايتة نسمة، واثنتين من القضايا يلتئم فرقتان، أو ثلاث فرق من المحاكم فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفًا أو ألفا وخمسة وألف قاض، ولم يكن للأثنين حكام؛ كما هو الحال عندما يرفع القضايا، بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يهدد إليه تجريم المجرمين فيتمثل المدعى والمدعوي عليه أمام المحكمة ويخطب بكل منهما خطبة لا تزيد على وقت حدة بعيرة دقائق مئية، ثم يبدأ القضاة بالوافق على وضع حصة بيضاء، أو سوداء فإذا توفر للمدعى بضعة أراء (أصوات) زيادة على خصمه يحكم عليه ويدهم.

المحاكم - كان الشعب الحاكم فيما حاجة إلى مجلس لوضع المسائل موضعها من النحت والحكام ينضدون ما يقرره ويتألف المجلس من خسمايتة وطني تصيبهم القرعة حولا كماملا وذكاء عدد المحاكم خصعشرة منهم لتهيئة الجيش وقيادته وثلاثون لإدارة الشؤون المالية وستون منهم يعهد إليهم خطة الحسبة من النظر إلى الشوارع ونظافتها والأسواق وبيعها والأوزان والقياسات، وما يتبعها.
منعة هذه الحكومة - لم تكن السلطة في أثينية غير أيدي الأغنياء والشرفاء؛
كما صحّـت في إسبارطة، بل كانت تقرر كل مسألة بأغلبية الأراء وتتعادل الأراء فيجري انتخاب الحكام وأعضاء المجلس والعمال بالقرعة إلا القواد، فإنهم لا ينتخبون مذللك والوطنين يتساءلون لا من، حيث الأمور النظرية، بل من، حيث الأمور العملية، ولقد قال الحكم ستراط لأحد أهالي أثينا المنورين، وكان لا يقرأ على الكلام أمام الشعب: "يا هذا ممن تخاف؟ أمن القصارين أم من السكائن، أو المحاربين، أو الحراسين أم من السوقة والمرتزقين فمن هاتين الطبقات يتتألف المجلس" وكتيرون من هؤلاء الحكام مضطرون إلى الإحتراف ليعيشوا، ولم يكن وسعهم أن يخدموا الحكومة بالجان، ولذلك عينت لهم مشاهرات وأجروا فيتناول كل وطني أجرة جلسة واحدة في المجلس، أو المحكمة ثلاثية فلوس، أو خمسة وأربعين سانتيماً من سكينا، وهو القدر الذي يتأتى لرجل أن يعيش به في ذلك العصر من أجل هذا كثيتر الأعضاء الفقراء في هذه المجالس وجلسوا على دكما المحاصرك مع الأغنياء سكتفاً إلى كفيف ووجه لوجه.
الفوضويون من الشعب - مما كانت تفصل المسائل برمتها في المجلس، أو المحاصرك بالمناقشة فيها وحالة الخطاب في مضامينها كان فصحاء القوم هم أرباب المكانة الكبيرة في الأمة فاعتادت هذه أن تسامع لأصوات الخطباء، وأن تمثل بنصائحهم وتعهد إليهم السفراء، وأن تعينهم قواداً، أو زعماء ويدعى هؤلاء الرجال الفوضويين "أو زعماء العصاة"، أما حرب الأغنياء فيضحك منهم، وقد مثل أريستون الشعب في إحدى الروايات الهزلية في صورة شيخ مصيف فقال: أنت غبي تصدق صدقن ما تسمع تستسلم لأهل النفاق والدسائس يتلاعبون بحك
على هواهم وتغطبت بالسعادة متي خطبوها فيك، وقال أحدهم خطاباً لأحد نع
الأفاف: أنت يا هذا شقي فظ غليظ وصوته شديد، و抱着 بلاغته من القحة، و" حرصتك من السرعة ما يؤلحك على ما أرى إلى سلماً يلزمك لحكم أثينية.
الحياة المنزلية

اختبر الأثنيون وظائف كثيرة عند القيام بها إلى فئة من الوطنيين، فكان
الوطني الأثني وظائف جندي أو أيمنا مهتمًا بالانصار إلى الأعمال
العامة يصرف أيام حياته في إظهار الحرب والحكم على الشعب ويرفض ساعاته
المجلس، أو المحكمة، أو الجيش، أو مجال الرياضة، أو السوق، وكان له
أبداً أسرة وأولاد لأن الدين يأمر بهذلاء ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت.

الأولاد - يحق للوالد عندما يولد له مولود أن يطربه ويطرده خارج بيته
فيموت طريحاً إذا لم يلتقطه أحد أبناء السبيل ويربيه ليجعله مولى له واتتر يرى
أن أثنياً ابتعدت زوجة هذا خطة جماعة الشعوب اليونانية والبنانات صين يبنبدن في
الحراء ويطرحن خارج المنازل أكشر من البنين، قال أحد الخطباء الهؤليين: إن
الابن يري الباب الغالب ولو كان ذووه أقصى دركات الفاقة، أما الأبنة فتهمل
ولو كان أهلاً من الغنى على جانب فإن قبل الوالد الولد يعد من الأسرة ويتلك
أولاد مساكن النساء بالقرب من الأم، حيث يظل البنان إلى أن يتزوجن، أما
البنون فينفصولون عن تلك البيوت أقصى من عمرهم فيسلم الطفل الأثني
إلى المربي الذي يعهد إليه تعليمه وتحسن هيئةه والخضوع والطاعة وبكثيراً ما
يكون المعلم من طبقة الموالي إلا أن وائد الطفل جعله في حل من ضرب ابنه، وهذه
كانت عادة عامة في القديم، ثم يذهب الوالد على الكتاب يتعلم القراءة والكتابة
والحساب وإنجاد الأشعار والغناء مع جماعة الموسيقين على نغمات المزمار، ثم
يأخذ في تعلم الألعاب الرياضية، وهذه غاية ما يتعلمه الوالد فيجيء من هذا
التعليم من أبناء الأثنيين رجال صحيحة أجسامهم هادئة أفكارهم يدعوهم
اليونانيون أهل الصلاح والجمال، أما الفتاة فتطل بالقرب من أمها لا تتعلم شيئاً
ويذهرون إلى أنه يكفي الأثنية الأثنية أن تحسن الخضوع وتبتسم بأهداب
الطاعة، وقد مثل بكسينوفان أحد أغنى الأثنيين المهذبين، وهو يخاطب الحكم
سقراطلاً: لمن زوجه؟ قال: لم تكد تبلغ الخامسة عشرة، حتى تزوجته، وقد
كان ذووها جعلوها إلى ذلك العهد تحت المراقبة الشديدة وأرادوا إلاب تبقى وتعيش.
ولا تسمع شيئاً على التقرب مما أهلها، لأن تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثيابًا ورات بأي الطرق يستخدم الإمام والخدمات، ولما اقترح عليها زوجها أن تكون شريكة في حياته أجابته مدهوشة: على أي أمر أعينها وهل أنا قادرّة على شيء؟ فطالما قالت لي أمي: إن شأني الخاص بي أن اكون عاقلة فمعني تكون المرأة عاقلة أن تعزم، وهذه هي الفضيلة التي تطلب إلى المرأة اليونانية.

الزواج - تتزوج الستّ في الخامسة عشرة من سنها وأهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أسرة قريبة، أو رجلاً طاعة في السن من أصدقاء والدها، ولا يعدو أبداً أن يكون وطنياً أثيناً، وقد تعرّفه الستّة من قبل في بعض الأحيان، وما قط أخذ رأيها في معنى زواجها، ولا تتكلم المؤرخ هيروداتس عن أحد أبناء يونان، قال: إن مكالياس هذا جديد بأن يتكلم المتكلمون بأمره للخطبة التي يسلكها مع بناته فإنها متى صلح سكان للزواج يحلنهم من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار أزواجهن، ومن أبناء الأمة ويزوجهن بمبنختنها.

النساء - كان في داخل كل بيت أثيني مسكن منعزل خاص بالنساء يدعى الحرم، ولا يختلف إلى هذا المسكن غير الزوج والأناضئ يتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويحاتها وأماتها تراقب أعمالهن وتلقنهن أصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف ليحكونها، وهي تشغله نفسها بحياكة القباقب أيضاً وقلمها كانت تخرج من دارها إلا في الأعياد الدينية، ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط، قال الخطيب ارئيس: حقاً إنه لم يكن لأحد أن يجراً على العداء عند امرأة مزوجة فإن النساء المزوجات لا يخرجن لتناول الطعام مع الرجال، ولا يسمحن لأنفسهن أن يأكلن مع الغرباء وغير المحام، وما كانت المرأة التي تخلط الرجال معدة بجمال النساء المحتممات المهدايات وهكذا لم تكن المرأة، وهي على حالها من الاختلال والجهل ذات عشرة مقبلة فيتزوج بها الرجل لا تكون شريكة حياته، بل تقوم بأمر بيه وتد له أولاداً، لأن العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بأن يكون بأمر بيه وتد له أولاداً، لأن العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بأن يكون
للمرء خليلة، وقال أفلاطون: إذا تزوج المتزوج فليس برضا وذوقه السليم بل؛ لأن الشريعة تقضي عليه بذلها، وقال مياندر الشاعر الهزلي: هذه العبارة إذا شئت التحقق فقل أن الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه ولذا كان أبدا للنساء أثينة؛ كما هو معظم المدن اليونانية مقام وضيع في المجتمع.

الحروب الفيلادلة

سببها - بينا كان اليونان آخرين لا تنظيم مدنهم وكان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لوأ واحد، وقد تم تقابل اليونان والشارقة، وكان المتصدرين بينهم لأول الأمر آسيا الصغرى، وكان على شاطئ آسيا مستعمرات يونانية غنية مأهولة فطمع قورش ملكه فارس تضمها إلى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستنجد بالإسبراطيين، وقد اشتهروا بأنهم أجراء أبناء اليونان وانذروا بذلك قورش فأجابهم بقوله إنني ما خشيته قط هذا الضرب من الناس الذين يجمعون في ساحة وسط مدنهم ينخدعون بعضهم بعضًا بالإيمان والعهود (حكامه على ساحة السوق) فغلب أبناء اليونان آسيا وأصبحوا رعايا ذلك الحاكم الأعظم وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان أوريا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فأرسل الأثينيون عشرين سفينة على الأثينيين العصاة فدخل جندهم في ليديا واستولوا عنوة على مدينة سارديس عاصمة ليديا وأحرقوها فأنتقم دارا عن ذلك بأن خرب المدن اليونانية في آسيا، ولم يبق على يونان أوريا، وقيل: إنه أجر أن يتحمل لديه ضابط في كل مأبده يكرر على مساعمه قوله مولاتي تذكر الأثينيين، وقد بعث إلى المدن اليونانية يطلب ترابا وماء، وهذه الإشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على أن شعبا يخضع بلاده لسلطة الحاكم الأعظم فأوجوس معظم اليونانيين خيفة واستسلموا خاضعين ناجعين، فطرح الإسبراطيون المندوبين من الفرس في بحر قليلين لهم أن يأخذوا منها ماء وترابا يحملونها إلى ملكهم، وهذه كانت فاتحة الحروب الفيلادلة.
مبادلة الخصمين. إن التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد أشار إليه
هيرودنات أحسن إشارة في صورة محاورته بين مسيرة كريس ملك الملوك وديمارت
أحد المنفيين من الإسباطيين فقال: هذا إنجازات أن أوكسد لحد أن الإسباطيين
يعلون عليك حرباً، حتى ولو انحاز سائر أبناء يونان سكافة إلى حزبسك ولو ثم
يبلغ جيشهم ألف رجل فأجاب كريس كريس ضاحكاً ولت شعرها هيل وساع ألف
رجل أن يشرووا حرباً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد وإن أخشى أن يكون
ـ ـ كلامك تحدث سكرير وسب أن عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء ألف لقاء
واحد فلو كان لهم زعيم مثلنا فإن الخوف يحمسهم ويزيد نفسهم مضاء
فيرجون بضرب السياط على جيوش أكثر منهم حضناً وعبداً وإذا أن أحرار لا
علاقة لهم بأحد فليس لهم من الشجاعة أكثر مما خصتهم به الفطرة يقول
ديمارت: إن ليس الإسباطيين دون غيرهم بـ حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً
لجد، حتى إذا انضموا بعضهم إلى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن أشجع الناس
وأمضاه وقاصاري القول فإنهم وإن كانوا أحرار بـ الظاهر ليسوا سكذلك، سائر شؤونهم فإنهم حاصم مطلق ألا وهو "القانون" فهم يخافونه كثيراً ويرهنون
بأسه أكثر من ريبة رعايانا لحكا يطبعونه، والقانون يأمرهم أن يثبتوا بـ مصافهم أبداً إلى أن يغلبوا أو يمتوتا - إليك حال هذين يجفون إلى العدو
لا إذا انهالت السياط عليهم، وقد جاءوا بسيف القوة والقهار إلى حرب لا يهمهم
أمرها، ولا سلاح لديهم، ولا نظام بـ مصافهم فهم لا يلبكون أن يعثنوا إلى الفرار
بمجيد أن تغيب أعين الحراس عنهم وتقاطل الماديون والضرس وحدهم بـ بلاته
وميكل ونجا للرعايا، وسكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس ثياباً
طويلة، وقد وقيت رؤوسهم بقلنسوة من لباد وحفظت أجسامهم أطراس من شجر
الصفصاف والخلاف وسلاحم قوس ومدبة وحربة قصيرة جداً، ولم يكونوا
 يستطيعون القتال إلا بعيدين ويقاتل الرجل رجلاً مثله، أما الإسباطيون
المتحدون معهم بعقد المحالفة فكانوا على عكس ذلك تقيهم التروس العظيمة

98
والخوف ووقايات السوق ويسيرون جموعا مشتقة لا تقاوم يخرقون صفوف العدو بحربهم الطويلة، وما هو بأسرع من رد الطرف، حتى تصير الحرب ملحمة سعبرى ومذبحة تباع فيها الأرواح ببع السماح.

نتائج الحروب المادية: قادت إسبارطة الجيوش، ولكن كما، قال هيرودتس:

كانت أثينا هي التي أنقذت اليونانية بأن كانت لها مثالاً في المقاومة والقت، أسطول سلاميني، وقد استفادت أثينة من هذه النصرة، أما المدن الآثينية من الجزر وشاطئ آسيا حملة واحدة، فقد ثارت ومردت وألقت عصابة تابعة فيها على الموت ٢ سبيل الدواد عن أوطانها من مهاجعة الفرس وأما الإسبارتيون، وهم شعب جبلية فلما لم يستطيعوا أن يسيروا جزءا من العاصفة، وعس عام ٥٧٦ جمع أريستوديس قائد أسطولهم نواع المدن المتحالفة فقرر يأم يقوم على متابعة حرب الخاقان الأعظم وتأمروا بينهم على تقديم سفن ومحاربين فان يؤدوا لكل سنة قطيعة من المال قدرها ١٠٠؛ تالاتا (أي مليون وسبعمائة ألف فرنك) وجعلت الحرابية بمدينة ديلوس ٢ معبد أبولون معبد الآثينيين، وكاد عهد إلى أثينة أن تقول اليوش وتجبي القتطاع، وقد ألفى أريستوديس ٢ البحر قطعة من الجديد المحلي واقسموا كلهام أن يحتفظوا جميعا بالعهد إلى يوم تطفو هذه الحديدة على سطح الماء، وذلك حبا بتأكيد العهد وتفاديا من نقض بين الإخلاص.

وقد حدث مع هذا أن الحرب وقفت وعقد اليونان، وكان النصر أليف ألوتهم أبدا معاهدة سلمية، أو هدنة مع الخاقان الأعظم فثأرة الملك أن يعد يونان آسيا من وقائع (نحو سنة ٤٤٩) وهنا سؤال يورد ٢ هذا الباب، وهو كيف انتهت معاهدة أريستديس وهل مكان على المدن المتحدة أن تؤدي القتطاع على حين ليس عليها أن تقاتل بعد فأ لدى بعضها ذلك، حتى قبل أن أطلت نار الحرب وزعمت أثينة أن المدن كن كانت أخذت على أنفسها العهد على الدهر فاضطربها إلى أن تؤدي ما يطلب إليها، حتى إذا وضعت الحرب أورارها لم تجد حراة ديلوس فتيلة.
ولذلك نقلها الأثينيون إلى مدينتهم واستخدموها لِإِبِنَاءِ المِصَانِعِ والمَعَافِدِ.

وَلِلَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ المَتَحَالِفِينَ يَدْعُونَ مَا يَتَقَاضَوْنَهُ مِنَ الْضَرَّارِبِ لِلْخَلاصِ مِنْ أَيْدِيِ الْفَرْسِ فَمَنْ، ثُمَّ لَمْ يَكُن لَهُم مَا يَتَابِعُونَ بِهِ بَعْثَةً مَّادَمَتُ أَثِينَا. تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَادِيَةَ الْخَاقَانَيْنِ الأَعْظَمَ، وَهَذَا مَمَّا غَيْرِ حَالَةٍ المَتَحَالِفِينَ فَصَارَوْا مِلْزِمِينَ بِدَفْعِ الْضرَّارِبِ لأَثِينَا. وَمَا عَمْتَمَّ أَمِسَّوا رَعايَاهُ فَزَادَتْ أَثِينَا فِنَائُهُمْ وَأَكْرَهَتْ مَوْاطِنِهِمْ عَلَى الْمُثُلَّ أَمَامَ المَحاكَمِ الأَثِينِيَّة. بَلْ قَدْ أَنْفَذَتْ بِطَوْارِئِ مِنْ قِبْلَهَا لِيَسْتَعْمَرُوْا جَانِبًا مِنْ أَرْضِهِمْ، وَهَذَا الْنَّظَرُ أَصْبِحَتْ أَثِينَا أَمَّ الْقَرْرِ تَحَكُّمُ زِهَاء ثَلَاثِمَائَة مُدَنِّيَةٍ مَتَفَرَّقَةٍ مِنْ الجِزَرِ وَشَوَاطِىْ الأَرْخِبِيَّةِ وَتَجَبِيْ قَطْبِيَّةً قَدْرَهَا سَمِتِمَا تَالَانِ بِكَلْ سَنَةً.

الصنائع في بلاد اليونان

أَثِينَا عَلَى عَهدِ الإِمْبَرَاطُورِ بِيرِكَليِس

بيركليس - كَانَتْ أَثِينَا مِنْ مَنْتَصِفِ الْقَرْنِ الخَامِسُ مِنْ أَقْدَرِ المُدَنِّيَّةْ، يَدْبَرُ أَمَراً بِيِرِكَليِسْ أَحَدَ أَبْنَاءِ الْأَسَرَّاتِ العَظِيمَةِ، وَكَانَ مَقْلَا مِنْ الْكَلَامِ غَيْرِ مِتَبِدِّلٍ بِشَخَصِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعْ بِهِ اْعْمَالِهِ رَضاً الأَمْةَ، بَلْ كَانَ الأَثِينُيُونَ يَحْتَرَمُونَهُ، وَلَا يُجِرُّونَ إِلَّا عَلَى نَصَائِحِهِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِأَنَّهُ مَتَمْكِئٌ مِنْ شُؤُونِ الإِدارةِ وَمَعْرِفَةِ الْبَلَادِ، وَلَذَلِكَ دَخَلَوْا تَحْتَ سَيِّدَتِهِ وَحَكَمَهُ فَأَدَارَ سِيَاسَةَ أَثِينَا شَكْلاً أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ كَمَا قَالَ مَعَاصِرِهِ تُوْسِيْدِسُ المُؤْرِخُ: إِنَّ الْحُكْوَمَةِ الْدِيمَقْرَاطِيَّةِ كَانَتْ مَوْجُودَةً بِالْآمَنِ، بَلْ كَانَتْ تَلْحَكَ الْحُكْوَمَةِ حُكْوَمَةُ الْوَطَنِيَّةِ أَوْلِيَ الْتَحْقِيقِ.

أَثِينَا وَمَصَالِحَهَا - كَانَتْ مِنَازِلُ الْقُومِ الخَاصَةِ بِأَثِينَا؛ كَمَا مَعْظُومُ المُدَنِّيَّةِ الْيُوْنَانِيَّةِ ضَيْقٌ وَأَطْلَةٌ مُتَرَاكِمَةٌ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ يَكُونُ آزَقَّ ضَيْقَةٌ مِنْهَا، وَقَدْ جِلَ الأَثِينُيُونَ عَظِمُّ مَعَالِمِهِمْ عَالِمًا فَمَنْذَ أَخْدَا يُجِبُّونَ مِنْ مَحَالِفِهِمْ قَطَائِعٍ لِتَصْرَفٍ ضِبْرَ السَّبِيلِ الْحُرُوبِ كَانُوا يَنْفَقُونَ...
النفقات الطائلة للإقامة أببنية جميلة فعمروا بها ساحة أحد الشوارع رواقاً مزينًا بالصور (الفضسلا) وأنشئوا في المدينة دار تمثيل ومعبداً إكراماً لتيريس أحد أبطالهم وأوديون معهد الشعر الموسيقى. وذللك للمسابقة في هذا العلم، ولكن قامت أجمل المباني على صخرة الإكروبول مكانها على قاعدة هائلة، وهما معبدان (أحدهما هو البارثينون جعل قريباً للمعبودة أثينا حامية مدينة أثينا) والآخر هو الـ " المعبد من الفلز يمثل أثينا وسلم من الآثار الجليلة يصل إلى البروبيليس ورواق الرخام " أثينا. ومن ذللك العهد كانت أثينا أجمل بلاد اليونانية وأنضراً.

عظمة أثينا - ومع ما خصت به أثينا من الصفات المصاح إليها كانت أيضاً مدينة أهل الصنائع، فقد حشر إليها الشعراء والخطباء والمهندسو المصصرون والنقاشون، وسكان بعضهم من أهل أثينا ووجهاؤها وجاءها البعض الآخر من أطراف أرض اليونان يحملون إلى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائفهم لا جرم أنه نبغ كثير من أرباب الصنائع اليونان لم يكونوا من أهل مدينة أثينا، وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن، ولكن كل أن اجتمع هذا القدر العظيم من أرباب الصنائع في مدينة واحدة، ولقد كان معظم اليونانيين من أختص أرباب المعادن في الصناعات وموادها، بيد أن الأثينيين فقاوا غيرهم بحس ذوقهم وصنع أيديهم وامتازوا بعقلية من الثقافة ورغبة في الطرق وأثار الطرق والبطائف، ولئن جاء من أبناء اليونان أمة رفيعة القدر عالية المكانة في تاريخ الحضارة فذللك لأنها أمة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة، ولا بلالهم الصغيرة الرقعة خدمت العالم خدمة أعظم من خدمة صناعهم لها فإنهم قاموا بثورة السبب الذي من أجله كان القرن الخامس أجمل عهد في تاريخ اليونان، والداني إلى أن جعل أثينا تتأثر بفضل الشهرة أكثر من غيرها من المدن اليونانية.
الآداب - الخطباء

امتازت أثينا أولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً بلد الأدب وحسن الإلقاء.
فبلخطب في مجلس الأمة يقر إشارة الحروب وعقد السلام وقطع القطائع والأضرار وشكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنى الروماني، أو يبررون فللحضوط الستة، وعلى الأمة أن تعمل بنصائحهم ومواعظهم، وربما عهدت إليهم بتدبير شؤون الممالك، فقد عين كليون قائدًا ورأس ديموستين الخطيب حرب فليب ولهذين نقود وعقائراً ما يتجاوز إلى بلاغة القول تنفع من عداتهم في سياستهم، وربما اغتنوا لأنهم ينالون من أرباب الغايات ما يرضيه من المال ليضروا أحد الأحزاب، فقد أخذ أثيل مالاً من مكدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس.

ثم إن بعض الخطباء ينشؤون خطبباً ليلقينها غيرهم، ولا يسوع لن مكانة له قضية أن يرفعها بواسطة محام: كما هو الحال عندنا، بل تقضي شريعة البلاد أن يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات، فن، ثم كان عليه أن يروح إلى أحد الخطباء يلتمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليتلوه أمام المحكمة ونطلقها جاب بعض الخطباء للبلدي اليونان وتكلموا في موضوعات توجيهاً إليهاسه الخيلية فأقاموا لهم: كما نقول مناقصات وعقدوا أندية ومؤتمرات ومكن قدماء الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على أن يقصوا على المنابر الكوانين بدون أن يعمدوا إلى أساليب خطابية فيقفون من المنبر لا حراك لهم دون أن يصرخوا، أو يتحرجوا، وكان الملك بيركليس يخطب خطبه على طريقة هادئة دون أن يحرك أهداب ردائه عندما كان يقف في منبر الخطابة، وقد تكلل رأسه حسب العادة بورقة الشجر يرسم الشعوب أنه يتخذ رباً من أرباب الأولياء، ولكن الخطباء الذين جاءوا بعد ذلك طمعوا في إدارة الأمة والمنفوذ إلى شعورها

(14) (أشهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فلعا خطباء أثيكيه العشرة)
واسطحلاحوا على الإنشاء المتبين يروحون في المنبر، ويعدون منشدين متحركين، وما عمتل الأمة أن اعتادت هذا الأسلوب في الفصحية، ونما أخذ دياموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الأولى طفق الحضور يقدهم ويشكون من أسلوبه إذ لم يكن يحسن التلفظ، ولا الوقوف، ثم ما لبث أن مر على الإلقاء وإحسن الحركات المطلوبة، حتى صار نديم الشعب وعزيزه دبت الأيام ودرجت الليالي ودياموستين خطيب له، وقد سئل بعد عن أول صفة في الخطيب فاجاب بأنها العمل، ثم سئل ثانية فقال: العمل، ثم سئل ثانية فقال: العمل ومنعى العمل طريقة الإلقاء فإنها سكانت تهم اليونان أكثر من الخطبة.

الحكاماء - كان منذ قرون منذ يونان آسيا خاصة أئمة يراقبون المادة ويفكرون فيها أمراً لقبوا بالحكاماء والعلماء، وقد عثروا بالطبيعياوات والفلسفة والتاريخ الطبيعي إذ لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهنا حكايatal مشاهير الحكاما السبعة ببلاد يونان في القرن السابع.

السقراطيون - جاء ناس على قرب عهد بروكليس إلى أثينا فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من التلاميذ أنشئوا بمقاضتهم أجور الدروس التي يلقونها وجعلهم لديهم الإنكار على الدين والعادات وأصول إدارة المدن اليونانية ويعمون أنها غير مبنية على العقل ويأخذون من ذلك أن المرء لا يعرف شيئاً صحيح، مما يكمن قرباً من الصواب في عهدهم، وليس في طاقته أن يعرف أمنا صدقًا مكان أو زراء، وقال أحدهم: لا وجود لأمر ومتى وجد صمته معرفته ويدعى هؤلاء المعلمان للتشكيك والسقراطيون، وقد خص بعضهم بملكية الخطابة.

سقراط، الفلاسفة - حاول سقراط أحد شيوخ أثينا أن ينكر على السقراطيون ويوقفهم عند حدهم على فقر حاله ويشاعاة منظمه ولكنه لناسه، ولم تكن له دروس يلقيها كأولهم السقراطيون، بل يكتشف بالروح إلى المدينة يخاطب من يصادمه من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الأسئلة على أن يفكروا

103
فيما ينكر فيه بنفسه، وكان بحثه مع الفتيان خاصاً يعلمهم وينصح لهم، ولم يكن يظهر سقراط أنه شدا شيئاً من العلم، بل كان يقول إن غاية علمي أني أدي بأني لا أدي وود لو دعي فيلسوفاً محبلاً للحكمة لا حكماً سكسيار تلحك الزمر، ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون، أو مسألة من مسائل العالم، بل كان همه دراسة أحوال الإنسان، وكانت حكمته في قوله اعرف نفسك، فكان من ثم مبشاراً بالفضيلة وإذ إنه يتكرّر ما كان يخوض في الموضوعات الأخلاقية والدينية عدة الأثنيون سقسطانياً، وفي سنة 399 مثل أمام المحكمة متهماً بأنه يتجافى عن عبادة أديان المدينة وأنه يحاول إدخال أرباب جديدة إليها ويضدد على الشبان عقائدهم، فلم يحاول أن يدافع عن نفسه، بل حكم عليه بالموت، وكانت سنة إذ ذلك سبعين سنة فانتصر له سكسيوسون أحد تلاميذه وألف أفلاطون من الفلاسفة محاربين أمام سقراط زعيم المتحاربين فاعتبر من ذلك العهد أبا للفلسفة، أما أفلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف 249 - 348 ولخص أرسطو تلميذ أفلاطون 384 - 222 علمون عنصره كافية في كتابه وق انقسم الفلاسفة الذين أتوا بعد المعلمين أرسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعة أفلاطون بالروائيين وشيعة أرسطو بالمشائيين: لأن أرسطو كان يعلم، وهو يروح ويغدو.

الموسيقيون: كان من العادات القديمة أن يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود، ثم يرجعون واقفين صلاً، وقفة ذات معان وإشارات إذ كان القدماء يرقصون بأجسادهم كلها ويخلطون رقصهم كثيراً عن رقصنا، وهو ضرب من التطور الحماسي وأشبه برواية ذات إيماء، وكان هذا الرقص الذي أبدا مشغولا بأغاني تعظيمها للأرباب وسمى جمهور الراقصين والمغنيين جمعة الموسيقيين، ولم يندمون على جامعتهم من الموسيقيين، ومنهم أبناء أشر العمال بعدون سكالة بعد أن يستعدوا زمناً، ومن فرط العناية أن يكون خدمة الرب جديرين بخدمته.

الروايات الفاجعات والهزليات: كان يحتفل الفتيان في الأرياف المجاورة
لأتيئة كل عام بإقامة المراقص الدينية إكرارا للرب ديونيروس إله الكرمة،
وكان بعض هذا الرقص متناقلا يمثل أعمال المعبود فيضرب رئيس جماعة
الموسيقين على وتر أغنية ديونيروس ويصور جوقة رفاقه، وهم أنساؤهم أمر
تيوس يسكنون الغابات، ثم يأخذون تمثيل عيش أرياب أخر وأبطال قدماء، ثم
خطر لأحدهم أن ينصب مصطبة يجيء ممثل يلعب عليها عندما ينقش جوق
الموسيقى عن الضرب بأنغامه وهكذا تم المشهد ونقل إلى المدينة بالقرب من شجر
الحور الفارسي، أو مجتمع السوقة فشأت من ذلك الروايات الفاجعات.
أما الرقص الآخر، فكان مضحكا فينكر الراقصون وجوههم ويتغنى بمداعب
الرب يونيوزيس، وقد شابوها بأضاحيك يسلون بها الحضور، أو بتصورات هزلية
في حوادث حدثت ذاك اليوم، وقد صعب الجوقة الهزلية ما صنع الجوقة المفعج
من إدخال ممثلين ومحاورات ونقل المشهد إلى أثينا، وهكذا نشأت الروايات الهزلية
الكوميديا من أجل هذا كنذات الروايات الفاجعات تمثل إلى يوم الناس هذا أبطالا،
أما الروايات الهزلية فتمثل حياة لكل يوم واحتفظت الفاجعات الأصالة والهزليات
ببعض أصولها وظلت تمثل أمام هيكل الرب، وإن تكون فاجعة، ولكن غدا الممثلون،
وهم جلوس على المصطبة أصحاب موقع المشهد، فقد ظل جوق التمثيل يرقص
ويغني، وهو يطول حول المذبح، وكان جماعة الموسيقين في الروايات الهزلية؛
كما كان يجيء المتنكرون بدون ملاحظاتهم على السياسة بفضلة.
الملاهي - جعل في منحدر قلعة الأكروبول ملعبا للرب ديونيروس إله الكرمة
يسع ثلاثين ألف متفرج، وذاكو ليحضر الاثنين سبعة هذه المشاهد، وكان
هذا الملعب وكسائر الملاعب اليونانية مكشوفة تحت السماء، ومؤلفا من درجات
من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بإجراء جماعة الموسيقى، حيث كان
يطرش المنشدون أمام المشهد الذي تمثل فيه الرواية، ولا تقوم المشاهد فيه إلا
بوقات أعياد الأرباب، بيد أن المشاهد كانت تدوم إذ ذاك عدة أيام متتالية يبدأون
في الصباح عند بزوغ الخزالة ويمثلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتهي
على ضوء المشعل من الليل والفجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات أخرى في الأيام التالية وهكذا سكان المسرد ميدان مسابقة بين الشعراء والأمة تعطيهم جوائز الاستحسان وأشر هؤلاء المتبازين أشيل وسوفقليس وأربيدس، وقد عهدت المسابقة أيضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية، ولم يؤثر من كله ما ألقوه من الروايات غير قطعة واحدة ألفها أريستوفان الشاعر الهزل.

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية - قامت أجمل المباني في اليونان تعظيمها للأزراب فتمت ذكرتها هندسة اليونان فلا يذهب الفكر إلا إلى معابدهم، وليس المعبد اليوناني كنماهما النصرانية خاصا بقبول المؤمنين الذين يهرون إلى الصلوة فيها، بل هو قصر ينزله أزراب وبمثابة يمثله قصر تحفة الأبهة والجلالة، ولا يلبجه جمهور المؤمنين، بل يظلون خارجه حوالي المذبح تحت السماء، وقد قامت مقصورة الازراب في وسط المعبد، وهو مرار سري لا نافذة له، ولا ضوء ينفد إليه إلا ما كان من سكونه الأعمى وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب، أو رخام، أو عاج لابساً ذهباً مخلي بالنبيذ والحلي وطبيس ما يكون هيكلاً عظياً، وقد مثل زيوس في معبد الأولياء قاعداً ويكاد يصل رأسه إلى القمة ولذا قيل إن الازراب لو تمثل قائماً لحرف السقف، وقد حجب هذا المزار عن الأنظار من مكان داخلي، وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويجتزء بكل من أراد دخوله ضرية من الرواق مؤلفاً من صفوف من السواري ووراء الصرف غرفة ثانية مغلقة فيها الأعمال الثمينة الخاصة بالزراب وجميع مقتنياته وربما جعل فيها ذهب المدينة وفصيتها وهكذا مكان المعبد صواناً ومكنزاً ومتحفاً تحيط بالمعبد صفوف من السواري من أطرافه الأربعة مؤلفة حوالي جدار المرار غشاء ثانياً للزراب وسكنوزه والسواري على

(15) (مكان في البارثينون أحد معابد أثينا على قول خنزرة صدى الأزراب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس وخوذات وسيوف وحيات من ذهب ومنضدة من عاج أيضاً)
ثلاثة أنواع تختلف باختلاف أساسها ورأسها وتجها، وعلى كل منها اسم الأمة التي اخترعتها وأكثرها من استعمالها، وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الأيونية والسواري الكورنثية، ويدعى العبد باسم السواري التي بني عليها وفوق الأعمدة حوالى البناء صفائف من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها يتألف الإفريز ويعلو العبد بنية مثلثة في أعلى مقدم البناء مزدانة بتماثيل قد صورت المعابد اليونانية بألوان عديدة من أصفر وأزرق وأحمر وبيقي أهل التمدن الحديث زمننا، وهم يأبون تصديق ذلك، وكان من الورم العام أن لأبناء اليونان ذوقا معتدلا جدا في نقش البناء، بيد أنه اكتشف في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقى مجالا للشك، حتى أدت الحال بالباحثين أن علموا بالتأمل فيها أن تلك الألوان اللامعة لم تحسن إخراج الخطوط، وكان عليها أن تحسنه أكثر من ذلك.

صنعة النقش اليوناني - يتراءى المعبد اليوناني بادئ ذي بدء أنه سائر لا زينة فيه، وما هو إلا علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر، أما الواجهة فتحتوي على شكل مربع تعلوه زاوية فلا ترى لأول نظرة غير خطوط مستقيمة وأسلطانات، حتى إذا نظرت فيها عن أمم يكتشف لحك أنه ليس من هذه الخطوط المستقيمة إلا خط واحد مستقيم في الحقيقة والسواري مفتوحة نحو الوسط والخطوط القائمة منحنية قليلا نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط، وكان هذا من الدقة بحيث أقضى قياسه بالتدقيق لاكتشاف الصناعة فيه، وقد لحظ النقاشون اليوناني أن إخراج مثل هذا المجموع المتطابق من البناء يقتضي تجنبد الخطوط الهندسية التي تظهر منحدرة وتوفير العناية بظواهر الناظر البعيدة، قال صاحب يوناني: إن غاية النقاش أن يخترع طرفًا يسحر بها أعين الناس، ولقد كان أهل الصنائع في يونان يعملون بإخلاص؛ لأنهم يعتقدون عملهم قريبا من أحد الأرباب لذلك كانت صنائعهم معنينا بها في كل أطرافها، حتى فيما لا يرى منها، وهي من المثابة بحيث يطول أمد بقائها.
بعد لو لم يعالجوا التخريب بشدة ودام اليونانيون إلى القرن السابع عشر سليماً وانشقت شطران بانفجار مخزون من البازار مكان بقريه، وقد جمع النقش اليوناني إلى المكانة حس ذوق وابس السذاجة عالماً وممارسة زالت معابد اليونان سكلاً تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبتعثاً مخدوشاً مهدداً متداعياً الأركان، وربما كانت طبقات من سوار على إنها تكفي على علالها أن تلبس نظرة من يراها.

النقش - لم يكن النقش عند المصريين والأشوريين إلا زينة من توابيع الأبنية، أما اليونان فقد أحلوه محل صناعة رئيسة وأشهر أريب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيلا وليس فينقشون البازار دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواجهته والبنية المتلاجة على البناء، ومن هذا النوع الإفريز الشهير في الباناتينييه المحيط بالبارثينون، وهو يمثل تطور في شبات أثينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير، وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماثيل خاصة بعضها يمثل ريا ويستخدم صنما وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الألعاب الاحتفالية أقامت له هذه التماشيل جراء نصرته وأقدم التماثيل اليونانية منحدرة وجاء تشبه النقوش الآشورية، ثم غدت لدنة ظريفة، وكانت أعظم الأعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيلا في القرن الرابع، أما تماثيل القرن التالية فإنها على التأثين فيها أقل شفرة وعظمة، وكان في يونان ألف من التماثيل إذ أن لكل مدينة تماشيلها، وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون، وم يبق منها على سكرتها غير خمسة عشر تمثالاً لم تعبث به الأيدي، ولم تنقل إليها طرفة من الطرف الشهرة بين اليونان وأشهر تماثيلنا اليونانية إما أن تكون نسخة من الأصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا، أو أعمالاً أثرت عن عصر الانحطاط مثل تمثال أبولون في البلقيدير ومع هذا، فقد بقي منها ما يكفي إذا أضيفت إليها قطع التماثيل والصورة البازرة التي ما زالت تستخرج بالحذر، لأن يتصور المراه حالة النقص اليوناني ويكون له فكر إجمالي عنها فالكتبون اليونان فكروا أولاً في تمثيل أجمل الأجسام في ظهور وقور
شريف، وما أضاعوا الفرص، كما سنحت ليشهدوا أجمل الرجال في أجمل الهيئات من محل الرياضة والجيش والمراقص والأجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها، وما ضاهاهما أحد محاصِة الجسم البشري، ومن العادة أن يكون الرأس صغيراً تمثال يوناني ووجه ساكناً شامداً، ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه، بل يعنون بجمال التخطيط، ولم يراعوا التناسب بين الأعضاء والرأس والجسم برمتها مثل المجمل في التمثيل اليونانية.

صناعة الخزف - عرف اليونان أن يتخذوا من الخزف صناعة حقيقية دعوها سيراميكك بقي منها اسمها فقط فالخزف، أو الخزف لم يعتبر في اليونان مساوياً لسائر الصناعات، ولكن له منفعة عظيمة لنا، وذلك أنا نعرفه أحسن من معرفتنا غيره، فقد تدأعت المعابد والتمثال، أما أعمال الخزافيون اليونانيين، فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم، وقد جمع منها إلى الآن زهاء عشرين ألف خزفة متحف أوروبا، وهي نوعان الأولي المنقوش بنقوش سوداء، أو حمراء على اختلاف الحجم والشكل والتمثال الصغيرة المعمولة من التراب المطبخ التي عرفت منذ خمس عشراً سنة قد اشتهرت الآن، أو صادة من الهند اشتهرت السفينة البديعة تماثل في بوصية ومعظمها أنصوب صغيرة ومنها يمثل أولاداً أو نساء.

التصوير - اشتهرت في اليونان عصابة من المصورين مثل روكسسيد وفاراريوس وإيبل وأصل ما اتصل بنا عنهم يرجع إلى بضع أئاصيص وربما سكانت مبهمة في الأحراشين، أو إلى بعض أوصاف لها صور، إذا توقف على حالة التصوير اليوناني قد اشتهروا على ما عثر عليه من تصوير الحواجز في بيوت بومبي إحدى المدن الإيطالية، وهي من القرن الأول للميلاد، وكانها تقول بلسان الحال أننا لم نعرف عنها شيئاً.

التجارة الأثينية - أصبحت أثينا في القرن الخامس مدينة كبيرة على صاعت أثيويا إقليما مبسببا لم تغل ما يكفي لإعاقة سكانها فتتضطر إلى جلب
الحنته والخم وليسم والسمن والسماك من الخارج، وقد كان عبيد أثينا على العكس يُعملون النبات والخزف والسلاح والأثاث مما يباع خارج بلادهم فمن، ثم انتشرت أساليب التجارة فكانت البضائع ترد إلى مرفأ بيراو تصدر منها، وكانت أنشئت فيها أرصفة ومخازن، وقد سماها أحد الخطباء في القرن السادس بأنها سوق بلاد اليونان بأسراها، وكانت تأتيها حاصلات بلاد الشمال خاصة وتحمل إليها من الداخلية على موانى البحر الأسود وتراسيا الحنته والخشب والجلود والعبيد، وكانت أثينا تتجر مع اليونان النازلين في جنوب أيطاليا إلى نابولي وإذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها، فقد كان يأتي أثيني دراهم من ضروب مختلفة فاضقت لذلوك صيارة بيدلوك، وكانوا يبدونهم ترابيرت؛ لأنهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منضدة ترابيزا، وكانوا صامتين تقريبا من الغرباء الذين أصبحوا مبتكرين. ثم إنهم كانوا اتخذوا مهنة أضافوها إلى مهنتهم تلك، وهي إقراض النقود فيزون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بنحو 30 في المائة.

حرب المورة

خصائص عامة الاستيلاء على أثيناء

خصائص عامة - انقسام اليونان إلى قسمين بعد تأسيس أثينية في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة لأثينية والمدن الداخلية باقية تحت إمرة إسبرطة وبعد خلاف طال أمرا نشب الحرب بين إسبرطة وحلفائها في ذلك الصدع من جهة وأثينية ورعاياها الساحليين من الجهة الأخرى، وكانت هذه الحرب التي المعروفة بحرب المورة دامت سبعا وعشرين سنة (444-425) ولم الاقت أورارها عادت فنشبت باسم آخر إلى سنة 360.

كانت تلحك الحروب مشوشة يقتلل المتحاربين فيها بما وحرا يفتدون في أرض اليونان، وعليه استرها وتراسيا وصلبية، أي من أصناف مختلفة، ومكان جيش
الإسبأطيون أحسن انتظامًا فجعل مقاطعة أثينيا قاعًا صفصافًا؛ وكان أسطول
الأثينيين أكثر استعدادًا فحرب الشواطئ، ولم يؤثر عن تلك الحرب الناشئة
بين المدن اليونانية إلا استهداف ويكف الإشارة إلى بعضها. فقد كان
اختلاف الإسبأطيون بدأ الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم
فقابلهم الأثينيون بقتل سفراء إسبارطة بدون أن يستمعوا لأقوالهم.

خضعت مدينة بلاتينة صلحا، وكان وعد الإسبأطيون جماعة المحاصرين
بأنهم لا يعاقبون أحدًا بدون محاكمة وليست مع هذا صيف سكان قضاة
الإسبأطيون يعاملون أسرى.

يسألون سرًا واحد منهم بما إذا قام في خلال الحرب بخدمة للإسبأطيين.
فكأن الأسير يجيب ساباً فيما يحكم على بالإعدام، وقد بيع النساء كايماء
صعب مدينة مدلية على الأثينيين فأعادوها إلى طاعتها. ثم اجتمع الشعب
الأثيني وبعد المشورة، بيد قضي بإعدام سكان مدلية نعم أنه رفع من العدالة عن
رأيه وأرسل بعثة ثانية تحمل العفو عن أولئك المنتقصين بيد أنه صاحب
حكم الإعدام على زهاء ألف من سكان مدلية، وكان من العادة إذ داهم جيش
بلاد العدو أن يخرب البيوت ويقطع الأشجار ويحرق الغلال ويقتل الخرابين، وبعد
إنهاء الحرب يجهز على الجرحى ويمدد إلى قتل الأسرى صبرًا، وإذا جرى
الاستيلاء على مدينة يؤول بكل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رجالها ونسائها
وأولادها؛ كما يبيع العبيد هكذا كانت إذ ذاك حقوق الحرب، وقد أوجها
توسيع خطاب له في الجملة الآتية، قال: تنفق المسائل بين الناس بواسطة
قوانين العدل متأطرة إليها من الطرفين، ولكن القوى يأتي ما يقع طاقته
والضعيف يذعن له والأرباب يتسلطون بضرورة الفطرة: لأنهم الأقوياء والناس
يجرون على مثالهم.

الاستيلاء على أثينيا - وما تعب الشعب من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم
بينهما، ولكن أمده لم يطل، وذلك أن أثينية بعثت بجيشها إلى صقلية لتفتح

111
سيراقوس المحالفة لإسبارتة، وهنا أحيط به وبعد نكبة سيراقوس أسر الجيش الأثيني برمته وطفق الغالبين يخشون عامة القواد وجماعة من الجن، ومن أنبئوا عليه أنزلوه إلى تومي، وهي مقالع قديمة كانت تتخذ حبوسا القوهم فيها سبعين يوما متراحمين متراحمين لا وقية تقيهم حرارة الشمس الصيف، أو رطوبة ليالي الخريف فمات كثير منهم مرضًا ووجعًا وعطشا؛ لأنهم لم يكادوا يطعمونهم إلا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبيقت أشوازهم ملقاة على الأرض تفسد الهواء، ثم أخرج أهل سيراقوس من بقي حيا من الأثينيين وبايعهم؛ كما يباع الرقيق وأقام الإسبارتون حامية في جبال أتيكيا بحيث تمكنوا من توفير تجارة أثينية مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة وذهب ليزاندر القائد الإسبارتى إلى آسيا وأخذ مالا من الفرس جهز به أسطولا وطاف شواطئ آسيا وأخذ مكان أحفاد أثينية لا يقاتلون إلا بالقوة تركوه وشأنه، ثم إن ليزاندر حطم الأسطول الأثيني في آسيا (504) وحاصر أثينية وأخذها جوعا واضطرها إلى تخريب أسوارها وحرق سفنه الحربية.

تقدم إسبارتة

الأعضاء الثلاثة - سقراط - أجازيلا

الأعضاء الثلاثة- لما غدا القائد ليزاندر صاحب أثينية أكبره أهلها على تنظيم حكومتهم بحيث لا يخرجون عن حكمه بناتا فأنشئوا مجلسا مؤلفا من ثلاثين عضوا انتخبوا من أعداء الحكم الجمهوري، وكانوا قبل حاولوا النزوع إلى الثورة ليفحصوا عري الدستور وعهد إلى هذا المجلس أن يكلف دستورا جديدا ويحكم أثينية بدون أن يرجع إلى رأيه أحد، ولا أن يراعي قانونا وأقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الأثينيين حامية من الجن، تحت إمرة قائد إسبارتى في قلعة الأكروبول المشرفة على المدينة، وهذه كانت طريقة الحكم التي وضعها ليزاندر في المدينة اليونانية في آسيا والجزر عندما أخرجها من محالفة أثينا.
حوّل هؤلاء الأعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بأنهم مؤيدون بالجيش الإسبرطي فأعلنوا حكم السادة القادة وينقضون على أشياء الحكم القديم وينقضون عليهم الأحكام، وما كانت سيطرتهم تتناول الأغنياء متخزين ذلك حجة مصادرة أموالهم فمن، ومن ثم لقب أولئك الأعضاء بالثلاثين ظالماً وانتهت الحال بترامين أحد الأعضاء، وكان تآمر على الديمقراطية وافق مع الإسبرطيين أن قال لرصافه بأنه قتل أناس كثيرين فيجب الكف عن إزهاق الأرواح فما كان منهم إلا أن اتهموه بالخيانة وطردوهم من المجلس وحسموا عليه بالإعدام.

وقد فر كثير من الوطنيين من أثينا ولجئوا إلى البلاد المجاورة ولا سيما ميكانوثيبة واستولى أحد هؤلاء النازحين المدعو ترازيبول على 70 من أصحابه على قلعة من أعمال أتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عن فجاء الأعضاء الثلاثون في أشيائهم ودامهم إلا أنهما ردوا على أعقابهم وحاولوا أن يحاصروا القلعة، ولكن رجع رجالهم إلى أثينا لما هطل الثلج وبعثوا بالحامية الإسبرطية والفرسان فهجوم ترازيبول عليهم وقتل منهم 120 رجلا وتحق بترازيبول نازحون جدد فلما اجتمع له منهم ألف رجل اجتاز أتيكيا فاستولى على مرفأ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاوقا اتخذها للتحصين فقدم الأعضاء الثلاثون في رجالهم إلا أنهم ردوا على الأعوان وعندنذ نزع أشيائهم السلطة منهم وأعطوها إلى مجلس مؤلف من عشرة طلب معلومة إسبرطة فبعثت هذه إليها بلبيزاندر حاكما من قبلها وحاصر بيريه بالسفن، فوصل ملكة إسبرطة يجيء ووصل إلى أثينا وأمر بالكف عن القتال وفصلت الحكومة إسبرطة بين الضريفيين ورخصت لجميع النازحين أن يعودوا إلى أثينا فدخل ترازيبول ورجاله إليها، وهم مدجنن بأسلحتهم وصعدوا إلى قلعة الأكروبول يقدمون ضحية للمعبودة، ثم أعاد الأثينيون الدستور القديم وتراجع الأعضاء الثلاثون في أشيائهم إلى أثينس فصدهم الأثينيون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وأراحوا الباقين، ثم أقسموا شكلهم أن لا تنزع الأحقاد
من صدورهم لما انتشرت من الحرب الأهلية، وهو ما دعي بالهيئة "النسبان"، ولم
تعد تحدث ثورة في أثينية بعد.
ضعف المملكة الفارسية - شغل اليونان بقتل بعضهم البعض فكفرعوا عن
مهاجمة الخاقان الأولم، بل وافقوا يسعون في محالفته، وكانت المملكة
الفارسية لا تقل عن ذلك في تهيئة الضعف فأصبح الحكام لا يخضعون للحكومة
بتاتا، ولكن منهم بلاطه ونزاراته وحيشة يحارب من يشاء، وقد أمسى قيلا "ملكا
صغيرا" ولايته، وكان الملك إذا أراد أن يعين ولايا مكان آخر لا يجد إلى ذلك
سبيلا، فإلا بقتل السلف فقدت ملكة الحرب من نفسه الفرس بعد أن كانوا أمة
يرتحل لذكرها جميع شعوب آسيا، ونال حكيف وصف الفرس كسينوفون أحد
ضباط اليونان الذي كان موظفا عنهم إنهم ينامون على البسط، ويلبسون
قفازات أبيض فيتلون بالفرو ويلبس الأكبراء حجابهم وخيازهم وطباخهم
ومحميمهم والخدمة الذين يخدمونهم على موانئهم ويطبلونهم ويعطرونهم
ليجعلوا منهم فرسانا موظفين ويربحوا أجورهم، ولكن نكانت جيوشهم كثيرة
العدد، فلم ينتفع بها شيء وسهل على المرء أن يحكم عندما يرى أعداءهم
يطوفون بلاد فارس أحرارا أكثر من أصحابهم، ولا يجرؤون أصلا على قتال
بعضهم بعضا عما أملا والفرسان مسلحون، حكما كانوا سابقًا بالسيف والترس
والضأس، ولكن لم تكن لهم الجرأة على استعمالها، وكان سائقو المرفقات
الحاسدة قبل أن تصل إلى العدو تلقي بنفسها عمدًا أو تقفز إلى الأرض بحيث إن
تلحمرفقات إذا خلت من ساقتها تحدث لهم ضرا أكثر مما ينشأ منها
للأعداء على أن الفرس لا يكتسرون أنفسهم ضعفهم العسكري ويعترفون
بأنهم حظا أبعد هذا الشأن، ولا يجرون على الدخول في المحارك بدون أن يكون
بعض الروم في جيوشهم، ومن قواعدهم أن لا يقاتلوا اليونانيين بدون أن يكون لهم
منهم مساعدين.
حملة العشيرة آلاف شوهد، هذا الضعف عندما سار كيكياس سنة 400 م.
الخاقان الأعظم أرتاكسركس ليخلفه، وكان يً تلوك البلاد إذ ذاك الوف
مؤلفة من نزاع الآفاق، أو المنضيين من اليونانيين يعترفون أنفسهم أجناداً فدعا
صيكاوس عشرة آلاف رجل منهم، حتى أن أخذهم مكسيفونو كتب يصف
عملتهم فاجتزأوا بلاد آسيا إلى حدود الفرات بدون أن يقف أحد ٍ مقابلهم، ثم
اقتفلوا بالقرب من باب وأخذ اليونان جرياً على عادتهم يعدون مسرعين، وهم
يصرخون صرخة الحرب وقبل أن يكون البرادرة على قيد علواً بادروا إلى الهزيمة
فلحقهم اليونان، وهم يتصرفون أن لا يفتق أحدهم صاحبه، وما انتهت إليهم
مركبات الحرب ففتحوا صفوفهم ليتركون إلينا سبيلنا إلى المرور، ولم يصب
يوناني بدنية ضرب ما خلا واحداً جرح بسهم.

جرح صيكاوس - وتشتت جيشه بدون أن يقاتل وظل العشرة آلاف يونياني
وهدهم ٍ داخل بلاد محاربة أمام جيش عظيم ومع هذا لم يجزه الفرس أيضاً
على مهاجمتهم ولكنهم غدوا فقعتوا خمسة قواد لهم وعشرين ضابطاً ومائتي
جندي جاءو لعقد محاملة، ولما أصبح أولئك المستأجرون من الجندي بلا قواد
وضباط انتخبوا زعماء جددا وحرقوا خيامهم ومركباتهم وركضوا إلى الغرار
ودخلوا ٍ جبال أرمينية الوعرة، وعلى ما نالهم من الجوع وصهارة التلوج وسهام
القبائل الوطنية التي لم ترض أن تفسح لهم مجالاً للمرور وصلوا إلى البحر
الأسود ورجعوا إلى أرض يونان بعد أن قطعوا مملكة فارس وباقي منهم لدد
عودتهم "سنة ٣٩٩" ٨٠٠٠ جندي.

أجازيلا- وبعد ثلاث سنوات داهم أجازيلا ملك إسبارطة في جيش صغير بلاد
آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بفناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح
يدخل إلى آسيا، ولكن الإسبارطيين أرجموه ليقاتل جيوش الثيبيين والأثينيين،
وصPropertyName أجازيلا أول يوناني قام ٍ في ذلك أن يفتح بلاد فارس فحزن أن رأى
اليونانيين يقتل بعضهم ببعضاً، ولما أخبروه بما ثُم لغلبة تكونت قائلين له: إنه
هلح فيهما ثمانية من الإسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا
النصر، بل تنفس الصعداء وقال: "مسكينة أنت يا بلاد اليونان التخسة، فقد أضعت رجالك، وكان لكم فيهم وحدهم غناء غير إخفاع عامة البربر" وأبي ذات يوم أن يخرب مملكة يونانية قائلًا إذا أبدنا جميع اليونان الذين لا يقومون بواجبهم فأين نجد رجالاً للتغلب على البربرة، وهذا الشعر سكان قليلًا على عهده قيل مترجمه كسينوفون عندما أورد هذه الكلمات أجايزيلا هافتا: "من سكان غيره يرى من المصيبة أن يغلب عندما مكان يحارب شعبًا من جنسه".

عظمة ثيبيس - إيبيمينوداس
مقاومة إسبارطة - جا زمن سكانت فيه إسبارطة صاحبة السيادة براً ويبراء، قال كسينوفون، وسكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لأمر يصدر عن أحد الإسباطيين، ودأ ضاقت صدور المتحالفين مع إسبارطة من الخضوع لها ألقوا عصابة لمقاومتها، فكان من ذلكر أن طرد الإسباطيون أولاً من أسيا، ولم يسلم لهم سلطانهم على بلاد اليونان بضع سنين إلا بمحالفهم للهی الفرس "378"، بيد أن استيلاءهم لم يتم طويلاً، فكان له سهول بينبيسيا شعب شديد البأس شجاع النفس وهؤلاء البيسيون الذين شهرهم جيرانهم الأثينيون، وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين إحدى عشرة مدينة، وسكتت ثيبة أقواها سقطت على حين غرة في إ يدي الإسباطيين فأدخل زعيم حزب الأشراف المحاربين من الإسباطيين القلعة وأوقف زعيم حزب الديمقراطية ونفذ عليهم القضاء المبرم.
وإذا لم يرض أربعمئة رجل من أهالي ثيبيا أن يظلوا تحت حكم الإسباطيين لجئوا إلى أثينا فعزم أحدهم المدعو بيلوبيداس، وهو شاب من أسرة شريفة غنية أن ينقذ بلاده؛ كما فعل ترازيبول لا تخليص وطنه فراح يقين في قرية مع جماعة من النفيسين وأنفق مع الشبيبة الذين بقوا في ثيبيا فدخل في إحدى ليالي الشتاء إلى المدينة في رجاله وداهم الحكام، وهم في أزمة فذبحهم، ومن الخد دعا
مجلس الأمة فهد له هذا بأنه محررها من أسر العبودية وعندها سلمت الحامية الإسبارطية التي كانت في القلعة وعداء ثيبة مستقلة وعملت على أن تجمع تحت إدارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوضين تحت لواء واحد لحرب إسبارطة.

إيبامينوداس - كان إيبامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة الثبيبين فخفت به لهم أعلام النصر، وكان من أسرة شريفة إلا أنها غنية فاعتاد نواة من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مقلاً من الطعام لا يتناول الحمر، وليس له غير رداء واحد، ولا مال لديه فتصيع اللسان إلا أنه يندر أن تراه يتكلم، ولا يقول إلا الحق. "وهذا مما لم يكن من عادة اليونان" شجاع جداً في الحروب ولكنه مفترض في الإنسانية متضع شديد البأس يحبه ويتحترمه كل من يراه، ولم يكن يعني بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر أبناء يونان، بل إنه اعتاد السباها واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال، وكان الثبيبين تخسره اليونانيين قد اختاروا العادة الإسبارطية فيصطف الجند الرجلي منهم سكين السباع على ثمانية إلى عشرة صفوف، وكتبت جيوشهم في كل مكان مكتوبة نمطًا واحدًا تؤلف مثلنا ذا زاوية قائمة مستطيلة وقوية فكانوا إذا حمل جندهم على العدو يشعرون بأن نروهم المعلقة على أذرعهم الشمال تحملهم من اليسار، ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون الميمنة بالطبع بحيث أن الجناح الأيمن من الكتيبة يشعر بأنه القوة ما يكون فخورة فتخلي إيبامينوداس أن يعبئ رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية عددها، بل أن يضع في الجناح الأيسر صفوفاً أكثر من الأيمن فتأخذ الكتيبة شكل غير متساوي يشبه شكل زاوية قائمة فيكون الجناح الأيسر أضخم من الأيمن ومؤلفاً من أحسن المحاربين يحمل حملة منكرة على جناح العدو الذي يكون ضعف منه فينكس وسط جيش العدو وأخذه من جنبه قدافع البيوضون عن بلالهم بانهاء بدء من الجيش الإسبارطي الذيبقى يداهم بيوسيا لربع سنين أعلوماً كثيرة.
ويقطع الشجر ويجرب الغلال، ولم يجري أن يقاتل فتالا منظما، بل كانت قتالا، ومناشطات قوية شكاها وتمارسها في الحرب رأى إيبامينوداس أن جيشه قد اعتاد قرع الأبطال وقوى ساعدته في حملة النزال، وكانت الرجولة من جند الإسبارتين أصفتح على عمق اثني عشر مقاتلا بالقرب من لوكرس، وكانت رجالة الشبيبيين أقل وفرسانهم أكثير "لأن بيوسيا كانت بلادا تربى فيها الخيول الجيده" فاستطاع إيبامينوداس أن يحمي الميسرة، وكان من ذلك أن اختصر خط الحرب وحمل الجناح الأيسر من جيشه، وكان مؤلفا من خمسين صفا فبدد شمل الجناح الأيمن من الإسبارتين، حيث كان الملك واقفا فقتل "71"، وهذه كانت المرة الأولى التي تغلب فيها جيش يوناني على جيش إسبارت، وأصبحت ثيبة المدينة المقدسية أكثر من جميع مدن يونان وصارت لها الإمرة على بيوسيا وكلها، وكانت الشعوب اليونانية في المورة إلى ذلك العهد خاضعة لإسبارت فامتهم معونة الشبيبيين ليل استقللا فأنشأت مدينة ماتينة في بلاد أركادية أسوارها على الرغم من دفاع إسبارت وذبت نتيجة الأغنياء أهل إسبارت، وكان الأركاديون من سكان الجنوب مشتتين إلى ذلك العهد في القرى فانضموا بعضهم إلى بعض وأنشئوا مدينة حمصية اسمها ميكلوبوليس، ثم أراد إيبامينوداس جمهور الشبيبيين على أن يذهبوا إلى غزو الإسبارت في عقر دارهم فدخل الجيش البيوسي إلى بلاد المورة وعسكر سواده بالأركاديين وأهالي أرغوس وتغول في إقليم لاكونيا وططق يعسكر أمام إسبارت "72"، وقامت هذه هي المرة الأولى التي رأى فيها الإسبارتون العدو أرضهم، ولمس كان الإسبارت أسوار فصل أجازا "وكان قد بلغ إذ ذاك من العمر 71 سنة" جماعة اليونان، وحصن الأحماض المحترطة بالمدينة.

ولم يجسر إيبامينوداس على الهجوم، إذ مكنا عاجزا عن إطماع جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها رفع أذراه وقبل أن يغادر المورة جميع المسنين، وقد أصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الإسبارت، وأعانهم على
إنشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلمون شعثهم وتحالفت إسبارطة مع الأثينيين الذين كانوا يحسون ثيبين: كما حالفوا أهل سيراكوسة ومع الجبارديس الذي بعث إليها بالمحاربين الغالبين فغلب الأرکديةن أهل ثيبة وعندها حاولت ثيبة أن تناول معونة ملكه الفرس وأرسل القائد بيلوبيداس إلى آسيا وأدب وحمل كتابا من الخاقان الأعظم الذي وعد أن يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمحاكفة ثيبة "37"، أما سائر المدن، فلم تكن تخشى ملكه الفرس وأبدت أن تخضع له.

ولم تكن ثيبة من القوة لتتخضع إلى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر إبیامينوداس على أحسن حال في البلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف السينيين ثانية وحاول أن يداهم إسبارطة وإذ بلغ دلاله أجازيلا صدر راجعا وراح إبیامينوداس بهجم على جيش العدو في أرکدية بالقرب من مدينة ماتينة وظهر هذه المعركة باتخاذ الأسباب التي اتخذها لوكترز، ولكن أصابه فهم قوات ليومه وفقد الثيبيون به قاددا يقودهم وانتهت أيام عزثيبة، ولم يبق مما قام به القائد إبیامينوداس إلا مدينة مسيسينا التي أصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان إسبارطة من بلاد المورة: كما سقط من بلاد اليونان.

نتائج الحروب لم تؤد هذه الحروب إلى تأليف اليونانيين كافة أمة واحدة إذ لم يكن لمدينة من مدنهم لا إسبارطة، ولا أثينية من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخضوع لسلطانها، وما كان منهم إلا أن ينهك بعضهم قوياً بعض ويكافح بعضهم ببعضاً، وكان ذلك من حظ ملكه الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام، ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية إنها لم تتفق عليه، بل إنها كانت تترك واحدة على حدة تحالفه للانتقام من سائر أبناء يونان، وقد صرح الخاقان الأعظم (38) في معاهدة انتالسيداس بأن جميع المدن اليونانية في أسباب هي ملكه له، ولم تخاف إسبارطة قوله ذلك ولا تلقست زعمه وبكذبه سكان شان أثينية وثيبة بعد بضع سنين فقد، قال خطيب أثيني: "إن ملكه الفرس هو
الذي يحكم بلاد اليونان، ولم يبق عليه إلا أن يقيم له عمالا في مدننا أليس ببهاء ...
الحل والعقد في بلادنا، أما نحن فندعو الخاقان الأعظم: حكما لو خينا عبيدها.
وهكذا أضاع اليونان بتفاصلهم وتداورهم ما كانوا غنموا في حزب مادي.

عظمة مكدونتين

فليب - الإسكندر - فتح آسيا

أنهكت الحرب المتصلة مدة قرن بين إسبارطة وأثينا قوي تينك الملكتين، فتفرقت قتال ملك فيرنس إلا أن شعبا جديدا، وهم مكدونيون عادوا قتاله، حتى نالوا منه، وشجعوا على خشونتهم وفسوقتهم أشبه بقدماء الأوروبيين شعبا متعاونا من رعاة وجدون، ولقد سكنوا شمال بلاد يونان، وعديد عزيز عدوين مطمين على البحر وقلما سكأنوا اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار، بل ينظرن إليهم نظرا ثانياً، كحدا ينظرن للبربرية، وإذ كان مكدونيون يدعون أنهم من نسل هيراكتيصور لما لهم اليونان بأن يرتكبوا خيولهم في سباق الألعاب الأولبية، وبذلك اعترف بهم ضمنا بأنهم من أبناء يونان.

فليب - قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداخلية بعيدين عن البحر، بشرتكون في حروب اليونان، في سنة 320 تسلم أريكة العرش المكدوني، شاب نشيط شجاع طموح، وتعني به الملك فلبيف فطمحت به نفسه إلى القيام بثلاثة أمور:
(1) أن ينشئ جيشا قويا.
(2) أن ينشئ جميع الموانئ على شاطئ مكدونية.
(3) أن يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس.

فصرف في هذا الشأن أربعا وعشرين سنة ونجح فيما قصد إليه واستسلم اليونان إليه، بل وأعانه كثير منهم واتخذ له أنصارا ببذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه ويمتدلون، قال: "ما من قلعة يتعبد الاستيلاء عليها إذا
استطاع المرء أن يدخل إليها بعلا متلا بالذهب: وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد أخرى.

ولقد كان الخصم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين، وهو ابن صانع أسلحة تيتم ٦ السابعة من عمره واختلس أمواله جزءا من ماله، ولم يبلغ آتشه اقامة عليهم قضية واصبرهم على أن يعودوا إليه ما اختلسو منه، وكان درس خطبة إيزيب واستظهر تاريخ توسيد، بعد أن عندما خطب على المنبر العام قولل سلامه بالقمة إذا كان صوته ضعيفا جدا ونفسه قصيرا فتوفره عدة سنين على ترويض صوته ويروو أنه كان ينقطع شهورا طويلة ونصف رأسه محلوق لتغلب الحزب ويلي خطبة، وبينما حمصا، وهو على شاطئ البحر ليمرن نفسه على التغلب بصوته على جلبة الناس، ولما رجع إلى المنبر كان قد أخفص صوته للإرداده وإذا كان يحافظ كل المحافظة على إعداد جميع خطبه قبل إلقائها غدا أرقى خطيب وأعظم مفهو ٢ بلاد اليونان، وسكان الحزب الذي يرجع إليه أمر اثنية على ذاك العهد بزعامة فوسيون يطمح ٢ السلم إذ لم يكن لأثينا جند سكاف، ولا فال وافر لإيقاف ملف مكدونيا عند حده فوسيون يقول سأثير عليكم بالحرب متي صرتم بحيث تستطيعون القيام بأعماها، وكان ديموستين على العكس يحتقر فيليب ويراه سكانه من المتوحشين فتطوع ٢ خدمة الحزب الذي يطلب محاربته واستخدام ما فيه من فصاحة لإخراج الأثينيين من سياسة المسالمة، ولم يدخو وسعا مدة خمس عشرة سنة ٢ تحريضهم على ذلك.

وأنك لتتجد موضوع كثير من خطب ديموستين الحملة على الملك فيليب، وكان يسميها الفيليبية، فقال ٢ خطابه الأول سنة ٢٥٢: متي تقومون أيها الأثينيون بواجباتكم؟ أتريدون أن تسروحا وترمروا في الساحات وبعضكم يسأل ببعضها يقوله ما وراءك من الأخبار؟ أما أنا فأقول لكم: ليس من جديد إلا أننا نشاهد مكدونيا يتغلب على أثينة ويستولي على أرض يونان؟ أقول لكم إنه من الواجب تسليح خمسين سفينة، وأن تعقدوا العزم أن تركبوها بالذات عند
مسيس الحاجة جنباً مسعباً حديث جيش مؤلف من عشيرة أو عشرين ألفاً من الأجانب، ولا حقيقة له إلا على الورق فإلي لا أريد إلا جنوداً من الوطن متطوعين في خدمته، وقال ديموستين في الفيليبية الثالثة سنة 341 يذكر الأثينيين مما حازه فيليب من الظفر عليهم لغضبتهم وغلة حرصتهم: "مكان اليونان قدماً عندما يسيئون استعمال سلطتهم ليظلون غيرهم تقوم ببادهم وكلها على ساق وقدم لنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدوني حcriptor متوحش من أصل معلوون في خرب المدن اليونانية ويحتفل بالألعاب البيتية(1) أو يأمر خدمه بالاحتفال بها، وهذا ما ينظر إليه اليوناني بدون أن يأتي أمرا: كما ينظر إلى البرد يتساقط، وهو يضرع بأن لا يصيبه والسلطة تعظم بدون أن يخطو أحد خطوة لإيقافها وكل ينظر من عهد إليه في تمزيق شمل غيره: كما لو شكان بعد ذلك ربحاً في وقته بدلاً من أن يفكر ويمثل لسلامة اليونان عندما يعرف الناس أن المصبية ستتالى البعدين، ولا استولى فيليب على الأثينية في مدخل بيوسيا (339) أجمع الأثينيون بما نصح لهم به ديموستين أن يظهروا الحرب وبعثوا بوفود إلى ثيوديموستين زعموا للوفد ولقياً في ثيبة وفداً جاءه من قبل فيليب فتردد الثيوديموستين وارادوه ديموستين على أن ينتموا جميع أحقاقهم القديمة، وأن لا يفكون في غير سلامه الوطن اليوناني، في الدفاع عن الشرف والحرية فعزموا بمساعيه أن يعدوا محالفاً مع أثيناً، وأن يظلوا على المقاومة والحرب.

وبعد سنة (338) نشبت الحرب في شرقيه من أعمال بيوسيا، وكان عمر ديموستين إذ ذاك ثمانينا وأربعين سنة فخدم في الجيش جندياً بسيطاً وإذ شكان جيش الأثينيين والثيوديموستين قد دعي إلى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدربيين، ولذا لحنت الهزيمة من حزج الجيش الأول.

(16) هذه الألعاب كانت تقام كل أربع سنين كالألعاب الأولمبية في مدينة دلفيس إكرامًا لأبولون البيتي
الاستيلاء المكدوني - وإذا ظفر فيليب أقام حامية في ثيبة وصالح أثينة، ثم دخل إلى أرض المورة فأستقبله أهلها مكانه الحسن إلى الشعوب التي طالتها اضطهادتهم إسبارطة، ومن ذلك العهد لم يصادف أقل مقاومة فجاء إلى مكرون (337) وجمع فيها مندوبين جميع المدن اليونانية (ما خلا الإسبارتين، فإنهم لم يبعثوا بمندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه، وهو أن يتولى زعامة جيش يوناني لغزو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت محاكمة عامة بين المدن اليونانية كافحة، وذلك على أن تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش بسلام مع غيرها وأنشئ مجلس لتنشك الوحدة لمنع الحروب والفتن الأهلية والقتل والصادرة. وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والإقرار له بالزعامة على جميع الجنود والسفن اليونانية وحظر على لكل يوناني أن يحارب فيليب، وإذا فعل تضرب عنقه بدون محاكمة.

الإسكندر - خنق فيليب ملك مكدونيا سنة 334، وكان ابنه الإسكندر إذ ذلك ابن عشرين سنة، وكان مثل جميع اليونان من أبناء البويا الشريفة ماهرا في الألعاب الرياضية شديد القوى، وكان شجاع يحسن ركوب الصافنات الجيد، (وهو الذي استطاع وحده أن يكبح جماح حصانه بوسيفال في الحرب)، وكان زيادة على ذلك عارفا بالنسبة حسن البيان يعلم التاريخ الطبيعي، وكان استاذي من سن الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة الفيلسوف أرسطو أعظم عالم في اليونان، فكان يتلو الإلياذة بشوق ويدعوها دليل فن الحرب ويريد أن يتشبه بالأبطال الذين ورد ذكرهم فيها فكانه خلق ليكون فاتحاً لأنه مغرم بالقتال مولع بحب الشهرة، وكان أبوه يقول له "إن مكدونية ضيقة النطاق فلا تسمعها".

الجحافل المكدونية - ترك فيليب لأبنه الإسكندر أداة من أدوات الفتح وعني بها الجيش المكدوني، وهو أحسن جيش عهد في البلاد اليونان يؤلف جيش المشاة يعيش الفرسان، فكان الجحافل المكدوني مؤلفاً من 11 ألفاً من الرجال مصطفين ألفاً لوفا ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحا طوله ستة أمتار، وكان
المكذونين في ساحة النوبأ بدلاً من أن يسيروا إلى العدو، كلهم من جهة واحدة. يقفون لا حراك بهم ويبصرون برماحهم العدو من كل صوب، وكان جنود المؤخرة يرمون رماحهم من فوق رؤوس الصفوف الأولى بحيث سكان ذلك الجيش يشبه حيوانًا عظيمة، وقد انصب عليه الحديد والعدو يداهمه فيتحطم ويكنت ترى الإسكندر بينا سكان الجيش في ساحة الحرب يوقع بالعدو، وهو في مقدمة فرسانه، وكانت هذه الكاتبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الأشراف.

فتح آسيا - سافر الإسكندر في ربيع سنة 334 قبل الميلاد ثلاثين ألف راجل (معظمهم من المكذونين)، وكانت تعدادهم ألف فرنكا. وذخيرة تكريمية هذا الجيش الضخم أربعين يومًا، ولم يكن عليه أن يقاتل ذاك الغزو من الشعوب التي لا يدلا عليها، وقد سخرها صخريرو الفارسي لأمره فقط، بل سكانت أمه خمسون ألفا من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الأعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الروودسي، فقد كان ممّا مكّنة هؤلاء اليونان أن يصدوا المكذونين عن العبور، ولكن صادف أن مات ممنون وتشتت جيشه شندر مذر. فتخلص الإسكندر من خصمها الوحيد العنيف وفتح المملكة الفارسية في سنتين، وذلك بعد أن ظهر في ثلاث مواقع فببد 333 قبل الميلاد الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرايتيك (في مايو)، وهزم الإسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال: إنه سكان مؤلفا من ستين ألفا في مضيق سيلسبيا في تياسبس (في نوفمبر)، وشنت 332 قبل الميلاد بالقرب من دجلة جيشاً أكثر عددًا (31).

فكانت هذه الغلبات مثالاً من الحروب المادية ففجيش الفارسي لا سلاح له، ولا يحسن الرماية، وهو مشوش بنفسه في أخلاط من الجند والأجراء والأثقال، وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يشت ويتقتل، ولم يكن الفتح في غضون الحرب إلا نزهة يكتب فيها الظفر، وهذا الفاتح لا يجد أمامه
مقامه (17) وماذا يهم شعوب المملكة أن يخضعوا لداريوس، أو للإسكندر وكذلك غلبه يحرزها الإسكندر كان يفتتح بها مملكة يرأسها فموقعة الفراتيكة استولى فيها على آسيا الصغرى ومصر أكبر أسس افتتح فيها سورية ومصر ومصرة إريل بقية البلاد.

ولما صار الإسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتبر نفسه وارثاً لخاقان الأعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية وأكرره قواده أن يرثعوا أمامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنت الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنتات أشرافهم وأراد أن يوعس مملكته إلى أقصى الحدود؛ كما فعل الملوك القدماء وقدم فاتحاً نحو الهند، وهو يقول القبائل المحاربة، ولا عاد له جيشه إلى بابل (234) ولحق بالحرم في بضعة أيام في الثالثة والعشرين من عمره (231).

مقصد الإسكندر من المتعدطرق جداً أن نعرف ما حاكم يقصد الإسكندر هل كان يفتتح حباً بالفتح، أو أنه حاكم له مقصود آخر وهل حاكم يريد أن يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة هل اتخذ المناسى الفارسية ليكون مثلًا له، أو أنه قلد الخاقان الأعظم صلفاً وإعجابًا إننا لم نخف على نياته إلا أن أعماله صنعت لها نتائج عظيمة.

وقد أسس سبعين مدينة وعدة مدنان في مصر فكل الإسكندرية، وبابلا البتر، وحتى بابلا الهند ووضع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزان الخاقان الأعظم، وكانت مطروحة فيها لا ينفع بها وأخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتهم وجغرافيتها وحياً الملكات في الشعوب الآسية إلى تعلم لغة اليونان والتخلق بأحلافهم، ولذلك أطلق على الإسكندر لقب الكبير.

(17) ما عدا مدينة صور الفينيقية خصيمة اليونان لأسباب تجارية

125
تأسس المملكة اليونانية

الإسكندرية، المتحف: مملكة آسيا - التمدن اليوناني في الشرق

خربة مملكة الإسكندرية: جمع الإسكندر الأكبر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم من بحر الأدرياتيكي إلى نهر الأندوس، ومن مصر إلى القافغاس؛ ولم يدم هذا الملك العظيم إلا بدوامه فلما هلك الملك اختفى قواده فيمن يولي الملك بهد وحبار بعضهم بعضا مدة عشرين سنة واتخذوا باءة بداء حجة لحروبهم بأنهم يقاتلون لعاصمة أحد أسرة الإسكندر كأكيهية وأبته وآمه وآخوته، أو إحدى زوجاته، ثم تقاتلو علنا بأسمائهم وتوطيدا لدعائم الملك لسلطانهم، فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدوني، أو جنود يونان مأجرون، فكان اليونان يقاتلون فيمن يستائر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون إليهم غير محتملين بما يأتون; حكما لد فكانوا اليونان يقاتلون الفرس أعداءهم.

وقد وضعت الحرب أوزارها لم يبق إلا ثلاثة قواد، وقد هيا له لكل منهم مملكة واسعة مما خلفه الإسكندر فحكم بطليموس مصر وسقطرس سوريا وليزيماك مكدونية، وكان عنقلت بعض المملكة الصغرى، أو أخذت بالانفصال عنها مثل أبرهيم أوروبا ومثل بون وبيتسي وغالاسيا وسكابادوس وبرغام، إنشيا ومثل مقاطعيا باكتران وباريسيا من بلاد الفرس، وذل ذلك تم تقسيم مملكة الإسكندر.

التمدن اليوناني في الشرق: وكان الملك من أبناء اليونان في هذه المملكة الجديدة، وقد اتت يمكن باليونانية وتعبد بالأرباب اليونان ويعيش عيش اليونان وحافظ على لفته ودينه وعاداته رعاية من الآسيويين، أي: من البرابرة، وهو يحاول أن يجعل له حاشية من جنسه ويجتذب جنوده من أبناء يونان بالأجرة ويتخذ موظفين يونان لإدارة البلاد ويجلب إلى عاصمتها شعراء وعلماء وأرباب فنون من اليونانيين.

وكان في البلاد على عهد ملوك الفرس الكثير من اليونان والطوارئ والتجار، ولا سيما من الأجانب فأكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع أطراف آسيا وكثر سوادهم، حتى انتهت الحال بالوطنين أن يلبسوا اللباس اليوناني.
وينتملوا الديناء اليونانية والأخلاق اليونانية، بل واللغة اليونانية، ولم يعد الشرق آسيا، بل أصبح يونانيا، حتى أن الرومانيين لم يجدوا آسيا في القرن الأول إلا شعوبا يشوبون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية بأسلهم.

الإسكندرية: تلقب ملوك اليونان في مصر، وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما مكان يلقب ملوكها الأقدمون لبسها انتاج ودعوا الناس إلى عبادتهم باسم أبناء الشمس ولكنهم مكانا محاطين باليونانيين وأقاموا عاصمتهم على شاطئ البحر في مدينة يونانية، وهي الإسكندرية تلجه المدينة الجديدة التي أنشئها بأمر الإسكندر.

بنيت الإسكندرية على سطح مستو فكانت ذات نظام أكثر من غيرها من المدن اليونانية، وكانت الشوارع تنقسم إلى زاوية قائمة ويشقها من وسطها الشارع الأعظم وعرضه ثلاثون مترا وطوله ستة كيلو مترات، وعلى جانبها أبنية عظيمة مثل بناء الاستاد، حيث كانت تقام الألعاب العامة والجمانز والمتحف والأرسينوم.

وكان المرفأ مؤلما من سد طويل ألف وثلاثمائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس، وله طرف هذه الجزيرة أقيم برج من الرخام جعل قمته مكان ينبعث منه الضوء إلى الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفأ، ومن هناك جاء اسم المانة فقامت الإسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت لنا العظمى للتجارة في العالم بأسرها.

المتحف: مكان المتحف بناء عظيمة من الرخام متصلا بقصر الملوك، وقد أراد ملوك مصر أن يجعلوه معهدا علميا عظيما وفهي مكتبة عظيمة(18)، وكان لرئيسيه القوام عليها أن يبتاع جميع ما يتسنى له الظهر به من الكتب فكل كتاب

(18) مكتبة الأناجيل وأعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية
(19) حرق مكتبة المتحف في خلال حصار قيصر لمدينة الإسكندرية ولكن مكان لها فرع جعل في السرابيوم و فيه على ما يقال ثلاثة آلاف مجلد، وقيل: إن هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظهر أنها فقدت من قبل (قاله المؤلف)
يدخل مصر يحمل إلى الكتب والنساخ ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة
لصاحبها مع التعويض عليه واتصلت الحال بأن جمع على هذا النحو عدد من
المجلدات لم يسمع بمثله (وهو أربعمائة ألف مجلد، كما قيل) وكانت الكتب
المخطوطة لكبار المؤلفين إلى ذلك العهد مبعثرة مشتتة وعرضة لخطر الضياع
فأصبحت يعرف لها مقر يرجع إليه.
وكان المتحف أيضا حديقة للنبات والحيوان، ومرصد فلكي وقاعة للتشريح
أقيمت على الرغم من أوهام المصريين: كما أقيم معمل كيميائى (مكان الملك
بطليموس في يافلوف بخشى كثيرا من الموت فقدب بضع سنين للبحث عن
إكسير لإطالة الحياة)، وكان المتحف العسكري مساحك للعلماء
والرياضيين والفلكيين والأطباء والمتحوين وقدم لهم غذاوه مساعد على نفقة
الحكومة و كثيرما ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلا على احترامه لهم;
وكانوا يقضون أوقاتهم في المحاورة والمطالعة و يقرأ الناس من جميع بلاد يونان
ليسعتموا ما يلقون، وكان الشباب يبعث بهم آباءهم إلى الإسكندرية ليتعلموا
ويقال: إنه مكان فيها نحو 14 ألفا من الطلاب.
ومن ثم مكان المتحف مكتبة ومجمع علميا ومدرسة 2+ إن واحد فهنا أشبه
بمدرسة جامعة، وهذا الوضع الذي هو عام بينا مألوف مكان على ذلك العهد من
الأوضاع الجديدة التي لم يسبق لها نظير، ولقد أصبحت الإسكندرية بفضل
متحفها مقصد جميع المشاركه من يونان ومصر، وبعض من إسرائيل وسوريا يحمل
إليها سكال منهم وصفته وolisد و يحتفظ بعضهم ببعض فغدت الإسكندرية
إذ ذاك و ظلت قرون كثيرة عاصمة العلم والفلسفة 2+ العالم.

برغامة- كانت برغامة 2+ آسيا الوسطى من الممالك الصغرى، ولم تعد لها
سطوة، بدأ أن اتصلها برغامة 2+ كانت مملكة الإسكندرية مدينة أرباب الصناع
والادب وأنشأ نقاشو برغامة 2+ القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (10).

(10) اتصل بنا بعض الإندلسي الذين استصنعوا الملك آتال ذكرى لانتصاره على الغاليين 2+
آسيا المعروفين بالفلاسفين.
وقد ملكت برغامة؛ حكما ملكت الإسكندرية مكتبة كبرى جمع إليها الملوك
أتال الكتب المخطوطة لقدماء المؤلفين، وبرغامة اخترعت الكتابة على الجلود
للاستعاضة عن ورق البردي، وكان هذا الورق الجديد ورق برغامة هو الرق الذي
حافظت به المخطوطات القديمة.

الحروب الأخيرة في اليونان

العصابات - الفتح

الحروب الأهلية - كانت بآيدي بضع أساطير غنية من اليونانين في جميع
المدن اليونانية على التقرب جميع الأعمال والمعامل الصناعية والسمان التجارية
وعامة مصادر الربح وموارد العيش، أما سائر الأسرات، أي: السواد الأعظم (21)، فلم
يكن لهم أرض، ولا مال. وماذا كان الوطني الفقير يعمله ليكسب رزقه ثم يكن له
بلا أن يؤجر نفسه زراعا، أو عاملا، أو ملاحا، بيد أن عبيد أرباب الثروة في
مصارعهم ومعاملهم وسفهم كانوا يقومون بهذه الأعمال، ولا يكلفون للإنفاق
عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة أن ينفقوها إذا
استخدموا الأحرار في أعمالهم: لأنهم كانوا يطعمون عبدهم طعاما غليظا، ولا
يؤدون إليهم أجورا، ثم إنه من الصعب على الفقير أن يعمل لحسابه لندرة
الدرةهم، ولم تكن الفائدة أقل من عشرة في المئة وهيهات أن يقرضه إنسان ما
يعوزه.

على أن العادة لم تكن تسمح للوطني أن يتعاطى الصنائع؛ لأن الفلاسيفة
كانوا يقولون بأنها تفسد الجسم وتضعف النفس، ولا تترك وقت صاحبها

(21) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريبا طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في أوروبا
وبدнако كانت تعد ثابتة بما فيها من 13 ألفا من أرباب الأملاك من الشواذ النادرة، وكانت
من المدن التي قلت فيها الثورات

149
 Mitswa lillinathir ut-ta’ayun al-bayunah wal-dalak, قال أرسطو: إن المدينة الحسنة النظام لا يجب عليها أن تعد الصانع فيها وطناً فكانت من المواطنين في يونا طبقة شريفة ترى: فحاكم يرى الأشراف في فرنسا قديماً أن لها الحق أن تحكم وتحارب، ولي إذ لك شرفها، أما تعاونها الأعمال بأيديها فهي تتنازل واتصالاً، ومن أجل هذا حالف البؤس معظم المواطنين بما كانوا عرضة له من منافسة العبيد في أعمال الحياة، وما وقعن في نفوسهم من شروط الشرف والتباهة فحكم الفقراء المدن، ولم تكن أسباب عيشهم متوفرة وخطر لهم أن يسبوا الأغنياء فألق هؤلاء شركتها منهم لمقاومة أولاً، في ذلك انقسمت كل مملكة يونانية إلى قسمين الأغنياء ويدعون "الأقلية" والفقراء ويدعون "الأكثرية"، أو الشعب وبدأ الأغنياء والفقراء يتبادلون ويتقاتلون فإذا صار الحكم للفقراء يطردون الأغنياء ويصادرون أموالهم، وربما اتخاذوا واسطت عن الغناء التطرف، وهم إلغاء الديون وتقسيم الأراضي من جديد فإذا عادت السلطة للأغنياء يطردون الفقراء، وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين "أقسم بأني أظل أبداً معادياً للشعب وأؤذيه ما استطعت"، ولم يكن شملٌ من سبيل إلى التوفيق بين الدوافع فلا الأغنياء يستطيعون أن يستسلموا للتحلي عن شروطهم، ولا الفقراء يرضون بأن يموتون جوعاً، قال أرسطو: "إن النورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات" ويقول بوليب "إن لكل حزب أهلية تنسب فهي تنقل الثروات من يد إلى أخرى".

ومن ثم كان الفريقان يقاتلان أشد قتال على نحو ما يحدث أبداً بين الجيران فتغلب الفقراء بادئ بيد في ميلت وأسروا الأغنياء على الهرب من المدينة، ثم أسفوا: لأنهم لم يذبحوه فأخذوا أولادهم وجموعهم في الأذابير تحت أرجل البقر ودخل الأغنياء المدينة فأصبحوا أصحاباً الحاكمين فيها وأخذوا هم أيضاً أبناء الفقراء وزفوتهم (دهنوهم بالزفاف) وأحرقوهم أحياء.

الحكم الجمهوري والحكم الإفرادي، وكان لكل من الأغنياء والفقراء شكل
خاص في الأحكام يجرونها في المدينة عندما يصوّى أحد الوضائع في كنف حكومة الأغنياء من نوع الحكم الإفراط (أو يكاريكي) تعود بالأساطير إلى بعض أفرادها، أما حكم الفقراء، فإن حكمهم ديمقراطياً يكون حكمهم إلى مجلس الأمور، وحكمة واحد من الوضائع يتضمن مع الفريق الممثل له في المدن الأخرى، ويدعو تألفت عصابات تقاسمتها بينهما جميع المدن اليونانية عصابة الأغنياء، أو الحكم الإفراطي وعصابة الفقراء، أو الحكم الجمهوري وبدأت هذه الظاهرة في الحكم الإفراطي، فانتقلت المدن التي كان فيها سلطة للفقراء مع أثينة، كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الأغنياء مع إسبرطة.

ولقد دامت الحروب الأهلية بين الأغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من 430 إلى 400) حيث كانت وكثير من أنباء البلاد وطرد منهم عدد أكثراً من ذلك، أخذوا يهيمون في أطراف الأرض ولا يعرفون إلا صناعة واحدة، وهي الجهية فينخرطون متطوعين في الجيش الإسبرطي والأثيني، وغ يدجيش الخاقان الأعظم والجيش الفارسي بل، وفκη جيش يدفع إليهم أجورهم، فكان من أبناء يونان خمسون ألفًا جندي داراً عندما قاتل الإسكندر، وهلا لا يكادون يعودون إلى بلادهم متي خرجوا منها.

العصابات ضعفت الشرع التي حكمت على بلاد اليونان وإسبرطة وأثينة ونسبة، ولم يبق في القرن الثالث من أهل الشدة والبايس وسكي غرب البلد فبالأقيانيون يسكنون الجبال في شمالي خليج صورة والآشوب النازلون في شاطئ المورة في جنوب هذا الخليج، وقد نظموا أحوالهم عصابات إلاأ ما فاختطفت كل مدينة بحيث أما، وكما لهاً إلاأ جدول للحصاة يقرر فيه الحرب والعهود ويفرض الجند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقضي عليه أن يقود جيش الحصاة.

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعاقدتين، ومن العادة أن
تعتبر العنصبة الأيتولية الحزب الديمقراطي والعصابة الأشوية الحزب الأوليكارشي، وقد رأس العصابة الأشوية ضابطان شهيران أحدهما أرتوس في القرن الثالث، وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعين وعشرين سنة (251 - 224). فطاردا الظامون من جميع المدن أخذا، بيد الأغنياء معديا إليهم أموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلوبناسي قام في القرن الثاني وقاتل الظامون في إسبارتا فقتله المستنون.

أحلاف الرومانيين - لم يكن أحد من تبنين العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان فحاربهم من ملوك اليونان فيليب ملك مقدونية (176)، ثم ملكة سوريا أنطيوخس (162 - 149) فنكست أعلامهما صلحتهما ودمرت رومية جيوشهما واستولت على أساطيلهما وقاتلت "برسي" ملك مقدونية الجديد واسرته وخبرت مملكته (167).

ولم يحاول اليونان قط أن يجتمعوا للدفاع عن أنفسهم وظل فقروهم وأغنياؤهم يقتلون وحل حزب يميت الحزب المعادي له أكثر من بضعة الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مقدونية بدأ الحزب الأوليكارشي للرومانيين وبينا النابيون من الديمقراطيين يقاتلون فيليب في جيش فيليب ملك مقدونية الذي استطاع ملوك الرومان الفتح فتحاً على أبواه المدينة للفيناقة الرومانى، وقد حكم بالإعدام في رودس على كل من قاموا، أو تكلموا بما يخالف رضى رومية كتب مصارع رومان سري نابليون للبرسي فأرسلوا إلى رومية وأمسكوا فيها عشرين سنة بدون أن يحاصموا.

الفتح - لم يظهر الرومانيون إلّا في مظهر الأعداء، وقد ذهب القنصل فلامانيوس سنة 197 بعد أن غلب ملك مقدونية إلى برزج كورنت وأعلن أمام اليونانيين المحتشدين للألعاب البرزحية بأن جميع الشعوب اليونانية حرة قطرب الجمهور لقوله واقترحوا منه ليسكورى يريدون أن يسلموا عليه، وهو محورهم، وأن
يروا صورته ويلمسوا يده ويلقبوا عليه أطلاقل النصر وياقات الزهور فزادحم الناس عليه، حتى كاد يختنق.

ولم يلبث الرومانيون أن أصبحوا سادة فحدتهم أنفسهم بأن يقودوا البلاد فأطاعهم الأغنياء عن رضي: لأن رومية كانت لهم واسطة للخلاص من حرب الفقراء ودامت هذه الحال أربعين سنة، مما سفدت رومية بقرطاجنة سنة 147 عادت للحزب الديمقراطي حياته: بلاد اليونان فأعلن الحرب على الرومانيين فذاع ذلك فريق من اليونانيين وتقدم كثيرون إلى الجند الروماني ووشوا إليهم بمواطئهم، بل وشوا بأنفسهم وبعضهم فروا إلى أقاصي المدن وآخرون ألقوا بأنفسهم على الآبار أو الهواة وصادر زعماء المقاومين أموال الأغنياء وألقوه الديون وأعطوا سلاحا للعبيد، وكان الجهاد شديداً إذ غلب الآشيون للمرة الأولى عادوا فخشدو جيشا وساروا إلى القتال مستصحيين نساءهم وأولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عماله في بيئة وإقلا في النار.

وكانت منزنر مركزي المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال وباحوا النساء والأولاد (147) ونهبوا المدينة وحرقت، وكانت مملوءة بالنفساء وصبت ترى صور كبار المهعدين مطرحة في الفubar والجند الروماني مستلقياً فوجها يلعب بالندرة أه.

الرومان - وصف إيطاليا

شعوبها القديمة: سكنت إيطاليا عدة أجناس من الأمم ثم يتحدثوا بها عاداتهم ولغاتهم، فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الألب والأبين جزءاً من إيطاليا، وهناك نزل شعوب من الغالبين، أتى من الشمال، فكان الأتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الألب والأبين والبحر (هو إقليم توسكانيا) إلى نهر أنتيبيرا، وجنوبه ينزل اللاتين، ولقد سكت قبائل كثيرة في جبال الألبين الوعرة وراء السهول الرومانية في الشرق، والجنوب، ولم تدع بكل هذه

132
الشعوب باسم واحد، ولم تؤول أمة واحدة، بل كانت تنقسم إلى أوبيريين وصابتين ونوفلسكين وإيكين وهريكيين ومارسيين وسامنتيين ولكنهم يكادون صنفهم يتكلمون بلغة واحدة ويعدون أريابا واحدة ولهم عادات واحدة يتكلمون سكافريس والهنود واليونان بلغة أرية ولبعدهم وراء جبالهم عن الاختلاط بهم.

لم يكن لهم مدن، ولا حواضر، بل سكانه يلجهرون زمان الحرب إلى حيرون أقيمت على الجبال، وقد عرفوا بالشجاعة والقتال وسلامة الأخلاق ومناتهم، وكان منهم بعد حين أعظم قوة للجيش الروماني، وامثالهم "من يستطيع أن يتغلب على المارسيين، أو أن يغلب بدونهم".

جاء 2 إحدى أساطيرهم أن الصابتين نزل بهم خطب فادحة فاعتقلوا أن الأرباع ساخطين عليهم وقعدوا العزم على أن يسكنون غضبها، وأن يقدموا ضحية إلى رب الحرب والموت بكل من يولد من الأولاد 2 إحدى فصول الربيع ودعى الضحية "الربيع المنذر" فأصبح جميع الأطفال الذين وضعتهم أمهاتهم تلوك السنة ملكا للحرب، حتى إذا بلغوا سن الرجال عادوا للبلاد وبعدوا عنها إلى القاصية وتألفوا عصابات فاختارت لكل عصابة أحد حيوانات إيطاليا المقدسة دليلا من مثل الصرد والذئب والثور، وهي تتبعه سكانها تبعت مرسالا من الحرب وحيثما وقف الحيوان تنزل العصابات وتتخذها موطننا لها؛ وقيل: إن عدة شعوب من إيطاليا كانا أصلها من تلك الأسرات من النازحين ومازالت محافظة على اسم الحيوان الذي كانا أجدادها اتبعوا أثارات 3 القديم، وذلك مثلا الهريس (شعب الدب) والبيسانتينيين (شعب الصرد) والسامنتيين، وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانيوم، أي: مدينة البقرة.

السامنتيين كان السامنتيون من أقدر تلك الشعوب، وقد سكنوا 4 إقليم الأبروز وهو مصي حقيقي فينجلون إلى السهول المخصبة 5 نابلي وبويل وينهبون المدن الأتروسكية والمدن اليونانية جاهموا قرتنين 6 الرومانيين فكانوا．
كل مرة يردون على أعقابهم خاسرين إذ لم يكن لهم موطن، ولا نظام، ثم يعودون القتال، وسكان جهادهم الأخير شديدا، ولقد أتى شيخ إلى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسيج من الكتان فأقاموا داخل المعسكر سورا من نسيج الكتان وجعلوا جنوده منذبحا بالجند واقضين من حوله شاهرين سيوفهم فيدخل شجع المحاربين إلى السور وتؤخذ عليهم العدوى أن لا يهربوا من الزحف أمام العدو، وأن يقتلو المنهزمين فأخذ من أقسموا بالأثمان المغلطة، وكانوا ستة عشر ألفا البسة من الكتان فتألفت منهم (كتيبة الكتان) وشرعت في القتال فقتلت عن آخرها.

يونان إيطالية - سكن إيطاليا الجنوبية طوارئ من اليونانيين: كما سكن بعضهم مدينة سيباريس وكروتون وتارانت وقوي فيها أمرهم وكثير سواهم، بيد أن اليونانيين لم يلقوا بأنفسهم قط إلى الوقوع في التحلكة إذا لم يقضوا رومية خوفا من الأتروسكية، وما عدا مدينة سكوس فإن المستعمرين من أبناء يونان كانت لهم إلى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانين.

الأتروسكية - أطلق اسم الأتروسكية على إقليم توسكانيا فسمي تروسكي، وهو إقليم حار رطب مخصب للغاية وظلمت حال الأتروسكية إلى الآن طلسمها من الطلاسم لم تفكوههم أن يكونوا يشبهون جيرانهم، ولا يعلم من أين أتوا، بل إنا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها إلا أن أجدتهم تشبه أجدية اليونان، ولكن الآثار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا نتمكن منها من استثبات لفته.

مكان الأتروسكية يحسون استخدام أرضهم في الزراعة على أنهم عرفوا البحارة والتجارة أيضا، ومكانا يذهبون صاليفينقين إلى البلاد القاصبة للبحث عن عاج الهند وسبر البلطيق وعن القصدير والأروجان الفينيقي والهلي المصري المكتوب عليها حروف هيروغليفية وعن نبات النعام وانه تجد من جميع هذه الأشياء في قبورهم، ومكانا سكنهم تتقدم نحو الجنوب، حتى جزيرة صقلية، وقد سكان اليونان يكرهونهم ويدعونهم (اليبرئينين المتوحشين)، أو القرصان...
الأتروسيين و بكل بحاره تلحك العصور ساعدته الأحوال يأتى منه قروصان بحر.
فكان من مصلحة الأتروسييين خاصة أن يردوا البحارة اليونان ويصدوهم ليخلوه
لهم الجو الذي الشاطئ الغربي من إيطاليا و بسأوا بتجارته ولم يبق من آثارهم
 إلا حوائط حصنية و قبورا و ورد ما يفتح قبر أحد الأتروسييين تشاهده وراء باب
ذي عمده غرف فيها سرر و بدأ امتدت عليها أجيزة و حاويلا حلي من الذهب والمعد
والعنبر و أقمشة الأرجال و فرش وأوان كبيرة منقوشة، أما الجدران فيرسمون
عليها صور حروب و الاعبا و وولائم و مشاهد غريبة.
وان ما استخرج من القبور بالألوف من الأواني الأتروسية فائدان هما
متاحن و و صنع على مثال الأواني اليونانية هو من صنع الأتروسيين أنفسهم
وفيها مشاهد ميثولوجية يونانية ولاسيما صور الحروب التي جرت حول طروادة
والأشخاص نائنة حمراء على صفيح أسود، و قد أسس الأتروسييون عُل طوسكانيا
اثنتي عشرة مدينة، و لكل منها ملكها و حكومته، و كان لهم من الجانبين
مستعمرات فلهم اثنتا عشرة مستعمرة 2 إقليم كامبانيا 2 جوار نابولي و اثنتا
عشرة 2 سهل يو.
دائنهم: اعتقد الأتروسييون بأرباب جحايرين و ورما تكوا أشارارا و أرقي
أولئك الأرباب الذين المستورون الجهول أمرهم، ثم يجيء بعدهم الأرباب الذين
يرسلون الصاعقة و وعدهم اثنا عشر ربا يلتفون مجلسا لهم و يعتقدون أنه يقيم
تحت الأرض 2 مدافن الأموات أرباب مشاميش و كثيرة ما كنواون براقهم
على أوان من صنع أيديهم تمتلكون ملك الحجم المدعو مانتوس 2 صورة حбар
مجنح جالس و تأ على رأس و ومشعل بيده، كم بما في راقين شياتين آخرين
مسلحين بسيف، و أطرقة و الحياة يقفزون عليها بأيديهم، و هم يتلقون أرواح
الموت و أهمهم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم أيضا، و قد تخلوهم
على صورة شيخ ذي هيئة قبحة يحمل مطرقة ثقيبة ليضرب بها ضحاياه
و يعتقدون أن أرواح الموتى وتسمى "المان" تخرج ثلاثة أيام 2 السنة من مقرها 2.
عالم الظلمات وتطور الأرض تروع الأحياء وتؤذينهم فيقدم لهم الأتروسكين ضحايا بشرية تسكنينا لفضحهم؛ لأنهم يحبون الدم، ونكشت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا دموية إجراة للأمم، في أصل نشأتها، وكان للعراقيين الأتروسكين الذين دعوا بالإروسيين، أو أهل الفأل قواعد يجريون عليها للتبدو عن المستقبل فيرصدون أحباء الضحايا؛ كما يرصدون الصاعقة وطيران الطير فيقفن العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكا بيدته عصا معقولة ويخط خطًا يقطع به السماء شطرين شرقي الشرق، وهو على اليمن يكون فأل خير وشطر الشمال يكون فأل شر (٣٣)، ثم يقطع الشتر الأول على قطع الصليب ويتلف خطوطا متوازية يكون منها في السماء شكل مربع يدعونه المبعدي فبرمي العراف بصره إلى الطيور التي تمر في ذلك المربع في بعضها كائن نشأ علامة خير وأخرى كماليسة علامة شؤم.

ولقد تنكب الأتروسكين عن مستقبلهم أنفسهم فيهم الشعب الوحيد من بين الشعوب القديمة الذي لم يعتقد بأنه خالد، وسعا يقولون أن بلادهم يدوم أمرها عشرة قرون، وهذه القرون لم يكن شكل واحد منها مولف من مئة سنة، ولا تعين مدة القرن إلا بعد أن يجري له، قال: ففي سنة ٤٤، وهي سنة وفاة قيصر ظهر ئسماء نجم من ذنب فقال أحد العراقيين من الأتروسكين ئرومية ئجميع من الأمة أن هذا النجم يشير إلى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر، وهو آخر قرن يستقيم فيه أمر الأتروسكين.

(٣٣) هذا أشبه بالسائح والبارج عند العرب ولعلها أخذته عن الرومان تقول العرب من لي بالسائح بعد البُراج: أي: بالبارج بعد الشؤم قال أبو عبيدة سال بونس رؤية وأننا شاهد عن السائح والبارج فقال السائح ما ولاك ميامنه والبارج ما ولاك ميامنه وقال أبو عمرو الشيباني ما جاء عن يمينك إلى يسارك، وهو إذا ولاك جانبه الأيسر، وهو انسبه فهو سائح، وما جاء عن يسارك إلى يمينك ولاك جانبه الأيمن، وهو وحشيه فهو بارج قال ابن بري العرب تختلف باعتناء عينا ئالتي من السائح والتشاؤم بالبارج فأهل نجد يشيدون بالسائح (المترجم)
نضوب الأتروسكينين - كان الرومان أمةً نصف متوحشة فاقتدوا كثيراً بالأتروسكينين، وهم أكثر منهم تفهماً واندماً وأخذوا منهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل ألبسة الكهنة والحكم والشعائر الدينية ومعرفة القرباء وجر الزيب يجرز. وفيما كانت الرومانيون يحسنون مدينة يجرون على شعائر الأتروسكينين فينخفض المؤسس لها بالممرات سورة مربعاً وله الممرات سكة من النحاس يجرها نور أبيض وبصرة ببساء فيتبسن الناس المؤسس ويلقون بمزيد العبادة جميع مدر الأردن من ناحية المسورة وتصبح كل الهواء التي يشقها الممرات مقدسة لا يستطيع أحد أن يبتعداً للدخول في السور، ولذلك كان يقظى أن يقطع المؤسس تلحك الأعلام أو الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان يتخاطه الممرات يفتح فيه باب وكل جرة لم يمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باباً يسوغ منه الدخول، ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية، وكانت تسمى رومية المربعة ويقولون أن مؤسسها قتل أخاه عقاباً له عن تجاوزه السور المقدس الذي خطر، ثم جرى الاصطلاح أن تخطط أسوار المستعمرات والمزكزات الرومانية، بل وحدد المسافر بحسب هذه القواعد الدينية وخطط نصف هندسية، وكان دين الرومانيين من أصل أتروسكي فنقلوه إلى أرجاء العالم القديم بأسره، ولذلك حق لأوأ الكنيسة أن تسمى بلاد الأتروسكينين "أم الخرافات".

اللاتينيون - نزل اللاتينيون في بلاد الأسكام والشعاب الواقعة جنوب نهر التيبير، وهي ويطلق عليها اليوم اسم تبة رومية، وكان زاناً قليلاً عددهم، ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها أكثر من 50 كيلومتراً مربعاً، وكانوا من عنصر واحد مشاكل الطبيبات يشبهونهم باللغة والدين والأخلاق ولكنهم يفوِّقونهم في التمبرز بعض الشيء يرعنون الأرض ويبكونون المدن الحصينة وينقسمون إلى شعوب صغيرة مستقلة، ولكن شعب أرضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعي تلحك المملكة الصغيرة مدينة.

ولقد قامت ثلاثون مدينة لاتينية فألقت منها مجتمعاً دينياً يشبه مجتمع.
الإمكانيون اليوناني وأخذوا بكل عام يحتفلون احتفالا عاما بعيدا لهم وتدب بكل مدينة عنها من يمثلها في مدينة ألب فيذبحون ثورا ضحية للرب المشترك بينهم، وهو سكوبك المشترى اللاتيني.

رومية الأصلية

رومية - على تخوم قطر الداخل يوم من ناحية بلاد الأيتروسكيين يمتد سهل ذو بطائش يتخللها أعمدة وشعاعات هناك على ضفة نهر الدير. أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المتفرق في الخلاء، ولقد صارت تنتاب تلك البلاد وحالتها من الكابحة والمёмس على جانب، ولكن مكان موقعها جميلا ونهر الدير بمكانة هوية قائمة في وجه الأيتروسكيين. فسكن مكان تكية الأباطرة بكالحصون وبيئ تكية المدينة والبحر ستة أميل، وهو يعد لا يكاد ينفيها من سطوة قرصان البحر ويقربها قليلا من تناول البضائع الواردة عليها، وكان منظرأ أوثي عند مصب نهر الدير حيا من أحياء رومية كبير مثل بيرة مراها اثينة فموقع رومية مكان والحالة هذه مناسبة لحال امة حربية تجارية.

تأسيس رومية - لا نصرف من حال القرون الأولى لرومية غير أساسية والرومانية أنفسهم لم يعرفوا عنها شيئا مثلنا، وقد ادعوا أن رومية كانت لأول أمرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة بكلها على رابية "بالاتين" ويدعى مؤسسها رومولوس، وهو الذي اكتسب له سموها بمحركات مهربا في تخطيطها السكان الإيتروسكيين، وسكن الرومانيون سكنهم حكameron. 21 إبريل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطولون حول سورها الأصلي يبقchecks أحد الكهنة مسماً بما الجيد. ياجاً أحد المعابد تدكنا للحفلة، وكان يقدر أن الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع سنة 759 قبل المسيح.

أنشئت على الروابي الأخرى جبل بالاتين عدة مدن صغرى ونزلت عصابة من سكان الجبال من السابنيون في معب البابوتيول؛ كما حلت عصابة أخرى من متشردي الإيتروسكيين في جبل ميلوس، وربما كانت أيضا تمت شعوب أخرى.
وانتهت الحال بجميع أولئك الجماعات الصغيرة أن يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بلاتين، ثم أنشأ سور حديد أحاط بالسبع أركام، أما ساحة المريخ، حيث يقف الجيش فكانت ممتدة إلى نهر التيبير من الشاطئ الآخر من النهر خارج السور، فكان الكابوتول في رومية مثل الأكروبول في أثينا، ولقد قامت على هذا الصخر معابد الأربات الثلاثة حامية المدينة، وهي المشترى وجودون ومنيرفا وهنالك القلعة التي حول خزانة الحكومة وسجلات الأمة، وبيت أساطيرهم أنهم عشرو عندما حضروا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثا، فكان هذا الرأس فلست حسبا فآولوه بأن رومية ستغدو رأس العالم.

تقاليد بشأن الملوك وإنشاء الجمهورية جاء في هذه التقاليد أنها حكم رومية ملوك مدة قرنتين ونصف، ولم تنشر فيها أسماؤهم وتاريخ وفياتهم، بل ذكرت تراجمهم، وقيل: إنهم كانوا سابعةً ملوك خرج الأول، وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فأسا مدينة باللاتين وقتل أخاه الذي ارتكب محرماً بأن قضى من فوق خندق سور المدينة، ثم حالف أحد ملوك السابقين المدعو تاتيوس، ويجعل تيقيد آخر أنه أنهى في سفح المدينة حياً محاطاً بسياح حضر إليه جميع المشترين الذين أحبوا الانضمام إليه.

وأما الملك الثاني، وهو نومانوميبيييوس، فقد كان ساسياً، وهو الذي رتب الديانة الرومانية آنذاً برأي إحدى الربات "إيجري" التي كانت تسكن في غابة، ومكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتيوس حفيد توما الموماً كان ين جسرساً من خشب على نهر التيبير وأنشأ جسر أوستي وعليهما كانت تمر تجارة رومية منذ ذلك الحين، وكان الملك الثلاثة الآخرون من الأيتروسكيين وحدت من أمر تاركوند النديم إن وسع الملكة الرومانية وأدخل الاحتفالات الدينية الشائعة في بلاد الأيتروبيا، أو الأيتروسكيين ونظام سرفيوس توليوس الجيش الروماني بأن أدخل فيه جميع أهل البلاد بدون تمييز في مواضعهم وأعمارهم وزعهم منصات من fetish بتروتهم، أما الملك الأخير المدعو تاركوند الباهز، فقد ظلم الأسرات.

١٤٠
الكبرى >>> رومية فتأمر عليه بعض الأشراف ووفقوا إلى طرده.

ومع ذلك العهد (510) لم يتملَك على الرومانين ملكهم فكانت البلاد الرومانية، أو: كيف يقال الملك العام يحكم عليها حاكماً بختار نقل سنة ويسماً "القنصل"، وليس من الممكن أن نعلم ما تعني هذا التقليد من الحقيقة.; لأننا نسأقب قبل أن يبدأ الرومان في وصف تاريخهم زمن طويل، وعند هذا التقليد من الأساطير ما لا يسعنا قبوله برمته، وقد حاول بعضهم أن يفسر أسماء هؤلاء الملوك ويستدل منها بأنها رمز إلى جنس، أو إلى طبقة خاصة: كما حاول بعضهم أن ينشئ تاريخ رومية في عهده الأول على ضروب من الصور، ولكن كلما بدأت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير أمر وükثر الخلاف بينهم.

وصف ترتيبات الرومانين على سبيل الإيجاز - كانت في رومية نحو القرن الخامس قبل المسيح طبقتان من الناس، وهما الباترسيون والبلبنين (أي الأشراف والعامة)، فكان الباترسيون من نسل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الضيقة = ظاهر مدينة رومية، وكان لهم وحدهم الحق أن يظهروا في جميع الأمة، وأن يحضروا الحفلات الدينية، وأن توسد إليهم الوظائف ويعتقدون أن أجدادهم أسسو المملكة الرومانية، أو: كما كان يقال: المدينة الرومانية وأوصوا بها لهم فكانوا هم من ثم الشعب الأصلي في رومية، أما البلبنين فهم من نسل الفرساء النازلين في المدينة ولا سيما من الفلبينين من سكان المدن المجاورة إذ أن رومية اخضعت بالتدريج جميع المدن اللاتينية وصممت سكانها إليها بالقوة فأصبحوا وراءيا لرومية لكنهم ظلوا غرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون أن يشركون >= شيء من الأمر فا يدينون بالدين الروماني، ولا يسوغ لهم أن يحضروا الحفلات الدينية، ولا أن يتورجا من الأسرات الشريفة، وكانوا يدعون بالأبلب أي: الجمهور، ولا ينظر إليهم بأنهم جزء من الشعب الروماني، وقد وجدت |=الصلوات القديمة هذه العبارة "لخير الشعب وخير البلبنين = رومية".

141
وكان يجتمع أبناء البلاد وعليهم أسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحة المناورات (ساحة المريح). ينتمون زعماءهم يطلقون عليهم لقب القضاة، أو القناصل. وكان هؤلاء القناصل خلال السنة التي يتتوذون فيها يحكمون روميا ويقودون جيشها ويدهم حياة جميع أفراد الأمة وموتها يرافقهم اثنا عشر رجلا من حملة الفؤوس إشارة لم لهم من السلطة فيحمل كل منهم فأسا وحزمة قضايان لجلد المجرمين، أو ضرب رقابهم فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش، وهو مرسي عال من الحاج ويستعاض في أوقات الحروب الخطرة عن القناصلين بحاكم واحد يلقون إليه بزمام بزمام السلطة فيصبح الحاكم المتحكم والأمر الناهي وحده ويكون قبضته الأربعة والعشرون جلادا، ولكن سلطته لا تدوم إلا سنة أو أكثر.

فيجتمع القناصل مجلس الشيوخ، وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وسادة أرياب الأملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعي هؤلاء بالأباء ويدعي نسلهم بالأشراف. فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيا ويطلق عليه "رأي الشيوخ". ومن العادة أن يلتزم القناصل امتناعًا فكانت من ثم رومية محكوما عليها من القناصل ومجلس الشيوخ.

انزعاج بين طبقات الشعب: كان العامة وأهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة ورعية، ومع هذا كان حال أهل الطبقة الوسطى يشبه كثيرا حال الأشراف فهم يخدمون الجنودية مثلهم ويخدمون الجيش على نفقتهما، ويفادون بأرواحهم خدمة الشعب الروماني، وهم مثلهم من أهل الفلاح والكرت يعيشون على قراضهم وأماكنهم، وصحار فك في أهل هذه الطبقة المتوسطة أغنياء، ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين الأشراف أن الأول كانوا من أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المغلوبة على حين كان الأشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة، ولم ترض نفوس أهل الطبقة الوسطى أن تظل ساقطة على ما قضى به عليها من المهنة، بل ثار بينهم.
ويُبين الأشراف نزاع دام قرنين (من نحو 1293 إلى نحو سنة 1000) وإليه كسيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في أُساطيرهم.

رأى أهل الطبقة المتوسطة ذات يوم أنفسهم مهارة فاعصموا إذ جبل هناك وعليهم أسلحتهم وعزموا أن يناواهم الشعب الرومانى فهال عزمهم جماعة الأشراف فبعذوا إليهم بالقائد منينوس أغرىما ليقص عليهم قصة الأخلاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول فيالطاعة وعدمت محالفة مع الشعب.

فمنح رؤساء هذه الطبقة الحق إنهم يمالوا بد المساعدة لأهل الطبقة الوسطى للأخذ بأيديهم من حيف حكام الأمة ولا أجر أن يحولوا دون قيام أمر يخلف رغائبهم، وقد كان يكنف أن يلبض أحدهم قوله "فتو" أي: إن أي أعارض فيتوقف البت في الأمر، وقد كان الدين يحظر الانتقاض على المدافع عن حقوق الشعب.

ومن فعل ذلك استحق العقاب من أرباب الجحيم.

فظلل أرباب الطبقة الوسطى أخذين أنفسهم بمجاهدة خصومهم من أهل الطبقة العالية وإذ سكانا أعز منهم نفروا وأكثر غنا وأبدا انتهت بهم الحال أن ظفروا بهم فتوصلوا أولا إلى وضع قوانين عامة للجميع، وأن يسمح بالزواج بين أهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى، وكان أصعب ما في هذا التغيير نزع الاستنثار بسلطة الحكم، أو الدف واجب بالشرف، وقد كان الدين يأمر أنه يجب قبل أن يعين رجل حاكم أن يطلب من الأرباب فيما إذا سكانت توافق على انتخابه أم لا فيسألون الأرباب عن رأيهم في ذلك بجزر الطيور. ويسمونه أخذ الفاح، بيد أن الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح بأخذ الفال إلا على اسم رجل من أهل الطبقة العليا، وما كان يخطر بالقوم بأن الأرباب يقبلون بحاصهم من أهل الطبقة الوسطى، وكان ثمة أسر كبرى من الطبقة الوسطى تحرص على أن تصبح مساوية لأسر الأشراف في تولي المناصب؛ كما كانت تساويها البغية والمكانة فاضطر أهل الطبقة الأولى إلى أن يفتح لها جميع المناصب شيئا فشيئا فبدؤوا يدخلون في مجلس المناصَل سنة 366، وفي مجلس
الحكم والقضاء سنة 377 والمرافقة سنة 371 وزعامة الدين الكبير سنة 302، ومن ذاك العهد ازتيز الأشراف أهل الطبقة العليا بأهل الطبقة الوسطى وأصبحوا شعبًا واحدًا.

الديانة

أرياب الرومان - اعتقد الرومان فكاعتباد اليونان بأن سائلا ما يحدث فيه هذا العالم هو مما قضته به إرادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا به وحيد يدير العالم، بل قالوا بتعدد الأرباب بتحديد المظهر المختلفة التي تتجلى فيها آمرهم ونواعهم فهناك رب بنيت البدر وآخر يحمي حدود الحقول وثالث يحرس النهار، ولكل رب اسمه ودجنسه وعمله وأهم الأرباب "المشري" رب السماء و"جانوس" ذو الرأسين و"المريخ" رب الحر و"عطارد" رب التجارة و"فولكان" رب النار و"نبتون" رب البحر و"سريس" ربة الحصاد والأرض والمصر و"جونون" و"منيرفا".

ثم يجيء الأرباب من الدرجة الثانية فكانت تتجسد فيه بعض تلك الأرباب صفة من الصفات كالفناء والانتحال والراحة والسلام ويشرف بعضها على عمل من أعمال الحياة فعندما يولد المولود يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب وأخرى تقوي عظامه وربان يرافقته إلى المدرسة وأخرى يرجعان به وبالجملة فإنهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من الأرباب من الدرجة الثانية ويعتقدون بأن هناك أربابا تحمي مدينة وحارة وجبالا وعامة، ونهر نهر، ولكل نهر، ولكل شجرة لرب خاص بها حتى لقد قالت امرأة صالحة في إحدى القصص من تأليف بترون الكاتب اللاتيني: "إن بلادنا غاصة بالأرباب بحيث يسهل عليها أن تلقى فيها ربا من أن تصادف رجلا".

ولم يتمثل الرومانيون فكاليونان أريابهم على صورة مخصصة، فقد مضى زمن طويل ولم يكن في رومية صمغ فكانوا يعبدون "المشري" في صورة حجر
و"مارس" على صورة سيف، ولم يقتدوا إلا مؤخراً باتخاذ الأصنام من الخشب على مثال أصنام الآيروسكبين وأصنام الرخام على أمثال أصنام اليونان، ولم يتصرعا على العكس في اليونان بأن بين الأرباب صهرا نسبا ولا عزوا إليهم قصصا، كما يفعل اليونان مع أربابهم، ولا يعرفون لهم جنة يعقولون فيها مجالسهم، ومكان اللغة اللاتينية لفظة مشهورة للتعبير عن الأرباب، وهي "ال CGRect"، فكانوا يعتقدون أنها تجليات قوة إلهية مجهولة، ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من الصور، ولا نسبوا إليهم رحما ولا صهرا ولا تاريخا ولا تاريا، ولكن ما كان يعرف عن الأرباب الرومانيين هو أن لكل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة.

يستطيع أن يعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويهوى.

العبادة: قلما يجب الروماني أولئك الأرباب المجهولين الصفر الباردين والظاهرة أنه كان يخفف منهم فيخبرهم وجهه عندما يتوسل إليهم، وربما أتيت ذلك لعله يقع بصبره عليهم ولكنه يذهب إلى أن الأرباب قدرون، وأن من يرضيهم يخدمونه، قال بلوث (الشاعر الهزلي اللاتيني): إن الرجل الذي يرضى عنه الأرباب يكسبه مالا ويعتقد الروماني بأن الدين عبارة عن مقايضة المنافع فيقدم الممر للرب النذور وقرابينه وينجيه هذا بعض المنافع فإذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب، ولم يظهر بما تمناه يعتبر نفسه قائما مخدوبا، ولقد قدم الشعب للأرباب خلال مرض القائد جرمانيكوس نذورا لتنم عليه بالشفاء، وما ذاع خبر موتته سخط العامة وقتت المذابح وألقت في الشوارع بتماثيل الأرباب: لأن هذه لم تعمل ما كان يرجى منها أن تعمله وهذا فإنا نرى الفلاح الإيطالي لعهدنا هذا يشتم القديس الذي لم يدخل ما طلبه منه.

فالعبادة إذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الأرباب من الأعمال والشعب يأتينهم بالثمار والذين والخمار ويضحفي لهم الحيوانات، ويخبرون تماثيل الأرباب من معابدهم ويجعلونها على سير ويو délون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبتون لهم دورا جميلة، وهي المابد
ويحتفلون بأربابهم.

ولم يكن يكفي بعيد تعميم أرباب الرومان أن ينقض الناس مالاً ـ سبيل إكرامهم، بل كانت تنظير إلى الصور التي يقوم بها ذلك الإكرام فتقضى إرادتها أن تجري جميع أعمال العبادة والندوز والألعاب بما رسمته القواعد القديمة (الطقس) فمثلى أريد تقديم ضحية للمشتري سكان عليهم أن يختاروا حيواناً أبيض، وأن يذروه على رأسه دقيقاً مملحاً، وأن يضرب بفأس، وأن يقف المقدم لهذه الضحية على قدميه ويدهم مرفعتين إلى السماء، حيث يقيم المشتري، وأن يلمضوا بجملة تقليداً لاسمها فإذا غلت المقدم بما يقول فمعنى ذلك أن الضحية لا تساوي شيئاً ويذهب القوم إلى أن الربي لا يرضى عما قدم له، ولقد قام أحد الحكام بألعاب إكراماً للأرباب الحامية لروميا فما شيرشيون: "إذا غرت عباره، وإذا وقف اللاعب بالشباب أو انقطع المثل فتكون الألعاب غير موافقة للشعور الدينية فيجب إذ ذاك إعادتها"، ولذلك مكان أهل الرأي من الناس يحضرون مكاهن أحدهما يلتوي الصلاة والآخر يتابعه فيما يقول.

يجتمع الكهنة، وهم يدعون "أخوة أرجال" كل سنة في معبد بجارومية
فبرقصون رقصاً مقدساً ويتنول الصلوات، وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها أحد شيئاً ويفتضى. لا أوقات الصلاة أن يدفع إلى كل مكاهن مجموع قوانين مكتوبة في أول الجليسة وظل الرومانيون بعد أن نسيت هذه اللهجة بقرون يتلونها بكل سنة دون أن يغيروا منها حرفاً وهم يدلون على أن الرومانيون كانوا يرمون إلى الوقوف عند حد ما رسمه أربابهم هو أنهم كانوا يقومون أحسن قيمتهم بقواعد الدين، ولذلك يرى الرومانيون أنفسهم من أكثرك البشر تدنيا، قال شيرشيون: "إنا أحرمن من جميع الأمم، أو مساواون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في أمر الدين، أي:عبادة الأرباب".

الصلاة - إذا صلى الرومانى فليس ستصلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه، بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له فمن ثم تراه يبحث قبل شيء عن الرب
الذي يستطيع أن يثنيه رغبته، قال فارون (الشاعر اللاتيني): "يُلزمنا أن نعرف، أي: الأرباب يتسر له أن يعينا بـ٣ أحوال مختلفة؛ كما نعرف أين يقوم النجار والخباز". وهكذا قضت الحال بأن يعود إلى سيريس للحصول على زروع جيدة وإلى عطارد لاكتساب المال وإلى نبتون للمعونة على ركوب البحار فيلبس المستشفى الألبسة نظيفة ما وقررت الأذهان من أن الأرباب يرغبون في النظافة ويقدم بين يدي نجواه ضحية: لأن الأرباب لا يحبون من يجيء وأيديه فارغة ويقف المستشفى. وقد كشف رأسه فينادي الحرب إلا أنه لا يعرف اسم الحرب الذي يناديه ويقول الرومانون: إنه من أحد يعرف أسماء الأرباب الحقيقية، بل يكتفي بأن يقول له مثلا: "أيها المشتري الأعظم الرحمي، أو بأي الأسماء تحب أن تدعى بها". ثم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقيا استعمال جمل صريحة بكل صراحة، حتى لا يندخى الحرب فإذا قدم له خمر يقال له: "تقبل طاعة هذا الخمر الذي أهرقه"! لأنه يسهل على الحرب الاعتقاد بأنه يقدم له خمر آخر غير الذي قدمن له، وأن يعاقب به، ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة العفو ممولة بالطرادات.

النافظ - يعتقد الرومان كاليونان بالغالب فيذهبون إلى أن الأرباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدبرونها فيستنصح الروماني الأرباب قبل أن يشرح لها عمل فإذا ما أزعم القائد فيهم أن يهجم على عدوه يبحث في أحياء الموتى والحاكم قبل أن يجمع لديه مجلسا ينظر إلى الطيور السائرة (وهذا ما يسمونه أخذ الطالع والفاسل) فإذا كان فيها إشارة موافقة يدبركون بأن الأرباب استحسننت المشروع ولا فمعناتهم أنهم غير راضين عنه.

ووكثر ما يرسل الأرباب الآيات من قبلهم، ومن دون أن يسبئوا إرسالها وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تعد فناء على حادث غير منتظر، فقد ظهرت نجمة مذنبة قبل موت قيصر فذهب القوم إلى أنها إشارة إلى نعيمه، وإذا أرعت السماء عندما كانت الأمة تجتمع للمفاوضة في أمر فمعنئ ذلك أن سكوب المشتري لا يحب أن يبتوا أمرا ذلنا اليوم، ولذلك يغفرون بكل حادث طفيف ويؤيلونه بأنه رمز.
إلى أمر يقع إذا أبرق البرق، أو سمعت كلمة من متكلم، أو وقف جرذ في الطريق، أو شهد عرفاً فكل ذلك يأخذك يأخذك منه العبور، حتى أن مارسلو سكان إذا عزم على البداية بعمل أمر بأن يحمل ١٢ ممّهفة مغلقة ليكون على ثقة من أنه لا يرى شيئاً يتفاءل به.

وما سكان ذلك مجرد خرافات للعامة، بل مكان للجمهورية الرومانية ستة طوال تتنبأ لها بالمستقبل، فكان لها كتاب للنبوات تبَّلَّغ المنية به دعته كتاب "سيبيلين"، وكان لها فراغ مقدسة يقوم على ترنيتها الكهنة، وما مكان يجري عمل عام ولا تلتزم جمعية، ولا يشرّع بانتخاب وضفوضة بدون أن يعمدوا إلى أخذ الطالع، أي: أنهم ينظرون إلى السارح والبارح، وقد شاع سنة ١٩٥ أن الصاعقة انقضت على معبد للمستيرو وأنه نبتت شعرة على رأس تمثال هيركل فكتب أحد الولاة بأنه ودلت فرحة ذات أرجل فاجتمع مجلس الأمة للمفاوضة ١٢ هذه الفؤل.

الكهنة - لا يقوم الكاهن ٢ رومية بما يقوم به ٢ بلاد اليونان من الأعمال الروحية، بل مكان ينقطع فقط لخدمة الحرب فيلاحظ معبده وبدير شؤون أملاكه و يقوم بالاحتفالات لإكرامه ولهذا كانت جمعية الساليين (الرقاصين) تحتفظ بترس ووقع عليها من السماء: كما زعموا، وكان يعبد: كما يعبد الصنم، وكان تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه أعضاء تلك الجمعية والأحبار يراقبون الحفلات الدينية فيضوعن تقويمًا للسنين ويخذلون أوقات الأعياد التي يجب الاحتفال بها بأيام مخصوّصة من السنة ورؤسهم هو الحب الأعظم.

وما مكان الكهنة، ولا العرافون، ولا الأحبار يؤلفون طالقة خاصة بهم، بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبلن على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء، ومنهم رئاسة الجمعيات، ومنهم قيادة الجيوش، ولذلكي لم يتألف من الكهنة الرومانين على قوتهم، كما تتألف من الكهنة.
المصريين طبقة سكنوتيّة، فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها، ولم يكن
لكهنة حق الحكم فيها.

عبادة الموتى - اعتقده الرومان: لما اعتقد الهنود واليونان بأن الروح
تبقى بعد موت الجسد فإن عُننا بثغْر الجثة بحسب العادات، فقد اعتقدوا بأن
الروح تذهب لتحيا تحت الأرض وتصبح رئة ولا فالروح ليس في استطاعتها
الدخول إلى عالم الأموات، بل كانت تعود إلى الأرض تدخل الرعب على قلوب
الأحياء وتعذبهم ليدفنهنها حتي بلين لجن قصة شبح مكان يختلف إلى أحد
البيوت ويلحق سكانه هنا فاكتشف أحد الفلسفة ممن مكان له قوة قلب
تمكن من اقتفاء أثره إلى المكان الذي وقف فيه ذلك الطبيب عظامًا لم تدفع
بحسب العادات المتبعة وهنا صارت روح الإمبراطور كاليجولا تطوف في حدائق
القصر فاقتضى إخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية.

فمن ثم كان مما يهم الأحياء والأموات على الياسمين المحافظة على العادات
الدينية فكانت أسرة البيت تنصب دعوة حطب يحرقون فيها الجسد ويجلون
الرماد في صندوق يضعونه في القبر، وكان لهم معبد صغير خاص بذن أرواح
الأرياح، أي: الأرواح التي أصبحت أرياحا فيأتي أهل البيت أوقات معينة إلى زياره
القبر حاملين طعاما لا جرم أنهم اعتقذا قديما أن الروح محتاجة إلى الغذاء;
لأن القوم كانوا يحرقون الحجر واللبن على الأرض ويحرقون لحمل المنكوبين
ويتركون في الأوابي لبنا وحلالوا، وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء
الله أن تدوم، وما كان لأهل بيت أن يتخلوا عن أرواح عادتهم، بل يظلون على
العناية بمسورهم وتأثرونهم بالغذاء لإطعامهم، ثم إن تلك الأرواح التي تتأله، أو
تصبح في عداد الأرياح تحب ذريتها وتحمي أحفادها من البواقى، وهاكذا كان لكل
أسرة أرياح يحمونها يدعونها آلهة البيت.

عبادة البيت اعتقده الرومان سكاكتد الهنود بأن اللهيب ريب: لما أن البيت
مذبح، فكان لكل أسرة بيت تحت و تقوم على العناية به ليل نهار تحمل إليه الزيت

149
والشحم والخمر والبخور فيتصاعد اللهد ويستطع مكانه منبعث من الضحية.
فكان الروماني قبل أن يبدأ بتقديم الطعام للميت يشكر لرب البيت ويدفع إليه جزءًا من الأطعمة ويصبه له قليلاً من الخمر، وهذا ما يدعونه بالصب والإحرام.
حتى أن هوراس نفسه على قلة اعتقاده مكان يتعشى أمام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة العتادة.
وكان لكل أسرة رومانية يُبيتها قبر جعل فيه أزراب البيت وأرواح الأجداد ومذبح البيت، وكان لدي دينة رومية نفسها بيت مقدس يُ cuer الآلهة فستا، وهي عبارة عن أربع عدائم، من أعم الأسرات الرومانية عهد إليها حرياسته، وذلك:
لأنهم يرون أن لا ينطفي اللهد المقدس مطلقًا، ولا يعهد بالقيام عليه إلا لأناس من الأبطال فإذا أبت إحدى تلك العدائم أن تقوم بما فرض عليها التوفر عليه من هذه الخدمة يدفنونها حية، القبو لأنها ارتكبت عملا طالما ووقعت الشعب الروماني في خطر.

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية - لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني أن يكون وطنيا رومانيا، بل يجب أن يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على أنفته؛ لأن الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحًا، حتى إنها لم تكن تعطيه جرادةREAMها إلى سنة 400، وعلى هذا، فلم يكن يجـد من المواطنين إلا من THEYOSوا يملكون بعض شروط، أما الفقراء فكانوا يعضون من الخدمة العسكرية ويعبرة ثانية ليس لهم الحق في خدمةها وينحق كل وطناً له بعض الفناء أن يقبل في الجيش بعد أن يكون أبلاء حسبا، عشرين حملة، وإذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد، أي: منذ سن السابعة عشرة إلى السادسة والأربعين فكل فرد هو رومي، كما هو المدن اليونانية وطني وجندي rein واحدة والرومانية مسألة من صغار أرباب الأملاك المسرين على القتال.
التجنيد-  متي احتاجت الحكومة إلى جند يصدر القنصل أمره إلى جميع الوطنيين اللائقين للخدمة بأن يجتمعوا في معبد الكابوتول، وهناك يلتئم ضباط تختارهم الأمة، وهم يختارون من ينبغي لهم من الجندي لتأليف جيش، وهذا هو التجنيد عند الرومانين ويسمونه الاختيار، ثم يجري التحليف العسكري فيبدأ الضباط أولا يقسمون اليمين المألوفة، ثم الجنود وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد، وأن يقاتلا دون أعلامهم، حتى يكونوا في حي من أيمانهم نظره فيتلو رجل عبارة ويتقدم بكل فرد فنوبته فيقول "وأنا أيضا" فيرتبط الجيش إذ ذاك بالقائد ارتباطا دنيا.

دعى الجيش الروماني أولا الفرنجة، أو التجنيد، ولما نما الشعب أصبح يلف بدل الفرنجة فرقا والفرقة الرومانية عبارة عن 200، أو 5000 رجل وكلهم من أبناء البلاد، وكان أصغر جيش على الأقل عبارة عن فرقة، وكان نصف جيش بقيادة قنصل عبارة عن فرقتين على الأقل ويتبلد نحو نصف الجيش من هذه الفرق، وكما كان على جميع شعوب إيطاليا خاصة لرومية أن يبعث إليها بعوثها ويدعى هؤلاء الجنود "المحالفيون"، ولم تحت قيادة الضباط الرومانين وسكتت ترى المحالفيين في الجيش الروماني أكثر عددًا من سكائنا الوطنيين وجرت العادة أن يبعثوا مع كل أربع فرق (1600 جندي) عشرين ألف راجل من المحالفيين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه أكثر من مواطنيه.

التسلية- اعتاد الرومان كاثليكان أن يقاربوا مترجلين متدرعين بالدروع والخوذ والمسامي (الطواقم) قابضين بأيديهم الجسر على ترسية شيدوها بها الضربات مضى عليهم زمن، وهم يقاتلون بالرمح والسيف فكنت إذا تلاقوا بالعدو يجتمعون مكتبة واحدة على نحو ما كانت تجمع الكتائب الرومية، ثم عمدوا إلى استعمال ضرب آخر من ضروب الكور والضر وتقسيم الفرقة إلى سرايا صغيرة بكل سرية مؤلفة من 120 جنديا "مارايبول"، أي: الفرقة: لأن علمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فتصطفي بكل فرقة على شكل رقعة الشطرنج على ثلاث

151
خطوطر، وكيل فرقة منفصلة عن جاراتها بحيث يكون المجال أمامها متسعا للعمل على حدتها فيضرب جنود فرق الصفوف الأولى بحرابهم ويدعون سبيهم فيأخذهم ويسعون بالقتال، فإذا اندحروا يتراجعون إلى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته إلى القتال، فإذا ما دحر ينكسى راجعا نحو الخط الثالث، وهذه الفرق هي خيرة رجال الجيش يحملون الرماح، وهم واسطة لقيادة خواناتهم الأخرين لقتال الأعداء بهم.

وبدع فإن الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في أي واحد، بل إن القائد يعين جندها مراعيا حالة الأرض التي يتخذهما ساحة لقراع الأعداء، ولهذا التقى كتائب جنود الرومانيين وفرق المكدونيين في جبال سينيسيفال، وثانيا للمرة الأولى، وحما أشهر ما عهد من الجيوش في العهد القديم، وكان ميدان القتال عبارتا عن أصمات وتعلات، فلم يكن في إمكان البسيطة عشر ألف محارب من المكدونيين أن يظلوا متغاضين متجمعين، بل سكان الصفوف ذات فروع فرحلت الفرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يخلل صفوفهم ومزقت شملهم كل ممزة.

التمرينات: لم يكن لرومية مجال للألعاب الرياضية، فكان الجنود يتمرنون في ساحة المناورات، أي: في ساحة المريخ من الضفة الثانية من نهر التيبر، وهناك كان الشاب يسير ويبعد ويقفز وعاليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويضرب بحريته ويستعمل معهله إذا ما علاء الغبار والعرق يجتاح نهر التيبر عائما وكثيرا ما كان الرجال المدبرون، بل والقادة يشاركون فتيان الجنود في تمرنئاتهم إذ كان من داب الروماني أن لا ينقطع عن التمرن، حتى كانت القاعدة المتبعة إذ ذاك أن لا يترك الجنود، حتى في الحرب بلا عمل فيمرنون مرة في اليوم على الأقل ويستغلوتهم بإنشاء الطرق والجسور والمجاري إذا لم يكن أمامهم عدو يقاتلونه، ولا متاريس يقيمونها.

العسكر: يحمل الجندي الروماني حمالة تقبيل مؤلفا من سلاح ولوان
وأطمأنت تكفيه أياماً ووتد ويبلغ وزن مجموعها ستين رطالاً روماني، وإذا تلاقى الجيش بجيش العدو يسهل عليه الحرب بسرعة إذ لا يكون له من الأثقال ما يشغله.

وبكل مرة كان يريج الجنرال الروماني الوقوف ليعسكر يحظر المتاح نطاقاً مربعاً ويخفض الجنرال محيط ذلك النطاق هو عميقة ويقبن الطرقات من ناحيتهم وداخل يكون محدساً يضربون فيه أولاً ودهاً وهكذا يكون المعسكر محمياً بنطاق من أتود وأرض ذات وهاد، وداخل هذه القلعة المؤقتة يضرب الجنود خيامهم يجعلون سرادي القائد في الوسط ويقبع العيون والحراس طوال الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الجيش مأمن من كل عدو مفاجئ.

تعليم الجند - يعلم الجيش الروماني تعليماً قاسياً فيحق للقائد أن يميت جنده، أو يبقي عليهم والجندي الذي يترك ملح، أو يبقي إلى الطريق في رجف يحكم عليه بالموت فتبرع بحملة الفؤوس بعمود وضربونه بالعصي ويطعمون رأسه، أو يقع عليه الجندي فيضرونه بالعصي.

وإذا نمردت كتيبة من الجيش يقسم القائد المجرمين إلى عصابات أكل عصبة مؤلفة من عشرة أشخاص يقترون خلابل عصابة على واحد يكون عضوهم الإيداع ويسعون هذا التمثيل؛ أي: أخذ واحد من عشرة، أما الباقي ففرض عليهم بأن يعطوا خيز شعير ويتبعونهم يعسكون خارج المعسكر ليكونوا أبداً على خطر من مفاجأة العدو لهم.

لا يقبل الرومانيون أن يغلب جندهم، ولا أن يؤسروا، فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف جندي بعد وقعة "الكان" وراحوا يهيمون على وجههم إلا أن مجلس الشيوخ أرسلهم يخدمون في صقلية بدون جرائم، ولا ألقاب شرف، ريثما يخرج العدو من إيطاليا ويشتري ثمانية آلاف جندي في المعسكر فقبض عليهم، وقد عرض هانيلي أن يعيدهم إلى الحكومة لقاء فدية طفيفة تدفعها عنهم فأوجب مجلس الشيوخ أن يفتديهم.

١٥٣
الفلجة- متى كتب الظفر لأحد القواد يصدر مجلس الشيخوخ أمره إليه بأن
يحتفل بما تم له من الفلجة دليلا على تشريفه فيحتفل بذلك الاحتفال الدينية في
معبد المشتري فيسريس في المقدمة الحكام والشيخوخ، ثم يأتي العجلات مملوكة
بالغنائم والأسرى مقيدين من أرجلهم، ويؤدي المخرقة عجلة مشيدة تجرها أربعة
جياذ يأتي القائد الغازي متوجا بالغوار وجنده يتبونه مترنمين بأدوار دينية
يرتدون فيها اسم الظفر فيرجو هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال ويطلع إلى
معبد الكابتل، وهناك يضع الغازي أغصان الغار على أرجل المشتري ويحمده على
أنه مكان سببا لنصره عند انتهاء الحفلة تضرب أعنف الأسرى؛ كما فعلوا
مع الزعيم الغالي فرسنجتيركس، أي: أن يلقوا الأسير مطبق (حبس مظلم)
يوم جمعة، كما فعلوا مع جوزيرتا ملكة فوميديا، أنهم يكونون بأن
يسجنوا الأسير، وقد دام ظفر بولس إميل الذي تغلب على ملكة مكدونية (167)
ثلاثة أيام ور tempted اليوم الأول مرجبة تحمل لوحات وتماثيل، ور الثاني ما
غناه من الأسلاحة ور برميلها من المال، ور اليوم الثالث 120 ثورة من ثيران
الضحايا والمحتكما برسي في المؤخرة لأيضا السود يحف به خاصته مقيدين وثلاثة
أولاد له مدوه أيديهم للأمة يضروها إلىها وآخذوا يحركون شفقتها.

فتوح إيطاليا- كان رومية معبد خاص بالرب جانوس تبقى أبوابه مفتوحة
مادوم الشعب الروماني في الحرب، ولم يغلق هذا المعبد إلا مرة واحدة دامت بضع
سنين وخلال خمسمائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه
فإن رومية عاشت في حرب دائمة، إذ كان جيشها أقوى جيش في عصره انتهت بها
الحال عند تغلب على جميع الشعوب الأخرى، وأن تفتتح العالم القديم.

فبدأت بإخفاء جيرانها أولا فأخذت اللاتينيين أولا، ثم الشعوب الأخرى
نازلة في الجنوب مثل البوليكيين والأيكيين والهيركانيين، ثم الأيتروسكيين
والسامنتيين، ثم المدين اليونانية، وحكاها هذا الفتح من أشق الفتوح وأبطنه بدأ
على عهد الملك، ولم ينته إلا بمثابة سنة 236، أي: بعد أربعة قرون (33) وذلذاً: لأنه كان على الرومان أن يقاتلون شعوباً هم وآيهم من عنصر واحد، وهم على شاكلتهم في القوة والنجمة والشجاعة، ومن هذه الشعوب من أبى آباؤها أن تخضع للرومان فما كان من رومية إلا أن أبادتهم فأصبحت سهول فولسكا الغنية قفراً ذب طالع ومستنقعات، ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكن، حتى يوم الناس هذا، وقد سكنت البلاد السامنتين تعرف بعد ثلاثمائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المدارس، أكثر مما تعرف بخدمة جواً من السكان، وكان فيها 45 معسكرًا للإمبراطور دسيوس و88 للقائد فابيوس.

الطرق العسكرية: أقام الرومانيوين جميع إيطاليا طرقاً عسكرياً ليتسنى لهم أن يبعثوا بالبعثات إلى القاصية، وكم كانت هذه الطرق عبارة عن طريق مستقيمة مرصوفة بالجير والحجر والرمل وبلغ من مانتتها أنها صبرت على الأيام خلال ذاك العهد برمته، وقد أعتر الرومان منها عامة بلاد إيطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها إلى اليوم أثراً من أثار تلك الطرق الحربية. وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي أمر بنائها وأهم هذه الطرق طريق أبين الممتل إلى الجنوب إلى بطائح بونتين، حتى ترانتا وبرندة، ثم طريق فلامنين الذي يجتاز طريق أبين ويصل إلى بحر الأدرياتيك وطريق أورلين الذي يقطع إقليم طوسكانيا أخذاً إلى الشمال على طول الشاطئ، حتى بلاد الغال، ثم طريق أميلن الممتل من بحر الأدرياتيك متباكاً جميع سهول "يو".

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة السياسة الرومانية لم يخطر للرومان أن يفتحوا العالم أولاً، حتى أنهم

(33) لم يكن للرومانيين من أخبار جميع هذه الحروب في إيطاليا سوى أساطير فقائ أثكها ليكون منها دليل على رجولية بعض أجداد إحدى الأسر الشريفة

105
تمهλوا بعد أن بسطوا حكمهم على إيطاليا وقسرطة مدنة سنة قبل أن يخضعوا الشرق إلى سلطانهم، والظاهر أنهم فتحوا فتوحاتهم دون أن يستسلموا ل허م خطة من قبل؛ لأن مصلحتهم فقط لهم كانت بأن يفتحوا الفتح ويدخروا المالحه.

فكان يرى الحكام، هم قيادات الجيوش من الفتوحات فرصة لنيل علائم التشريف بالنظر، الذي يكتب لهم ويكونون على ثقة من الاستهثار بين أمتهم والتآثير فيها، وكان أعظم رجال الحكم أمة رومية مثل بابيريوس وفابيوس وسيبين الأول والثاني وسكاتو من القواد الذين فتحوا الفتح وكتب الظلم لأعماهم ويربح الأشراف الذين يتلفهم منهم مجلس الشيوخ إذا طهر سواد رعايا رومية فيذهبون، كما يذهب الحكام لقبول احترامهم وهداياهم، أما الفرسان أي: الصياد والتجار وأرباب المشاريع فإن نكل فتح جديد، حك من حك لهم بمثاب مشروع جديد يستثمرونه.

والأمة نفسها تنتفع من الفنادق التي تأخذ من العدو، وقد وقعت الضرائب بصورة دائمة بعد أن دخلت خزانة الدولة الرومانية عقود ملكي مكودنية، أما الجنود فكانوا يقبضون روتب عالية من قوادهم، وقد أخذوا يحاربون البلاد الفنية دع عنه ما كانوا يمدون إليه أشدهم من مال المغلوبين، وعلى هذا، فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية أصغر من المجد.

قرطاجنة - لما امت سلطان رومية إلى جزيرة صقلية حملت على قرطاجنة، وعندئذ بدات الحروب الفينيقية فحدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الأولى من سنة 264 - 241 حريبا بحرية، ولا نعرف عنها شيئا إلا ما رويته الأساطير بعد زمن من حدوثها فدحضوا أن الرومانيين لم يستسلموا لمزال حسبهم فقط وإنهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في الشاطئ فأخذوا يمرحن مجدفين على استعمال المجاذيف على اليابسة، وهذه القصية لا أساس لها لأن بحرية رومية قديمة، أما الرومان، فقد نقلوا أخبار هذه الحروب، كما يلي غلب

156
القرن الثالث عشر: الأسطول القرطاجاني في ميلاد (1200)، وكان نزالًا إلى إفريقية من البحر جيش روماني على عهد الحاكم ريجولوس غلوب وتمزيق شدرو مدر (1255) وأسر ريجولوس وأرسل إلى رومية ليؤدّي الصلح وقرر مجلس الشيوخ إباؤاً. الصلح فرجع هذا إلى قرطاجنة، حيث قضى نحبه في العذاب، ثم حمي وطيس الحرب في سقليت فكانت الغلبة للأسطول القرطاجاني أولاً (1249). ثم دمر بالقرب من جزائر إيبات (1249) وبعد ذلك حاصر هامليكار جبل أركيس فوقع على الصلح ودخلت سقليت حوزة رومية.

翁شبت الحرب الثانية (من سنة 1218 إلى 1221)، وكان قائدًا هانيبال من نسل الأسرة القرطاجننة صاحبة الحول والسلطة في بادجوراس، وكان قائد أبوه هامليكار إلى سقليت جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الأولى، ثم عهد إليه أن يفتح إسبانيا، وكان هانيبال إذ ذاك فصبط أحمد أبوه، وكان الدعابة أن تقدم الضحايا للأرباب عندما يغادر الجيش البلاد ويقال: إن هامليكار بعد تقديم الضحايا حلف ابنه أن يكون أبداً عدواً أزرق للرومان.

ربي هانيبال وسط الجنود فأصبح أحسن قائد وأمهر راجل في الحرب، ولم يكن يعرف من الحياة إلا أنه محارب، وكانت عنايته منصرفًا إلى تعهد حصانه واسلحة و 마련 أمره كثيرًا، حتى إذا هلك القائد أسدريال الذي كان يقود الجيش الإسباني انتخبوه قائداً عليهم دون أن ينتظروا أوامر مجلس الأعيان القرطاجننة في ذلك، وهنا أصبح هانيبال الحاداة والعشرين من عمره قائداً، ليبعد أحد سواهو ودخل غمار الحرب على الرغم من مجلس الشيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساونات حليفة رومية فاستولى عليها وخرجها.

ومما كتب به المجدد هانيبال أنه عوضًا عن أن ينتظر الرومانين جرأً على أن يقتتحمهم في عقر دارهم من بلاد إيطاليا، ولم يكن له أسطول يحمله وجيشه إليهم فعزم على اجتياز البلاد إليهم بما قطع جبال البحرية ونهر الرون وجبال الألب وضمن نفسه محالفة الشعوب الغالية وقطع جبال البحرية دون أن يلقي...
فيها مقاومة الغاز مؤلف من ستين ألف مقاتل من الجنود المستأجرة من الإفريقيين والإسبانين ومعه سبعة وثلاثون فيلا مدرية على الحرب، وقد طمع بعض الشعب الغالٍ أن يحولوا بينها وبين النهر. إن النهر الروم فارسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من أعلاه وتهاجم الغالين من ورائهم على حين يجتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجر الفيلة على أرما الكبيرة. ثم صعد ويدي أو وانتهى إلى جبال الألب أر واخر شهر تشرين الأول (أكتوبر) فقطعها على ما كانت مغشاة به من الثلج، وعلى الرغم من غارة السكان الجبلين على دي أكثر من الرجال والخيول الهاويات وقتى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الألب وصب عليه النزول: لأن المضيق الذي كان يجب عليهم السير فيه عقبة النزول والصريع فاقتضى لجيشه أن يتخذه له طريقا يประกع في الصخر، ولم يصل إلى السهل إلا وقد أصبح جيشه نصف ما كان. ثم لقي هانيا بالثلاثة جيوش رومانية في مسافة متدنية على شاطئ نهر تيسين وضفة نهر تيربيا وبالقرب من بحيرة ترازيامين في أرتوريها فهزمها كلها، وسكان كلهما تقدم إلى الأمام يزيداد جيشه وينضم المحاربون من الغالين "إيطالييا الشمالية" تحت لواءه ليخدموه وينصروه على الرومانيين.

فاجتاز هانيا بالإيطالي إيطاليًا واتخذ لنزوله إقليم أبوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجم فيها الجيش الروماني، وسكان جيشه نصف جيش، ولكن سكان معه فرسانه الإفريقيين يرقصون خيولا سريعة، وقد رابط في سهل "سكون" بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجههم الشمس والتراب الذي تثيره الريح فأحاط النار بالجيش الروماني إحاطة السوار بالعصام وذبحوه عن آخرهم (217)، وسكان يظن أن هانيا سيرجع على رومية إلاأنه لم يكن على تخنة ثامة وهكذا ظل هانيا بالإيطالي الجنوبية تسع سنين يحاول أن يفصل عن رومية الشعوب المحاذفة لها، ولم ينجح إلا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرنا الرومان وخروبه.

وبعد ذلك سافر أخوه أسدريال في جيش إسبانيا للالتحاق به فوصل إلى...
أوساط بلاد إيطاليا فسار الجيشان القرطاجانيان أحدهما على الآخر يقابلا صلا منهما جيش روماني بقيادة أحد حكام الرومان، وكان نيرون محذيا لهانيبال فجرا على قطع إيطاليا الوسطى لينضم إلى رصيفه مقابل أسدروبال، ولقد سمع أسدروبال مع صبيحة ذات يوم الأبواق تبوق مرتين لعسكر الروماني، وكان نيرون محذيا لهانيبال فجرا يشير إلى أنه كان يعذر المعركة قنصل، أو حاكمان فوقع في نفسه أن أخذ غلب وإنهمز، وأن الرومان يطاردونه وأنه قتل ودبح جيشه عن بكره أبيه، ثم رفع نيرون إلى الجيش الذي غادره أمام هانيبال وألقى في المعسكر قرطاجنة رأس أسدروبال (207).

فلم بقي لهانيبال غير قوته يتصلى بها وأقام خمس سنين في القليم صقالابرا، وما أكره على الخروج من إيطاليا إلا لما علم بأن جيشاً رومانيا كان نزل إلى إفريقية وأخذ يهدد قرطاجنة فذبح هانيبال الجنود الإيطالي الذي أبي الالتحاق به وركب البحر إلى إفريقية (203) وانتهت الحرب بوقعة زاما (202)، وكان هانيبال اعتدم بحسب عادته أن يسقح جيشه الروماني إلى الدخول في صفوفه، ولكن القائد الروماني سبقوه تاب مع جيشه. وما كانت إلا هجوماً واحتيا، حتى ركذ هذا أحكاف عدوه وهم جيشه شر هزيمة.

فاضطرت قرطاجنة إلى عقد الصلح وتنازلت عن كل ما تملكه خارج إفريقية وتركت إسبانيا للرومانين واضطرت زيادة إلى ذلك إلى تسليم سفنتها وفيلتها، وأن تدفع مبلغًا من المال يبرو على خمسين مليونا من الفرنك، وتعهده بأن لا تعلن حربا قبل الاستندان من رومية. وفانت عاقتمة الحرب الثالثة (من سنة 149 إلى 146) القضاء على قرضه قتال حصار الرومان كثيروا لها، حتى أخذوها عنوة وجعلوا عليها سافلها وفندوا إقليمها وأعمالها وجعلوا ولاية إفريقية خاضعة لسلطانهم.

مقدونية والشرق - عنا ملوك اليونان أحلام قوافل الإسكندر اقتسموا الشرق وحارب أعظمهم سطوة مملكة رومية و ylabelوا مثل ملكه مقدونية فيليب.
الجو للرومانيين فأخذوا يفتحون البلاد التي برونها نانسيهم واحدة بعد الأخرى فافتتحوا مك든ية سنة 100 وملكها سبيرو سنة 261. بعد هزيمة ميتریداتس ومصر (40) وما عدا مكدونية لم يندب الشرق لقتالهم غير جنود مستأجرة، أو برابرة غير منظمين يترفونون أيدي سبأ لأول سدمة يلقونها، ولم يقتل بُغبة العظمى على أنطيوخوس 2، ما يليزا سوئي 350 جندياً رومانيا وافتكس سبلاً بأنه لم يفقد من جيشه 2، شيرونيا سوى اثني عشر جندياً.

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك فخشعوا لسلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فإن أنطيوخوس ملك سوري سنة بعد أن فتح جزءاً من ديار مصر جاهز بوبيليوس مندوبياً من قبل مجلس الشيوخ يأمره بالجلاء عما بسط يده عليه من البلاد فترد أنطيوخوس ومكان، بيد بوبيليوس محجنة فاخرت بها 2، الأرض خطوطاً حول ملك سوري، وقال له: أجب مجلس الشيوخ قبل أن تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لكم، فلم يسع أنطيوخوس إلا الخضوع وألقى حرب مصر على غاربها وجاء برويزاس ملك بيتنيا، وقد حلق رأسه وليس ثياب عبد الفخيار ووضع أمام مجلس الشيوخ الرماني وحاول ميتریداتس ملك إلى أن يقاوم وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (169 - 168) واضطر إلى أن يتناول السم ويقول: بدي لا بيد عمرو.

إسبانيا وغاليا الجنوبية - لم يستطيع الرومان أن يتغلبوا على الشعوب البربرية والمحاربين في الغرب بأدنى سبب، كما تغلبوا على غيرهم فقضوا قرناً لإخضاع إسبانيا لسلطاتها، وقد ناوهم الحرب في جبال البرتغال رجل من الرعاة اسمه فيريان (149 - 139) وهزم خمسة جيوش واصكره أحد قناصل الرومان على عقد الصلح معه، ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره إلا بقتله وأهل الأندلسكين، وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية.
واصلت أوروميا أن ترسل أحد قوادها سبب لنا للاستيلاء على عاصمة تلوك البلاد، وهي المدينة الصغرى المسماة نومابيس، وكانت الشعوب الصغيرة الحاملة لمصررتها المعتصم به الجبال جنها كثيرا ما تمارس الرومانين القتال، وكان الغاليون أشد الهدوء على رومية، وهم منشرون في جميع بساتن يو ويزحفون على إيطاليا الجنوبية، وقد استولت إحدى عصاباتهم على رومية سنة 390، فكان جندهم يدخل الدحر على قلوب العدو الرومان في أحجامهم الضخمة البيضاء وسحلتهم الطويلة الشجراء وعيونهم الزرقا وأصواتهم التي تهج غيجل صداها عنانا السماء والخوف يستولي على رومية عندما يبلغها مجيء العسكر الغالي.
فيصدر مجلس الشيوخ أمره بجمع عامة الجند.
وكانت هذه الحروب شديدة جدا ولكنها تضع أوزارها في الحال ففي الحرب الأولى استولى الرومان على إقليم غاليا المعروف بسيرالاب، أي: إيطاليا الشمالية ونشبت الحرب الثانية (120) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي وأخذت رومية بلاد الرون وشاطئ البحر الرومي (إقليم الاندوك وبروفانس وودوفينه).

عواقب المفتوح
سريا الإصطلاحات اليونانية أن الفتح هي التي دعت الرومان إلى رؤية الروم والمشاركة عن أمم فاستوطن رومية ألوف من اليونان جاؤوها أسرى، أو للاتجار وتعاطي بعضهم الطب والآخرون التعليم وغيرهم الخرافة وغيرهم التمثيل، وكان القوان والضباط والجنود والرومانيون يعيشون على آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتخليقوا بأخلاق اليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعتقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد وأخذوا يعملون بها على التدريج، وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكدونية الأولى (200) ودام إلى أواخر المملكة الرومانية.
القائدان سكانو وسبون. بينا كانت الأخلاق تتغير اشتهر أحد رجالهم
سكان باحتفاظه بعادات أسلافه ولد هذا الرجل سنة 252 بلدة توسكولوم
وقضى شبابه في الحروب والكرث، في السابعة عشرة من سنو دخل في الجيش
بحساب العادة المتبعة واشتهر في عامة الحملات على هانيبال، ولم يكن من
الأشرف ولكنه اشتهر بقبته واستقامته وزده، وقد انتخب مرات وزيرا للمالية
وناظرا للأبنية واللاعب وقناصيا ووقناصيا ووكيلا للإحصاء وشغل مناصب الشرف
عامة، وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان قاسيا جاكا محتشما، وقد
ويقق قنصله عندما كان وزيرا للمالية، وكان القنصل سبوين غائب هانيبال
فأجابه ليست في حاجة إلى ناظر مدقق مثله إلى هذا الحد، ولا عن ناظرا
الأبنية واللاعب. ساردينيا أبى أن يمس المال الذي دفعته إليه تلها الولاية
التنفقة، ولا صار قنصلا تكلم بشدة عن قانون أوبيريا القاضي بالحظر على النساء
الرومانات بأن لا تتزين بالحلي الثمينة فظطر النساء بمطلبهن وألغى ذلك
القانون، ولا ذهب لقيادة الجيش الروماني في إسبانيا أتى بأموال طائلة دفعته إلى
خزادة الإمبراطورية، و장을 حساسه عندما ركب البحر ليقتصد من نفقات نقله،
ولا عن وكيللا للإحصاء أسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الأمعظم لما
عرفوا به من الترف والبذخ وأحال جباية الأموال الأميرية بثمغ وحل في
النساء وزينتهن عبرتاهن بحضره أضعاف ما تجاو، وبعد أن خففت له أعلام
النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطا بسيطا.
صرف رفاقه حياته في مناهضة الأشراف والفطر من بذخرهم وترفهم
وتحملهم وحمل خاصة على أمثال القائد سببون متهما إياهم بالاختلاس إلا أنه
لم ينج هو أيضا من إلصاق التهم به فاتهم أريعا وأربعين مرة ولكنه كان يبرأ
كلما اتهم، وكان يجتبر أرضه مع عبيده، ويوافقهم ويضيفهم بالعصي متي
اريخهم يحبون عن جادة الصواب، وقد ذكر في رسالته أن الزراعة التي كتبها إلى
ابنه جميع ما كان يأتي الذاكر من الإيرادات ويرى أن من الواجب

١٦٢
على المرء أن يفنى، وكان يقول "للأرملة أن تصرف من مالها، وعلى الرجل أن يريد وحلاً من شهدت دفاتر حساباته بعد موته أنه يجمع أكثر مما ورد جديداً بالشهرة ومثلهم من الأرباب"، ناراً أن الزراعة لا تأتي بارباح طالحة أخذ بقرض ماله ليجهز به سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكًا جهزواً سلماً مع خمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الأخطار التي تنازل سفنهم والأرباح التي تأتيهم بها، وعلى هذا سكانilihات زارعاً ماهراً وجندياً عظيماً عدواً للبذخ حريصاً على الكسب فهو مثال الروماني الأصيل وأنموذج الفضيلة والثبات.

وعلى العكس منه سكان قائد سبيون مشاه للاهتمام بالفنون والأفكار الفلسفية اليونانية، فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة وروماً يتكلم باليونانية، وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليب الذي أسسه في رومية زهينة، ولم يكن يهتم بجميع المال، وقد دفع إلى شقيقاته دفعة واحدة مبلغاً من المال مكان عليه أن لا يدفعه إليها إلا أوقات مختلفة وتنازل لأخيه، وهو أقل منه ما لا من ح masihه في إثابته، ولم يخلف شكره سوى حكمة قليلة جداً من الأولى الذهبية والفضيلة.

الأخلاق القديمة - مصلى زمن طويل على قدماء الرومانيين، وهم يتوفرون على زرع حقوقهم وقتسة عدوهم والقيام بفرضيات دينهم، حتى حكاوا حقاً الريفيين العاملين الجفاة فكانوا يزرعون جنباً كأغيرا من إقليم لاتيوم أولاً، وهم من نسل اللاتيين والإيطاليين الذين تغلبت عليهم رومية، وقد صور لنا الشيخ سكانه في كتاب له في الزراعة شيئاً من أخلاقهم بقوله: سكان أددنا إذا أرادوا الثناء على رجل يصفون بأنه زارع ماهر وحراً مجيد، وهذا غاية ما يمدح به إنسان.

(24) وقد أورد أيضاً شيئاً من أمثالهم القديمة منها "أدنى الزراعة من بنيتاغ شينا مما تفرده له ارضاً" "واخت التقتين من يعمل في انصار ما يتآتي له أن يعمل في الليل".
فكان هؤلاء الزراع أشداء في أعمالهم وأهل طمع في مكاسبهم وتنظيم في شؤونهم واقتصاد في نفقاتهم. وبدلاً من همسموا قوة الجيش الروماني ولطالما تألف منهم مجلس الأمة أيضاً، وكانت له القوة العظمى في الانتخابات في جميع الأشراف الذين يطلبون أن ينتخبوه حكامًا إلى ساحة السوق ليهزموا أيدي هؤلاء الفلاحين. رأى أحد المرشحين أنفسهم للانتخابات يد أحد الحراسين، وهي شتة غليظة فسألها هل تمشي على يديك؟ وكما السائل من الأشراف ينتسب إلى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب.

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لا نظام فيها بنائها، وكان الأثريوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس، وهو مكشوف من أعلاه ينزل منه ماء المطر والأثاث عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء ممول بالبر، ومن خبز وبعض بقال، وما كانوا يتناولون اللحوم إلا في الأعياد، وما شرب النساء الخمر قط، والرجال يتناولون منه على القدرة ولياسبهم عبارة عن قمص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد ويلبس الوطنيون أيام الأعياد حلة من الصوف مزينة من جهة العنق ويلبسون أرجلهم نعالاً مناطة بسيور ويقصون حياتهم التوفر على أعمالهم فالرجال يصطادون دون أن يحرشوا، والنساء يغزلن الصوف وينسجن الأقمشة ويطحن الحبوب ليجعلنها براً، ولم يكن للروماندين من ضروب التسلية إلا أن يذهبوا سكلاً تسعية أيام إلى السوق، أو يحضروا الأعياد التي تقام إكراماً للأرياف.

كان يرى قدماء الرومان أن الرجل الشديد هو غاية ما تطميح إليه الآمال ويقال: إن سيبسيانوس كان يسوق محراته بنفسه عندما أتاه نواب الأمه من قبل مجلس الشيوخ يدفعون إليه الأمر بتنصبه، ولم يكن عند فابرسيوس من الأولين غير وكأس ومملحة من فضة، وكان كهربيوس وإناتيوس، وهو غالب السامنتيين جالساً على مقعد يأكل بقولاً: قصص من خشب عندما أتاه مندوبو السامنتيين ليقدموا إليه المال فقال لهم: اذهبوا وقولوا للسامنتيين إن...
كوريوس يؤثر أن يقود من عندهم ذهب أظهر مما يؤثر أن يكون هو مالكا ل пользоватه هذا بعض الأقاصيص التي يرويها عن قواد الأزمة القديمة وسواء كانت حقيقية، أو ملفقة فإنها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون إليه بشأن قدماء أجدادهم.

الأخلاق الجديدة- أخذ كثير من الرومانيون بعد القرن الثاني ولاسيما طبقة الإشراف يقلدون الأجانب، وكان زعماهم قواد رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكتبت القبضة لسبيين على ملكة سورية وfeedingيوس ويولس إميل على ملوك مكدونية، ثم لل주نوريس على ملكة أرمينية فعثرت نفسها على الحياة القاسية الصعبة التي عانوا عليها أجدادهم وأخذوا يسيرون في حياتهم على البدخ والرفاهية ومؤازر الحال مكنّاهم حتى نسب على منوالهم عامة النبلاء والذين بحث لم يطلع فجر القرن الأول، حتى لم يعد تج إيطاليا إلا سادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية، أو اليونانية.

يري الشرقيون من دواعي العجب أن يعرضوا للأنظار الأقومشة البديعة والأحجار الكريمة وأثاث الفضة وأواني الذهب، وأن يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طالب، وأن ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهشوه؟ فكانوا يرغبون في الأعلاق النافعة النادرة أكثر من رغبتهم في النفاس الجميلة المناسبة.

وأصبح الرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ فكانوا قلما يحضرون بالجمال، أو بالفوقيق، ولم يعرفوا قط إلا الأبهة والفخامة فأنشروا لهم بيوت ذات حدائق متسعة وحشروا إليها التماثيل وأقاموا فيها المصالح الزاهية التي تمت إلى البحر وسط الحدائق.

(25) تجد مثالا من هذا الدوق الشرقي الأباهة الباطلة التي تتمثل لحكاية حكايات الف ليلة وليلة
المتسعة وأكثروا من الخدمة والحشم وأخذوا لهم ونساءهم يعتضدون عن أثابتهم
المعومة من الصوف بالشفوف (جريش) - وأكسية الحمر والقصب
وضرسلون له ولائمهم بسطأ مطرزة وأدثرة من الأروجان وأواني من ذهب وفضة
وكان عند الحاكم سيلملا منة وخمسون صحفة من الفضة ووزن ما عند
هاركوس وروزوس من الأواني الفضية عشرة آلاف ثيرة، وأد لا عامة يأكلون
قعدوا بحسب عادة الشعوب الإيطالية القديمة فالخصية من الأغنياء اتبعوا العادة
الشرقية في الأكل مضغتهم على سرهم، ثم سرت عادة التباك المحك على
الأسلوب الشرقي والاستثمار في الحديد من الأباير والصابع (سلسا) والصيد
والسمك الغريب ومختار الطواويس والمستر الطيور.

واستحكم منهم السرعة، حتى تقدمات أحد الحكام سنة 152، وقد ذكر
وصيته قوله: "لا ينكر الإضراع الحقيقي عبارة عن أباه بايط، بل هو لتذكر
أقدار الموتى وأجاداه فأنا أمر أولادي أن لا ينفقوا على جنائزهم أكثر من مليون
أس (مئة ألف فرنكو)."

العلوم الأدبية اليونانية - رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتماثيل
والألواح التي كانت منذ قرون تخص بها المدن وعرفوا الأدب والفلسفة فصار
لبعضهم ذوق في الصنائع الفنية وأولع آخرون بالحياة العقلية فجعل أمثال
القائد سبانون حولهم أناساً من اليونان الذين، ولم تطبع نفس بولس إميل من
جميع الفنانين الذين غنمها جيشه من مكدونية إلا إلى الاستيلاء على مملكة
المليك ترسو وعهد بتربية أولاده إلى أساتذة يونان وبيذلهم صارت الكتابة والتكلم
باللغة اليونانية من الأمور المحتضنة في رومية (21) وأراد الأشراف أن يظهروا
مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجعلوا بالألومن التماثيل وقرر مكرونة المشهور

(22) ولهذا ينذ لأصحاب الشيش بكاتون عادلة اليونان، وقد كتب لأبنه ما يأتي أقول إن ما
لاحظه أن الأشياء من أخبيت الأجسام وأصبحها مراسا لا تستمتع ما أقول: كما
تسمع لهاتيف رياشي إلا إن هذه الأمة اليونانية كلما أنتنا بصناعاتها تفسننا كلهام

166
وخلو بها بيوتهم ودخل في ملك الحاكم فليس شيء كثير من النفاس والأخلاق جعلها في رواج، وكانت مما نهبه من صقلية.

وهكذا أخذ الرومان على التدريج من الفنون ظواهرها، ومن الآداب اليونانية قشورها وسمي هذا التهديد الجديد في الأدب معارضة للخشونة التي صناع عليها أهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن إلا قشورا فقط، فلم يعرف الرومان أن الجمال والحقيقة يرغب فيما تناههما، بل هم كنائس الصناعات والعلوم عنهم أمورا يقصد بها الزينة والبذخ ليس إلا، ولم يكن الرومان على عهد شيشرون يعتبرون من أهل الأعمال غير الجندي والحراث والسياسي والتجار، أو المحامي، أما الكتبة والتأليف والإشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكذلك كان يسمى عندهم بطلالة، وما قت أصاب أرباب الفنون والعلماء من الاعتقاد اليوناني وما يساويهم بتجار غني، قال لوسين أحد كتاتيب اليونان: "مئى صوت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع ألف قطعة بديعة من النقوش لا يرغب أحد أن يتقبل مثالاً لأنها مهما بلغت من الخدمة لا يطلق عليها إلا لقب صانع ولست إذ ذلك غير رجل يعيش بكم يمنه".

لوكلوس ولد لوكلوس - وهو مثال الرومان الحديث سنة 145 من أسرة شريفة وغنية جدا ولذا سهل دخوله في سلك أرباب المناصب والشرف واشتهر بخصائه في غزواته الأولى بأنه يعطى على المغلوبين ويعاملهم باللطف، ثم عين قنصولا وقاد الجيش الذي انتدب لقتال ميتريداتس، وقد رأى سكان آسيا ساخرين من كثرة السرقة وفطاعة العشائر فعنى بجعل حد لم تلتزم الأعمال وحظر على جنده أن ينهدوا المدن المغلوبة وبدأ جلبه لنفسه حب الأسياويين الباطل ويفض العشائر والجنود الخطر فدست الدسائس لتسدده حكومته، وكان قد هزم ميتريداتس وأخذ يطارده، وهو سائر إلى خليفة ملك أرمينية، وقد هزم جيشا من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين ألف مقاتل فسلمت منه القيادة ودمرت إلى يومي نديم العشائر وحببهم.
وإذ ذاك اعتزل لوكليوس الأعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الشروة وأصبح يملأه في أحياء رومية حدائق غلبا وله نابولي مصيف قام به البحر مبنيا بالحجر الصلب، ويشكل لوكليوس قصر صيفي فيه متحف للأعمال والنفايس، فكان يقضي الصيف في لوكليوس بين أصحابه وجماعة العلماء وأهل الأدب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الأدب والفلسفة وتروى عن بذخه حكايات كثيرة منها أنه كان ذات يوم يعتذر بهوته إليه والمظالم أو الذي دعا إلى تقليل المال فأجابه لوكليوس "أما علمت أن يتغذى اليوم عند لوكليوس؟" ودعا يوما قيصر وشيشرون فقبل دعوته على شرف أن لا يغير شيئا من عادته فاستفتي لوكليوس بأن قال لأحد الخدمة: فقط اجعل الطعام في قاعة أبولون، وسكتت المأبة على غاية من التتألق بحيث عجب منه المدعو، وما سائل عن إخلاصه بشرط الضيافة، قال: إنه لم يأمر بشيء، وإن نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها، وإن بسط الوائد في قاعة أبولون لا يمكن أن يكلف أقل من خمسين ألف فرنك.

وظل لوكليوس في رومية يمثل الأخلاقيات الجديدة: ك كما مكان سكانون مثل الأخلاقيات القديمة وبير قدماء الرومان أن سكان هو الروماني الصالح، وأس لوكليوس هو الروماني الفاضد ومع هذا، فقد كان لوكليوس يتعد عن عادة الأجداد، ولذلك ح كان واسع المبارك حسن التربية لطيف المتأتى متطرفا على العطش على الخدم والرعاية.

الانقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة: لم يكن بين أرباب الرومان وأرباب اليونان من شبه، حتى في الأسماء ومع هذا اعتقد اليونان بأن معظم الأرباب المعروفة في رومية كانت أربابهم أحبوا أن يعترفوا بأنها صدأها، وإلى ذلك العهد لم يكن للأرباب الرومانية...
شكل خاص، ولا تاريخ معين، وهذا ما دعا إلى الاختلاف في حالتها فجرى تمثيل كل روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات.

فخلطوا بين المشترى اللاتيني وزيوس اليوناني وجوونون مع هيرا وميتيرفا ربة الداكرة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع أرتيمنا الصيادة البديعة ومزجوا هركول رب السواد بهير مكليس الغالب على الفيلان وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت أسماء لاتينية واستحال أرباب رومية إلى أرباب يونان امتهجت الرياء بعضها ببعض، حتى اعتدنا أن نطلق على الأرباب اليونانية أسماء لاتينية فلا نزال نقول أرتيمن ديان وباياس منيرفا وبايالولوجيا اليونانية استعاد الرومان أن يصوروا أربابهم تماثيل؛ كما أقتبسوا أيضا بعض الاحتفالات اليونانية، وскانت الحكومة الرومانية أدخلت إلى بلادها عبادة أبولون، وبدأ بعض الأفراد يعبدون باخوس رب الكرمة ويحتفل من يعبدون باخوس بعبادته من الليل سرا، ولا يطلعون أحدا على خفايا العبادة الباخوسية وأخذ المجلس يحقق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركون معنا هؤلاء الأسرار قضى عليهم بالموت.

ثم إن الرومان أخذوا أيضا يعبدون ما يعبد شعوب الشرق، فقد كان سنة 220 ميلادية معبد للرب سيرابيس المصري فأمر مجلس الشيوخ بدمجه، فلم يجس أحد الفعلة على ذلك، وبقي المعبد لا يمس بسوء، حتى جاء القنصل بنفسه فضرب أبوابه بالأس.

وبعد سنين، أي: سنة 204 خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ إلى آسيا الصغرى بوفد للبحث عن المحبوبة سيبيل، وسكانت هذه الأم الكبرى، كما كانوا يدعونها مصورة على حجر أسود فأتى بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتفال حافل وجعلوها رومية، وقد لحق بها مهنته وأخذوا يطورون الشوارع على أصوات المزامير والصرغج لألبين ألفسة شرقية، وهم يستوطنون الأحذف على الأبواب.

ثم غصت بلاد إيطاليا بالسحرة من الكلدان، ولم يكن العامة يعتقدون
وحدهم بحلول العرائين، ولم هدد بربرة السمير مدينة رومية سنة 104 تقدمت عرافة من وحدها اسمها مارشا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بأنها تتوسط الغربة رومية على عدوها فطردوا مجلس الشيوخ، ولكن النساء الرومانات بعثن بها إلى المعسكر فأبقيها مازيوس القائد العام لديه، وما فتئ يأخذ رأيها إلى أن وضعت الحرب أوزارها ورأى سيلان ينوه رية كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار إلى إيطاليا.

السفسطاطيون- لم يكن يأتي إلى رومية سكينة وعراقون فقط، بل مكان ينزل فيها فلاسفة يحتضرون الدين القديم، ومن أشهرهم يكارنياد سفير الأثينيين فإنه كان يصر بتأفكاره في رومية أمام الجمهور فينخف شبان الرومان إلى سماع أقواله، حتى أراداه مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة إلا أن فلاسفة ظلوا على بث مبادئهم وروسف وأثينية، حتى أصبح من السفن المألوفة أن يبعث الرومان بفضلهم إلى تينيك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة.

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف إيفهمير اليوناني كتاباً ينفي فيه وجود الأرباب وأنها ليست إلا رجالة أهلهم الناس، حتى أن المشتري نفسه كان ملكاً على كريت فانتشر كتابه، أي: انتشر ونقله الشاعر أنيوس باللاتينية، وعلى هذا النحو أخذ أشراف رومية يسخرون من أربابهم، ولم يبقوا من الدين القديم إلا على مراسيمه وظواهره، وكان أهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالخلافات اعتقاد سفسطاطيونين لا يؤمنون بشيء.

المواضيع العقلية- كان غاية ما علم اليونان الأقدمون أولدهم القراءة فقط.

(27) قال شيشرون يجب أن نبقى على عادة أخذ الطالع لتفن نسم العامة في معتقداتهم.
إلى أناس يتعلمون على الطريقة القديمة وأخرين على الحديثة، ولكن بقي يُعَد الأذان شيء من الموسيقى والطرب فكانوا ينظرون إليهما بأنهما من الصناعات المهيئة بين يتعاطاها إذا كان كريم المحتد، قال سيبين أملين حامي اليونان يُشُكَّلُه مع مدرسة رقص كان يختلف إليها بنون وبنات من الخاصية: ما سكنت أتوهم عندما ذكر لي ذلك أن أناسا من الأشراف يعلمون مثل هذه الأمور لأولادهم، ولم أخذوا بيدي إلى مدرسة الرقص رايت فيها زهاء خمسين سنة سبيست ويث جملتهم ولدا شريفا في الثامنة عشرة من عمره، وهو أحد المرشحين للاختبارات يرقص على نغمات البوق "كوثرتال"، وقال سالوست يُشَكَّلُه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار: إنها سكانت تضرب على الطنبور وتتوقف في أحسن مما يلبق بامرأة محشتمة.

التركية - استهوي نساء الرومان حب الأديان الشرقية والبذخ الشرقي، فقد أسرع ما يكون فكان يذهبن زرافات زرافات إلى معابد باخوس ومساجد إيزيس، وقد سنت لهن قوانين ليمعنن بها من لبس الألمسة الثمينة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر، ولم تلبث أن ألغيت فصار النساء حالي من أن يلبسن مكارجاء ما يشان وانقطاع النساء النبلات عن العمل والجلوس في بيوتهن أوتصأن يخرجن يُعَد أبهم ويلتفتن إلى دور التمثيل واللاعب والجماعات والجماعات، إذ ما كان بلا عمل، ومن الجهل على جانب سري الفساد إلىهن حالي الحال، حتى أصبح النساء الطاهرات طبقة الأشراف من النوادر.

سقط النظام القديم في تربية الأسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته وابتدعوا ضريبا جدا من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف أبيها، ولا يكون للزوج أدنى سلطة عليها، وكان الآباء يهجرون بناتهم بجهاز وصداق ليجدها أكثر استقلالا.

وكان من حق الزوج وحده أن يطلق امترائه، ومن العادة أن لا يخادعن هذا الحق إلا في أحوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق أن تترك زوجها وأصبح
منذ ذلك العهد من الين اللين أن يفسح الزوجان عري ارتباطهما؛ ولم يعودوا يحتاجان إلى حكم حاكم، ولا إلى سبب مشروع ويكفي أحد الزوجين متي استاء من زوجه أن يقول له "أحمل ما يخصك وأعد لي ما أمليك"، وبعد الطلاق يتيسر لكل منهما، بل للمرأة أيضا أن يتزوجها في الحال.

ويلفت الحال في الطبقة الرومانية العالية، أن تعتبر الزوج عقدا مؤقتا، فقد تزوج سيلانا بخمس نساء وقيصر بأربع، ويومبي بخمس، وأنطونيوس بأربع وتزوجت ابنة شيخشون من ثلاثة رجال وطلط هورنانسيون زوجته ليزوجها من أحد أصدقائه.

بيد أن هذا الفساد لم يصب غير أشراف رومية، ومن حدا جذوههم من أهل النعمة الحديثة. أما في أسر رومية والولايات، فقد حفزت قروننا آداب الدور القديم القاسية الشديدة، واجدث تربية الأسرة ترق شيئا فشيئا فشيئا والمرأة تحرر من استبداد الرجل ببطء.

التبديل الاجتماعي

 zawال الطبقة الوسطى - كان الشعب الروماني القديم مؤلفا من صغار أرباب الأملاك، وهم يتعاطون زراعة حقوقهم بأنفسهم، ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الأقوياء يتألف الجيش والمجلس، وكان عددهم كثيرا سنة 221 خلال الحر الفينيقية الثانية، وعقب سنة 133 لم يبق منهم أحد لا جرم أنه هلك منهم كثيرون زا الحروب التي أعلنتها رومية على البلاد القاسية، ولكن هلاكهم يحمل في الأكبر على أنه كان من المتضرر عليهم البقاء، فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عندما أخذت ترد على رومية حبوب صقلية وإفريقية فسقطت أسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحراثين الإيطاليين أن يستخرجو من غالاتهم ما يغدوون به أسراتهم، ويتحملوا أعباء الخدمة العسكرية فقضى عليهم من ثم أن بيعوا حقوقهم في بيعات خلال غني من جاره الفقير أرضه فغدت الحقوق الصغيرة.
ملكًا عظيمًا لواحد وصيّر أرباب الأملاك من تلك الأراضي مروجا يقيمون فيها ماشيتهم، وإذا عن لهم أن يزرعونها يعثون إليها براعة وحراشين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على أرض إيطاليا إلا بعض كبار أرباب الأملاك وجماعات من العبيد، وكان بلين القديم يقول إن الأملاك العظيمة قد أخطأت إيطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى التي قضت فيها الأرياف على أحرار الفلاحين فصاحب الأرض القديم الذي أباع حلقه لم يستطع أن يبقى أجزاء، بل قضى عليه أن يتخلو عن مكانه ليحل محله العبيد، وإذا أصبح هائما على وجهه لا عمل له، ولا شغل، قال فارون ٍرسالته ٍ الغزارة على أن معظم زعماء الأسرات دخلوا بيوتنا تاريين المنجل والمحرات، وأبوا يؤثرون التصفيف بأيديهم في الملاعب على العمل في حقوقهم وكرمهم.

الطبقات الاجتماعية. ليس الشعب في رومية، كما هو في يونان عبارة عن مجموع السكان، بل هو مجموع الوطنيين وكل رجل ينزل أرض البلاد لا يعد وطنيا، بل الوطني هو الذي له حك التمتع بحقوق الوطنية وللوطنية عدة امتيازات فله الحق وحده أن يكون عضوا في الهيئة السياسية وله الحق وحده أن ينعي في مجالس الشعب الروماني، وأن يخدم في الجيش الروماني وبحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكمًا رومانيا، وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة وللوطنية الحق وحده أن يحميه القانون الروماني ويحق له فقط أن يتزوج على طريقة مشروعة ويكون رم أسرة، أي حاكمًا مطلقا على زوجته وأولاده، وأن يوصي بما يشاء ويبيع ويبيع ممن يشاء، وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة.

لا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة العسكرية في الجيش والمجلس فقط، بل لا يسوغ لهم أن يكونوا أزواجًا ولا أبناء ولا أصحاب أملاك مشروعة، ولا أن يتقاضوا إلى القانون الروماني ويجاهموا في المحاكم الرومانية ولذا تألقت من الوطنيين طبقة من الأشراف بين سواد الأمة من غير طبقيتهم إلا لا يتساوون بينهم أيضًا فينهم فرق في الطبقات أو كما يقول...
الرومان في الصوف.

النبلاء: النبلاء هم في الصف الأول من الأمة فكل وطني يعد في النبلاء إذا سبق لأحد أجداده أن تولى شيئاً من أمر الأمة؛ لأن الحكم في رومية من علائم الشرف ينبل به من تولاه: كما يكون بضعة شرف لأخلافه من بعده إذا نصب أحد من الوطنيين ناظراً للملاعب والأبنية، أو قضايا، أو قنصلاً تخلع عليه خلعة مطزمة بالأرجوان ويمنح كراسياً كocard الشرع ويحق له أن يرسم ويصور، وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من الشمع أولاً، ثم تطلى بالفضة وتجعل ممار الدار (أتريوم) بالقرب من الكاتون وأرياب البيت وتجعل مخادع خاصة بها؛ كما تجعل الأصنام ويعددها الدرية من أهل البيت ومثاي مات أحد الأشرفة خرجون الصور ويجرونها على مرحبة موصوب ويخادع أحد أنساب المتوفر.

يعدده صفاته ويرشيه، وهذه الصور هي التي تشرف الأسرة؛ كلاً ما احتفظت بها، وصلما كثفت الصور في أسرة تزداد شرفًا يقرونان فلان شريف بصورة، أو شريف بعدة صور والأسرة الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها أكثر من ثلاثمائة أسرة)؛ لأن المناصب التي تولى صاحبها شرفًا توسد في الغالب إلى أناس حازوا الشرف من قبل.

الفرسان: تجعطفة الفرسان بعد طبقة النبلاء، وهم أغنياء الوطنيين الذين لم يعهد لهم جود من الحكام فتقيد ثرواتهم في سجلات الإحصاء وينبغي أن لا يقل ما يملكه أحدهم عن أربعمائة ألف سستر (أو مئة ألف فرنك) منهم التجار والصيادون والمغتربون، وهم لا يحكمون، بل يفتحون لهم دور التمثيل أماكن خاصة بهم تقع إلى ما وراء مقاعد طبقة الأشراف، وربما ساغ للناس منهم أن ينتخب حاكماً وعندها يدعو الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه شريفاً.

العامة: العامة هم غير طبقة الأشراف والفرسان فهم جمهور الأمة ويتكونون من نسل أبناء البلاد في إيطاليا ويستقلون من فلاحين أصحاب أمالهم إلى وطنيين.
رومانيا واندب ً طبقتهم العبید المعطوقون، أو قدماء العبید وأبناؤهم وبحافظون
على مميزات أصولهم، ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني، ولا ينتخبون إلا
بعد غييرهم، ولقد مضت أزمان واستراح أملاك الأموات يؤهَّلون السواح الأعظم من
الأمة وبينا كاقت الأرباب تصرف من قلة الناس غصت رومية بالواردين عليها
فانهاء على اليونان والسيوريون والمصريون والآسيويون والإفريقيون والأسانيون
والغاليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا بيع العبید، ثم أعتقوا موالاتهم
فأصبحوا وطنين ضاقت بهم المدينة فهم كانوا شعبا جديدا ليس له من
الرومانية غير اسمها.

خطب سببهم غازي قرطاجنة ونومابس جمهورا من الناس في إحدى الساحات
فقاتلهم العامة بأصواتهم فقال لهم: "ص أيا الأبناء الأذهباء المستبكون لإيطاليا
زورا فمن العبید ما تفعلون لأن من جلبتهم إلى رومية مقيدين لآبائهم، ولو
حلت قيودهم"، وهذه الطبقة الجديدة من السوقة تعيش بكثرة، أو يقضى على
الحكومة أن تخفقها، قد أخذت الحكومة سنة 135 تقدم لشاعرة الوطنيين حقنة
بمئة سنهما لدت تأتي بها من صقلية وإفريقيا والمواء سنة 13 أخذت توزع
الحائطة مجانا وتشفعها بزينة وألوا قصير سنة 42 أن من سكانا يتداولون هذه
الجراية بلغوا 220 ألفا.

العبید - جميع الأسر وسكان البلد المفتوح ملسك للفاتح بتصرف فيهم فإذا
أبقي عليهم، ولم يقتلهم يستعبدهم له هكذا مكان الحق القديم، وقد ظل
الرومان يعملون به بالحرف يعاملون الأسرى صانعهم بعض الغنيمة يبيعونهم من
المنسنين الذين يتبعون الجيش، وإذا حملهم إلى رومية فإنما يحملونهم
ليبعمهم في المزاد (30) وهكذا كانوا يبيعون عقاب سك حرب ألوها من الأسرى
رجالا ونساء والأولاد الذين يولد دون أن سائر يكونون أسرى أعاملهم فأمام

(30) تقام سوق الرقيق في شكل مدينة ذات شأن: كما تقام سوق للبقر والخيل في عرض العبد
الذي يراد بيعه على دقة، وقد نبت له عنقه بطلقة كتبت فيها سنو وصفات وعيوبه

175
المحلولة للرومانيين هي مادة الرقيق الرومان.

العبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعترض شخص، بل اعتبار متباع فمن، ثم ليس له حق من الحقوق فلأن يكون وطنياً، ولا مالكاً، ولا زوجاً، ولا أباً، قال أحد الأبطال في رواية هزلية رومانية: "أي شيء هذا أعرس عبيد ما أعجب عبداً يتزوج! إن هذا مخالف لعادات جماع الأمم.

والموالي جميع الحقوق على عبد يرسله، حيث يريد ويشغله على ما يرى، بل يشغله أكثرا من طاقته ويطعمه أخشن طعام ويضربه ويعذبه ويقتله دون أن يسأله أحد عما جنى، وعلى العبد أن يخضع لرغائب سيده وعقلها ويقول الرومان: إن العبد لا وجدان له، وإن الواجب عليه أن يطيع مولاه طاعة عمياً فإذا قام، أو أبق من بيته فالحكومة تعاونه صية على قمع جماحة، أو القبض عليه وكل من يؤوي عبداً آباقاً تجري عليه أحكام اللصوص سرق بقرة، أو حصاناً لنيره.

والعبد في المملكة الرومانية أكثرا من الأحرار ويملك أغنى الوثنيين من عشرة إلى عشرين ألف عبد وعند بعضهم من يكفون لتجنيد جيش ملك، ومكان لسيموس إيزدروس أحد قدماء الأبيذاء أربعة آلاف عبد، ومكان عند هوراس سبعة أعد، فكان يشكو من فقره، ومن علائم الفقر في رومية أن لا يملك الامرأة سوى ثلاثة أعده.

وإذكان العبيد يعملون أ気軽に الأعمال، أو يسترسلون في البطالة مكرهين، وما أبدا عرضاً للضرب بالسياط والتعذيب وأصبحوا بسبب فطرهم إما متحشين أشياء، أو أباداء نشطين، ومن كان منهم على شيء من الشهامة ينتويون وغيرهم يعيشون مقاتلة الصمت، وكان الشيخ صاحبًا ما يقول على العبد دائماً أن يعمل، أو ينام ومعظم العبيد يفقدون الإحساس والشرف، ولذل تلك كانوا يقولون هذا عمل عبد يريدون أنه دني ردل.
الحياة السياسية

الحكام ينخبو الشعب كل سنة ريالاً يتولون أمره ويفوضون إليهم السلطة المطلقة ويطلق عليهم اسم الحكام "أو ولاة الأمر" فليس أمامهم حملة الفوؤس يحملون حزمة من القضاة وفاسا ومعنى هذا الرمز أن للحاكم أن يضرب ويقتل على ما يراه مناسبًا ومن حق الحاكم أيضاً أن يرأس مجلس الأمة والشيوخ، وأن يكون له محل في المحكمة ويقود الجيوش، وهو السيد السود في كل مكان فيجمع المجلس ويضعه بحسب ما يرى ويصدر الأحكام برأيه وحده.

ويُذكر زمن الحرب يفعل ما يشاء بالجند ويقتله دون الرجوع إلى راي ضباطهم.

وقد كان مافليوس القائد الروماني في إحدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الجنود الخروج من المعسكر فذاع أحد المقاتلين من جيش العدو ابنه إلى المبارزة فخرج لبرازه وقبله، فبل مارتمس مافليوس أن قبض على ابنه واعدمه في الحال.

وللحاكم بحسب التجسير الروماني سلطة ملكية، ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذيلها، لأنه لا ينخبو إلا لسنة واحدة وله رصافة لهم مثل سلطته في رومية فنصلان، أو حاكمان يتوليان أمر الأمة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم، أو القيادة بالنيابة ويصدرون الأحكام، وهناك كثير من الحكام ومرابحان واربعة نزار للأبنية والملاعيب للنظر في الطرق العامة والأسواق وعشرة محامين عن حقوق السوقة وصيارة يتولون النظر في خزائن الملكة.

الإحصاء- أرقى الحكام هما الوظيلان المسيطران، وهم مكلفان بكل خمس سنين بتنظيم إ حصاء للشعب الروماني فيتمثل أمام المكلفين بإ حصاء جميع أبناء البلاد بدونهم، وهم يقومون بالأيمانات أسماءهم وعدد أولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة والقائمان بإ حصاء الأمة كما اللدبان يكتبان قائمة بأسماء أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة، ثم هما مكلفين أيضاً بأن
يحتفلنا احتفال الثريا، وهي حفلة عظمى تقام للتزكية كل خمس سنوات فيجتمع ذلك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المريخ اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون ثلاث ضحايا لتكرير عن السبائك، وهي عبارة عن نور ونوعة وخنجر يحملونها ويرشون المجلس بدمها ويذكرون تصبح المدينة مزركة مطهرة وسلاما مع الأرباب.

وللقائمين بالإحصاء الحق أن يقيدا، وأن يجمال بكل إنسان في المنزلة التي يريانا ولهم أن يجرنا أحد الشيوخ بإسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ، وأن لا يحسبا أحد الفرسان في جملة أهل طبقيه، أو يحرمهم أحد الوطنيين بأن يحددوا اسمه من سجلات القبائل ويسهل عليهما عقاب من رهنهم مجرمين ويتجاذوان عن السبائك التي لا تقدح بمنطوق القانون وطرموا رأوها يجردان والوطنين؛ لأنهم لم يحسنا التوفر على حقوقهم وصرفهم كثيرا على خدمهم وسجنوا أحد الشيوخ؛ لأنه مكان يملكه عشر ليبرات من الأوانى الفضية وأخرى؛ لأنه أعمل تعهد قيصر أجابه وغيره؛ لأنه طلق زوجته هذه السلطة المفرطة هي ما يطلق الرومان عليه "حكومة الأخلاق" فوصيا الإحصاء هما سيدنا المدينة على الجملة.

جلس مجلس الشيوخ يتتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلاثمائة رجل يعينهم وكيلا الإحصاء إلا أن هذا لا ينصبهم كييفما اتفق فلا ينتخب من أبناء البلاد إلا الأغنياء أصحاب المكانة وسلالة الأسرات الكبرى ومعظمهم من قياموا الحكم ويهتشار على الأغلب دائما أناسا يكانوا في المجلس من قبل بحيث أن عضو مجلس الشيوخ يبقى في هذا المنصب طول حياته فمجلس الشيوخ هو محل اجتماع أهم رجال رومية، ولذلك كانت لهم سلطة وسطوية.

فإذا حدث أمر يجمع أحد الحكام أعضاء الشيوخ في أحد المعايد ويعرض عليهم المسألة، ثم يسأله رأيهم فيها فيجبينه بكل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف، وهذا ما يدعى أخذ رأي مجلس الشيوخ ويستقر الحاكم بعد ذلك رأي الأصولية، وهذا ما يسميه مرسوم ديوان الأعيان، أو الشيوخ وأ يكون
قرارهم عبارة عن رأي: لأن ليس من حق مجلس الشيوخ أن يقنن القوانين، بيد أن رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض وللشعب ثقة بشيوخه لعلمه بأنهم أكثر خبرة منه، ولا يجرأ الحكم على مقاومة مجلس مؤلف من أكفاء يساوونهم في الشرف، ولذلك كان المجلس يفضي جميع المسائل فيقر الحرب ويغين عدد الجيوش ويقبل السفراء ويعقد السلام ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكم ينفذونها، وب سنة 200 قرر مجلس الشيوخ إعلان الحرب على ملكة مكدونية فأوجس الشعب خيفة، ولم يوافق على ذلك فصدر أمر مجلس الشيوخ بجمع المجامع من جديد، وأن يلقي عليهم خطاب يكون إبلغ في إقناعهم من الخطاب الأول وعندها لم يسع الشعب إلا الموافقة. وبدل ذلك رأيت أن الشعب يرومية سكان يحكمون: فهما يحكم الملحق يuktur الإنجليز ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ.

المجالس والانتخابات تسمى حكومة رومية "الجمهورية" أي: متاج الشعب وجماعة الوطنيين المدعوين شعبا مكانهم سادة مستقلون في الملكة فهمهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسعون الشرائع ويكول الفقهاء أن القانون هو ما أمر به الشعب وله الشعب يرومية: فهما يライフ لا يعين نوابا وعليهم أن يوافق على كل شيء بنفسه، حتى أن حكومة رومية بعد أن قبعت في المدينة زهاء خمسين متظاهرين فرجل سكانا مشتتين في أطراف إيطاليا. اضطر الوطنيون للحصول على حقوقهم أن يحترموا البلاد إلى رومية.

ويتمتع الشعب في الساحة ويسمي المجلس "المجتمعات" يدعوه الحاكم إلى الالتمان برياسته ومعها ما يدعى الوطنيون على الاجتماع بصوت الوقف يذهبون إلى ميدان العمل (ساحة المربع) يصفون فرقا تظلمهم أعلامهم وعندما يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وอนาคต ما يجتمعون في ساحة السوق "الضورم" منقسمين إلى 30 جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نوتيتها إلى مكان مسورد بسدود لتوافق على ما تقرر به وتمسى المجتمعات بحسب القبائل والحاكم.
الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفض فمن، ثم مكان الشعب حامكاً ولكنه اعتاد الخضوع لزعمائه.

والمجلس أيضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين سكان انتخبهم الشعب قديماً مثل القناصل والقضاة ووصلياء الإحصاء ونظر الأبنية واللاعبين وجلس القبائل ينتخب حكام أهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظر أبنية الشعب، وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فأخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات بساحة المريخ تنقسم الرحبة بحوزة ذات مرابض صغيرة تلبب بعدئذ الغنم فتنقطع سكع قبيلة إلى إحدى تلك الرحبات وتلاحظ لكل قبيلة أصطرار الوطنية في التصويت إذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد.

سلك المناصب ليس تولي الحكم، أو المشيخة عن الأمة برومية صناعة من الصناعات فإن الحكام والشيوخ يصرفون وقتهم وماكالهم دون أن ينالوا أجراً فمنصب الحكم برومية يعد من دواعي الشرف فلا يتطلب إليه غير الأشراف أو الفرسان على الأقل على شرط أن يكونوا أغنياء، ثم لا يطمع أمرؤ أن يبلغ أرقى مناصب الحكم إلا بعد أن يتقلب في المناصب الأخرى.

ومن أراد يوماً أن يحكم على رومية يجب عليه أولاً أن تكون له في الجيش عشر وقائع وحملات ومنذها يسبغ له أن ينتخب صرافاً فيعهد إليه النظر في إحدى خزانات المملكة، ثم يصير ناظراً للأبنية واللاعبين فينظر في أمور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً لجري أحكام العدل وعقيب ذلك يصبح قنصلاً فيقود جيشاً ويرأس المجالس وعندئذ تحدثه نفسه بأن يكون وكيلاً إحصاء، وهذه هي الدرجة التي دونها يxz العلوا كل درجة لا يبلغها المرء قبل أن يبلغ الخمسين من العمر فترى بهذا أن رجلاً واحداً يكون مالياً وإدارياً وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل أن يتوأوي وظيفة وكيلا الإحصاء الغريبة، وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب، ولا تدوم سكع وظيفة من هذه
الوظائف إلا سنة واحدة وللارتقاء للوظيفة التالية يقتضي انتخاب جديد ويجب على الموظف في خلال السنة التي تقدم انخابه أن يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير؛ حكما يقول الرومان، أو يطعن في استياز المنصب، وأن يلتمس أصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة أن يلبس حلة بيضاء، وهذا معنى مرشح باللغات الإفرنجية، أي: المكتسي بالبياض.

إدارة الولايات

الشعوب الخاضعة - ما انقضى القرن الأول قبل المسيح إلا وقد خضعت رومية عامة الأقطار الواقعة حول البحر الرومي منذ إسبانيا إلى آسيا الصغرى، ولم تضف هذه البلاد إلى المملكة الرومانية، ولم يصبح سكانها و国民ين رومانيين، ولم تغد أرضهم أيضاً رومانية، بل ظلوا غربياً وانضموا فقط إلى هذه المملكة، أي: أنهم أصبحوا تحت استياء الشعب الروماني؛ كما أن الهنود اليوم ليسوا و国民ين انكليزاً، بل هم رعايا إنكلترا والهند جزء لا من إنكلترا، بل من المملكة الإنجليزية فقط.

بما يصبح سكان البلاد المغلوبة و国民ين رومية، بل يبقون غربياء أجانب.

ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون إليهم الجزية والعشر غلالتهم وإثابة من المال ورسما على كل رأس وعليهم أن يخضعوا لجماع ما يأمرونهم به واذا ليس في استيطاعة الشعب أن يحكم بالذات ليبث بحكم ينتمبون؛ لأن يحكموا عنه وسكل بلد خاضع لوالد سكان يسمي ولاية ومعناها "المهمة".

سكان ظاهر عهد الجمهورية (في سنة 46) 17 ولاية منها عشر في أوروبا وخمس في آسيا وثمانية في إفريقيا ومعظمها متنائية الأطراف جدا، فلم تكن بلاد الغال النظرية سوى أربع ولايات وإسبانيا ولابتن، قال شيشرون: إن الولايات أملاء الشعب الروماني فإذا أخفض هذه الشعوب بأسرها فتلك طعما فائدة لا لأجل منفعته، ولذلك لا يتوعى أن يدير تلك الولايات بل يحرص على
الولاية - يتخذ الشعب حاكمًا لإدارة مكل ولاية، وهو إذا أن يكون قنصلاً أو قاضياً خرج من الوظيفة في سبيل أمم سلطته، وليس هذا الوظيف الكبير قنصلًا بل هو والي ينوب عن القنصل.

ولوالي: فكما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه: لأنه وحيى ولايته، وليس لديه حكام آخرون ينافسونه السلطة، ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد، ولا مجلس شيوخ يسيطر على أعماله فهو وحده يقود الجيوش ويحملهم على القتال وينزل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاما في محكمته حاكمًا بالحرية والسجن والموت ويصدر أوروم تون قانوناً متبناً عليه وحده السلطة العالية: لأن فيه يتجسد الشعب الروماني.

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاومه مقاوم مستبدا، حقيقة فيقبض على من يريد ويحبس ويضرب بالعصي ويوم من لا تروقه حالتهم واليكة مثلاً من ألوه الأمثلة التي مكان الحكام يجريون فيها مع الهوى: كما رواه أحد خطباء الرومان.

قال: "جاء القنصل مؤخرًا إلى تيانوم فخطر لأمرائه أن يتلذذ بالاستحمام في حمامات الرجال فأخرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحملون فيه فشكلت المرأة من إبطائهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة وأحضر أشهر رجل في المدينة ليجعله عليه فجرن من ثيابه وضرب بالعصي.

والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر إليها كمكانها ملكه. ولا تعوزه الوسائط لاستثمارها، بل يحقق وحده إلى خزائن المدائن وينزع التماثيل والحلي الموضع في المعابد ويستعين من السكان الأغنياء إثناوات من المال، أو الأثر، وذ سكان له الحق أن ينزل جنوده، حيث أراد قانونًا ينفق له المال لتعفي من قبول

(2) ت<& ملكة رومية في بلاد الشرق بعض أقاليم، أي: ملك صغير مثل الملوك هيرو في بلاد اليهودية ولكنهم ينرون الجزية ويخضعون للحاكم، أو الوالي الروماني

182
جنوده وإذا كان ي المل من أن يعدم وقلم من يترأ له فالآفراد يعطونه المال ليؤمنوا غائتلته، وإذا طلب شيئا بعيدا، أو مبلغ من المال يجاب في الحال إلى ما طلب، ولا يجرااء أمركا أن يأتي عليه طلبه واتباعه يسيرون على مثاله وينهبون باسمه، بل بحمايته ويسرعت الوالي جميع المال إذا الواجب عليه أن يعتني في سنة
وبعدها يعود إلى رومية ويخلفه آخر يعود بمثل ما بدأ فيه سلفه.
على أن هناك قانونا يخطر على دقل والأن يقبل هدية ومحكمة مخصصة
(منذ سنة 149) تنظير في دعاوى الاختلاس، بيد أن هذه المحكمة تؤول من طبقة الأشراف والفرسان الرومانين فلا يرون أن يحكموا على ابن بلدهم والعاقبة المهمة في هذه الطرقية؛ كما قال شيشرون أن يضطر الوالي إلى ضبط يده في السلب من ولايته ليتسنى له أن يرشي الملحقين في المحكمة، ولا ينبغي للعجب إذا رأينا اسم الوالي مرادفا لاسم مستبد، ومن أشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيها، وقد خطب في بيان أعماله الخطيب شيشرون لأسباب سياسية
خطبا أشتهر بها، ومن المحتمل أن يكون مثله قد أتوا ما أتاه.
العشارون - كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمرك والمناجم والضرائب والحصول الصالحة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدن يسمونهم العشارين، فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قد فيما بيعاون من الحكومة حق جباية الخراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوا هكأنهم وفود الشعب الروماني.
وبكان في كل ولاية عدة شركات من العشارين، ولكن شركة مستخدمون من الكتب والجبراء يظهرون في مظهر السادة ويتناولون أكثر مما يجب لهم أخذه ويسلبون نعمه الآهلين وصغيرا ما يبيعونهم؛ كما يبايع الرقيق، ومكانا يأخذون
في آسيا، حتى السكان بدون سبب، وما طلب ماريوس من ملكه بيتنيا أن يقدم له جندا أحبه الملك أن العشارين لم يبقوا عنه من الرعيا غير النساء والأطفال والشيخ، وقد عرف الرومان هذه الماظم حق معرفتها وكتب الخطيب شيشرون

183
إلى أخيه، وكان هذا حاسماً بدلاً من ذلك "إذا وفقت إلى طريقة ترضي بها المشارين دون أن تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب. بيد أن المشارين كانوا قضاء في محاكمهم، حتى أن الولاية أنفسهم خضعون لهم، وقد اراد سكاروس وعلي آسيا المشهور بالإفراط في العفة أن يمنع المشارين من إطالة يد الأذى في ولايته فلما عاد إلى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه.

ولطالما أثار المشارون سخط سكان الشرق الخاضعين الساحقين، فقد ذبحوا بأمر ميتيبريداتس ليلة واحدة مئة ألف روماني، وبعد قرن، أي على عهد المسيح، كان عشار مارادفاً لاسم لص.

الصيرفة - جمع الرومان بلاههم شروة الأمم المغلوبة، ودلك كانت الدرهم كثيرة جداً في رومية ونادرة جداً في الولايات، فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة أربعة، أو خمسة في المائة، أما في الولايات فلا يجد المستديمن مالاً يقترضه بأقل من اثني عشر في المائة، وكان الصرافون الرومان يقترضون مالاً من رومية ويقرضونه للولايات ولايسماً باسم الملوك، أو المدن.

وإذا لم يستطيع المستديم أن يوحي رأس المال ورباه يعمد الصرافة في تقضى أموالهم إلى الطرق التي يستعملها المشارون، فقد اقتضت مدن آسيا سنة 84 على نية أن تدفع مبلغًا كبيرًا لتساعين به على الحرب فبعد أربع عشرة سنة فقط، أي في سنة 70 صار البلغ بفوائده ستة أضعاف ما كان فاضطwrites in the currency. مدن آسيا أن تبيع، حتى التحف والطرف، وقد شوهد أبان يبيع أنباءهما ويناتهمما، ولن بضع سنين أقرض برونيوس من حكاء الرواقين، ومن أشهر رجال عصره من الرومان وأعلاهم حكباً ومكانة لمدينة سلامين، في قبرص مبلغًا من المال بفائدة 84 في المئة (أي 4 في المائة كل شهر) فلما طالب وصبه سكانتيوس بالمال مع فائضه ت활동 على المدينة أن تؤدي إليه مطلوبه فقدش سكانتيوس الوالي هيبيوس فأصبح به فبرقة من الفرسان فجاء إلى سلامين، وحاضر مجلس شيوخها، ومكان أعضاؤه في قاعة الجلسات فمات خمسة منهم جوعاً.

184
رعاية رومية كان سكان الولايات لا حول لهم، ولا طول مع هؤلاء الظالمين بأسرهم وذلك: لأن الولاة كانوا يملأون العشرين والصيارة على رغبهم وياخذون بألزامهم، فكل ما يطلبونه وراء الوالي الجنسي والشعب الروماني بعيدانه، فكان يسمع للوطني الروماني أن يشتكي السلاحي في الولايات، ولكن لا يمس الوالي أذى، ولا تتأتي شكايته إلا مرة واحدة عندما يخرج من الخدمة فيصير عليه الرعايا يسيبهم ويعتدي، خصما يشاء ريثما تنقضي مدته، وإذا اتهم عند عودته إلى رومية يتكون محكمته أمام محكمة مؤلفة من الأشراف والعشرين ممن تكون مصلحتهم في معاوضته لم يحق الحق ورفع ظلامة أهل الولادة التي كان فيها، وإذا صادف أن حكمت عليه المحكمة يستعيض عن الحكم بالنفي فيذهب إلى إحدى مدن إيطاليا يتمتع بما نبهه أيام ولايته، وهذا القصاص لا يوازي من آناء البئثة، ولا يعد انتقاما، ولذلك حكنت ترى سكان الولايات يؤثرون أن يقعموا ولاتهم بخضوعهم لهم فيما ر بطونهم: خصما يعاملون الملوك وينافقونهم ويهادونهم ويقيمون لهم التماثيل، وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (٣٠٩) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم: خصما يعبد الرب.

ولكن عامل الشعب الروماني رعاياه بفسوقة، فلم يكن يأبى عليهم الانضمام إليه، كما كان شأن المدن اليونانية، بل إن الغريب يصبح وطنيا رومانيا بإرادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاصفة أحيانا وكثيرا ما يمنحها إلى شعب برمته فمنح حق الوطنية الرومانية إلى اللاتيني أولي سنة ٨٠ ومنح هذا الحق للطلبة في سنة ٨١ ومنحه لأهل غاليا فأصبح سكان إيطاليا والأماليين سواء، حتى إن العبد الذي يعتقه سيده يسوع له أن يكون وطنيا في الحال، وصلما عرضت للشعب الروماني عوارض المضف ونقص في الأنفس يزيد عدها برعايا جدد وعبيد جدد، فكان عدد المواطنين يزيد في كل إحصاء، ولا ينقص فبلغ

(٣٠٩) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي أقامها له سكان سيسيليا التي ركان وعليها

١٨٥
قانون الأراضي

الأملاك العامة - حتى طلب شعب غلبته رومية على أمره أن يعقد معها
الصلح يجب على نوابه أن يلفظوا بالجملة الآتية "نتخلى لكم عن الشعب
والمدينة والحقول والمياه وتماثيل الأرباب الحامية للحدود والأيات وجميع مـ
يملكه الأرباب والناس قد جعلناه، بيد الشعب الروماني". وبهذا التسجيل تصبح
الأمة الرومانية مالكة لما يملكه المغلوبيان لهم بأسره، بل مالكة، حتى لأشخاصهم
وكثيرا ما يبيعون السكان، وقد أباع بولس إميل مئة وخمسين ألفا من أهل أبیر
على هذه الصورة غلبنا استسلموا إليه، ومن العادة أن تنحى رومية لمن تغلب
عليهم حريتهم، وأن تبقى أملاكهم ملكا للشعب الروماني يجعلونها ثلاث
حصص متساوية فيعطي للأهالي قسم من أراضيهم على أن يدفعوا شيئا معلوما
من المال أو الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها الحق أن تأخذ منها؛ كما تشاء
وتؤجر الحقوق والمراعي إلى أساس من الملتزمين وترتك الأراضي البائرة شاغرة
بأخذها من يريد ويحق لكل وطني رومني أن يقيم فيها ويزرعها.

قوانين العقارات - شملت قوانين الأراضي التي احتل بها نظام رومية الأملاك
العامة، وما كان لأحد الروماني أن يخطر في باله نزع الأملاك من أربيابها؛ لأن
حدود تلك الأملاك نفسها كانت أربابها يدعونها آلية الخوم والذين يمنع من
نزعها إلا أن الشعب سكان يستولى بموجب قانون الأراضي على أراض من الأملاك
العامة فقط يوزعها في صفحة ملك على مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق
ในการ ذلك؛ لأن الأراضي ملكها إنما الرومانيين تسامحوا قرونا بأن تربطوا
أناشة من رعايائهم، أو أبناء وطنهم يمتعون بغلات تلحك الأراضي، وقد انتهت بهم الحال أن صاروا ينظرون إلى تلحك الأراضي صانعة ملكهم يحبسونها ويبيعونها ويبتاعونها ولو أخذت منهم لقضي على جمهور عظيم من الأمة بالإفلاس. إن الحال، وقد حدث في إيطاليا خاصة أن ينزع من أهل مدينة بأسرها جميع ما يملكون هكذا نزع أغسطس جميع أراضي مانتو من سكانها، وطمان الشاعر فرجل في جملة المفكرين فتوصل بفضل شعره إلى أن عاد إليه أمثاله، ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعرا كفريجيل بقي مسلوبا من أمثاله وتوزع هذه الأراضي المأخوذة على تلحك الصفة أحيانا على أناس من فقراء الوطنيين غير رومية، وعك الزغل على جماعة من قدماء الجنذ، وقد وقع سيلالا أراضي أهل إيطالور بأغلب 100 ألف من قدماء الأجناد.

الإخوان الاشتراكيان: كان الشقيقان تيبريوس وسكايوس غراشوس من أشراف أسرات رومية، ولكن حاول أحدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوقة أن ينزع الحكومة من يد الأشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ.

وكان في ذلك العهد في رومية، بل في إيطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا يد لهم، ولا نبض إلى إحداث ثورة، ومنهم الأغنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يشكون من حرقهم من الحكومة، فعرض تيبريروس غراشوس نفسه على أن يتولى الدفاع عن العامة وسعى إلى توطيد سلطته هذه، وكان في قلق مما يراه في بلاد الأرياف في إيطاليا من إقامة الرماة العبيد يخلفون قدماء أصحاب الأملاك الفلاحين، ومن رؤية رومية غاية بأناس من الوطنيين لا يملكون فتيل، ولا نقارن.

قال مرة في خطاب له يخاطبه العامة: "للروحية البرية في إيطاليا مخاورد تأتي إليها والرجال الذين يهرعون دمهما في الدفاع عن ببسة إيطاليا ليس لهم إلا النور والهواء الذي يستنشقوه هم يهمون على وجههم مع أزواجهم وأبنائهم لا بيوت تؤثرونهم، ولا منازل يسكنونها ألا، وإن القواد الذين يحرضونهم على الدفاع

187
عن مدافعيهم ومعابدهم لِيُذِبحن ﷺ أقوالهم وليت شعري هل ملكه واحد منهم.
حتى الآن مذبحاً مقدسًا ﷺ بنته ومدفعاً يضم رفات أجداده يدعونهم سادة
الأرض، وهم لا يملكون مدرة منها”.

فاقتراح على الشعب سَن قانون للأراضي، وذلك بِأن تأخذ الحكومة من الأفراد
جميع الأراضي التي هي من المنافي العامة فتضع يديها عليها ويتراكم لكل فرد
منهم خمسمائة فدان ويوزع الباقٍ من الأراضي حصصاً صغيرة على فقراء
الوطنيين فوقّاق المجلس على هذا القانون فحدث بذلك ابتسامٍ عام ﷺ نظام
الثروات؛ لأن معظم أراضي الملكة على التقريب كانت من الأميراء العامة، ولكن
وضع الوافزون أيديهم عليها واعتدوا أن يعتبروا أنفسهم مالكيها على أنه مكان
سُكَّرٍ ما يُسبح التميّز بين الملك الخاص والملك العام إذ لم يكن للرومانين
سجلات للأراضي.

فأقام تيربوس ثلاثة مفوضين سعى إلىهم قسمة الأراضي؛ كما أن الشعب
أعطاه سلطة مطلقة، وكان هؤلاء المفوضون هم تيربوس نفسه وأخوته وعمه
فقام خصوص تيربوس يتهمه بأنه سَن قانون الأراضي ليتخذ من ذلك حجة
لتكون له بها السلطة فمضت سنة، وهو السيد المتحكم ﷺ رومية ولكن لما أراد أن
ينتخب محامياً من العامة عن السنة التالية أقام أعداؤه الحجة (وهو سكان
منافياً للعادات المتبعة) فشنت من ذلك فتنة انتهت باستيلاء تيربوس
و أصحابه على معبد الكابتول فنهض أنصار مجلس الشيوخ و عليهم مسلحين
بالدبابات وخشيب المقاعد وطردوا تيربوس وأتباعه وضرويهما (133).

وبعد عشر سنين انتخب سكايوس أصغر الأخويين غراشوس محامياً عن الشعب
(125) ووجد التصديق على قانون الأراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء
الوطنيين وقرر أن يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليُتوصل بهذل إلى
هيدم سلطة الأشراف فكانت كلمته في العليا مدة حولين كاملين ولكنما قصد
فرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطوارئ (المستعمرين) الوطنيين تخلى الشعب
عندمدة غيابه، حتى إذا عاد لم يتيسر له أن يعاد انتخابه إذ كان أعداؤه اغتنموا تلوك الفرصة للتخلص منه وعندما أمر الحاكم بتسليع أشياع مجلس الشيوخ وزحف على سكان وآخبارهم، وكانوا اعتصموا في جبل أفنتين فقتل كياليوس، بيد أحد العبيد وذبح أشياعه، أو أعدموا في السجون ونضروا بيوتهم من أسواها وصادروا أملاكهم (121).

مايروس وسيليا

لم يكن النزاع بين الشقيقين غراشوس ومجلس الشيوخ إلا عبارة عن هرج وشوارع رومية ينتهي بفتنة تنشأ بين العصابات المسلحة على عجل، أما الفتن التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة، وكان رؤساء الأحزاب من القواد.

الحروب المدنية- ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لا عمل لهم، وما الجيش إلا حفنة من المتشردين نزاع الأف qc فلا المجلس، ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ، لأن الأشراف الفاسدين فقدوا مكان سلطة أدبية، فلم يبق ثمة سوى قوة حقيقية واحدة وتعني بها الجيش، ولم يبق سبطة إلا للقواد، وقد أبى القواد أن يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ، حتى أصبح، بيد القائد وغدت الثورة لا مناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة، بل تخرجت زهاء سنة، وكان مجلس الشيوخ يقاوم، وقد أمسى من الضعف بحيث لا يتيسر له أن يجري الأحكام بناءه على أنه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الأمة والقواد يتنازعون بينهم فيمن يكون السيد المتحكم، وهكذا قضى الرومانيون قرينة يتخبطن في الفتن والحروب المدنية.

ماريوس- كان أصل ماريوس القائد الأول الذي جعل جيشه تحت أمره قوية من أرمنوم، وهي مدينة جبلية صغيرة، ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بأنه ضابط وانتخب محاميا عن العامة، ثم قاضيا بمساعدة الأشراف له، ثم
انقلب عليهم وانتخب قنصلًا ووعدت إلى محاربة جوكرتًا ملك النوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية.

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين ممن أصبحت الخدمة العسكرية صناعة قتاله وغلب ماريوس بجيشه على جوكرتًا وأهلها الشعب البربرية وكالسيميين والتوتون ممن أغاروا على غاليا وإيطاليًا الشمالية واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره لقيادة الجيش انتخبه قنصلًا ست مرات متوالية خلافا للقوانين المتينة.

عاد إلى روما بعد هذه الانتصارات فأصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعياؤا أنفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الأشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ).

الحرب الاجتماعية- ارتكب أشياء ماريوس من الفظائع ما انتهى بثروت شهرة بين الناس فاغتنمت أحد الأشراف من أسرة سكرونيليوس الكبيرة واسمه سيلالا هذه الفرصة لمنازعة السلطة، و كان هو أيضا من جملة القدو، وله خلال ذلك استغلال الطليان غيظًا من قيامهم بعمل ما يقوم به الرومانيون من التكاليف دون أن يكون لهم مثل استياباتهم فنزعوا إلى مقاومة ليقاتوا حقوقهم المدنية، وهذا ما دعوه بالحرب الاجتماعية، أي حرب مقاومة المحافظين فجيروا جيوشا كبيرًا تقدم إحداهما على مقبرة من رومية، و كان سيلالا هو الذي انتقد رومية ببناة الطليان أشد قتالا وبعد حرب دامت سنتين (91 - 89) خضع الطليان، بيد أنهم نالوا ما طلبوا وعادوا وطنين رومانيين.

سيلالا- طارت شهرة سيلالا في هذه الحرب فنصب قنصلًا ووعيد إليه أن يحف على ملكه بحر الحز رميتريدادس الذي أغار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة أبيهم (88) فحمل الحسس ماريوس أن يثير فتنة في رومية فخرج سيلالا للالتحاق بجيشه الذي كان ينتظره في إيطاليا الجنوبية وعاد معه، وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول إلى المدينة وعليهم أسلحتهم.
وعلى الحاكم نفسه قبل أن يجتاز الساكنة أبيه، أن يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية، فكان سيلناد القائد الأول الذي جسر على خرق سياج هذا المنع ودخل إلى رومية فانهزم ماريوس أمامه.

ولما وصل سيلناد إلى أيسبيا عاد ماريوس لجيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة (87) وعندئذ بدأ بقتل المتشردين قبل محاصمتهم وجعل خاصة أشياع. سيلناد تحت الأحكام العرفية، بل صدرت أوامر الحكومة أن يقتلون حينما وجدوا وصوهرت أموالهم، ومات ماريوس بعد بضعة أشهر وظل سينا أهم أنصاره يجري أحكامه الرومية ويبتكر شكل من لا تروقه حاليته، وكان سيلناد خلال هذه المدة قد تغلب على ميتراديوس وضمن إخلاص جنده، لابن أباه لهم نهض آسيا على ما يشاءون. وقد عاد (83) لجيشه إلى إيطاليا، فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فانهزم بعضها وانحراف الآخر إليه، ثم دخل سيلناد إلى رومية وذبح الأسرى وحقق أنصار ماريوس.

الأحكام العرفية بعد أن مضت بضعة أيام في المذابح شرع سيلناد ينفذ الأحكام العسكرية على الأصول وعلق ثلاث قوائم بأسماء من يزيد إهلاكمهم، قال: "أعلنت أسماء جميع من ذكرتهم، وقد نسيت كثيرا منهم وسأعلن أسماءهم سكما خطروا على بالي". وظل من علق اسمه قادمة المحكوم عليهم، وكان يعد للقتل، ومن آتي برأسه نينال مكافأة وتشادر أموال القتيل، وكان يقتل الواحد بدون محاسبة، بل بمجرد هو القائد ويدون أن ينذر بالقتل وعلى هذا الوجه لم يكتف سيلناد بذبح أعدائه فقط، بل قتل الأغنياء الذين كان بطمعهم وروى أن أحد الوطنيين البعدين عن السياسة نظر، وهو ماران، إلى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطورا في أول القائمة فهتف قائلا: "ما أتمسي! فقد قتلني بتي ألب" وينقأ: إن سيلناد قتل ألفا وثمانمئة ألف فارس.

قوانين سيلناد: بعد أن تخلص سيلناد من خصومه حاول أن ينظم حكومته وتكون الكلمة فيها لمجلس الشيوخ فعينوه حاكما مطلقا (ديكتاتور) يطلق هذا
اللقب قديماً على القواد في أيام الشدة والخطر ممن تكون لهم السلطة المطلقة، فاستخدم سيلالا هذه السلطة ليس أن قوانين تغيير النظام الدستوري القديم، وذلذاً نحن ينتمي القضاة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ، ولا تجري المناقشة في قانون قبل أن يوافق عليه مجلس الشيوخ، ولا يحق لمحايي الشعب بذله أن يقترحوا شيئاً ويعد هذه الإصلاحات التي خلوت مجلس الشيوخ سلطته مطلقة استقلال سيلالا من منصبه وأخذ نفسه بالانقطاع إلى داره والعيش في عزلة، (79)، وكان يعرف بأنه مأمن إذ كان له مائة ألف من جنوده في إيطاليا.

بومبي:

بومبي - عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة: لأنه حسن رأي سيلالا أن يعيدها عليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيعه محافظة على تلك السلطة حتى قام أحد القواد ينزعه إياها ودامت أيضا حكومة مجلس الشيوخ في الظاهرة أكثر من ثلاثين سنة وذلذاً لأنه كان ثمة عدة قواد وعك كل منهم يحول دون خصمه أن يستأثر بالحول والطول، بل هل للسلالا مكان في البلاد أربعة جيوش على قوم الاستعداد اثنان منهما طابمان لقانديين من أنصار مجلس الشيوخ، وهم مكراسوس وبومبي والآخرون بقيادة قاندين خصيمين لمجلس الشيوخ، وهما ليدوس في إيطاليا وسرتوس في إسبانيا والمتأثر أنه لم يكن أحد له تلم الجيوش على استعداد ونظام، وأن ليس رأى أولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجنر، وكان القواد إلى ذلك العهد أبداً من القناصيل، أما الآن فأصبحوا من الأفراد ينضم إليهم الجنر لا ليخدموا الجمهورية الرومانية، بل نيفتلون بسلب الأهلين.

ولقد انهزمت جيوش حضور مجلس الشيوخ ويقى القائدان مكراسوس وبومبي وخحاها واتفقا بينهما على الزعامة وجرى انتخابهما قنصلين.

سبارتاكوس - تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد)، وكان
الأغلب في الجزيرة الصقلية وجنوب إيطاليا، حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطنان وبعد أن ولي الولاية القائدان مكراسوس وبومبي بدأوا أشهر تلته الحروب، ولذلك أن عصابنة مؤلفة من 70 مصارعا هربت من ضابط ونهبته عرية تحمل أسلحة وأنشأت تحمل على البلاد حملاتها ضخم العبيد وانضموا إليها زرافات زرافات، بدل تلته تلته العصابنة أن أصبحت جيشا، وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاء ثمانية جيوش رومانية أرسلت لتعدقهم، وكبان سبارتاكوس زعمهم أسر الحرب وهو من إقليم تراسيا جيء به إلى إيطاليا ليستخدم في الصراع فحدثته نفسه أن يجتاز بلاد إيطاليا بكلها للعود إلى تراسيا بلده، بيد أن جيش مكراسوس قام عصابات سبارتاكوس مؤخرًا، وكانت محتلة النظام فقبلها عن آخرها، وبعدها حظرت رومية على العبيد أن يحملوا سلاحاً ويجيب أنه أعدم راع من العبيد، لأنه قتل خنزيرًا بريا بحرية، كانت معه.

حروب في الشرق - عهد مجلس الأمة لبومبي أن يتولى قيادة الجيش في حروب متعا집تين في الشرق الأولى (17) كانت مع قرصان البحر سواطئ آسيا الصغيرة، وقد عزوا سواطئ إيطاليا ونهبها والثانية (16) كانت مع ميتردادس الذي لم يبرح على ما أصابه من الفشل يدافع عن حوزته في أطراف آسيا الصغرى.

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفياني الإخلاص له، وكان يبضع سنين السائد المسود في رومية، وإذا كان ينظر إلى الشرف أكثر منه إلى السلطة لم يدخل أدنى تعديل في الحكومة، وخلال ذلله نال الحظوة من الأمة شاب من الأشراف اسمه قيصر. فانفق بومبي ومكراسوس وقيصر على اقتسام السلطة (20) فانتخب قيصر قنصلاً ثم ولياً على غالياً وتولى مكراسوس قيادة الجيش الذي أرسل إلى آسيا للحملة على البارتيون، ولي حتى سنة 53 يبومبي في رومية.

ياتالينا - بينا كان بومبي يحارب في الشرق حدثت رومية أزمة مكادت

193
تأتي إلى ثورة، وذلك أن أحد الأشراف من قدماء أنصار سيلالا واسمه كاتاليانا كان، فقد سرحه لاكتساله في الشهوة فحاول أن يسترجع ماله بالقبض على أزمة الأحكام، وكان رجلا قوي الشكيمة جرى النفس مقدامًا لا يتطرق إلى قلبه وسواس وله أصدقاء كثيرون من أشراف الشبان المستهترين الفاسقين أخليصوا حبًا إذ كان يقضى معهم أوقات صفاهم ويقرضهم مالًا ويهدويهم خيولا وكلايب صيد وله من الأنصار قدماء أشياع سيلالا وقدماء الجنود الذين أسكنهم سيلالا في إيطاليا ممن باعوا أراضيهم وأخذوا يبحثون عن مورد يعيشون منه.

فاتفق كاتاليانا مع جمهور من هؤلاء الساخطين على أن يذبحوا نجاح واحد القنصلين يوم يذهبان معا إلى معبد الكابوتل، فلم يفلحوا فيما دباهوه: لأن الخبر ترامى إلى القنصلين إلا أن كاتاليانا احتفظ بأنصاره وظل يضدد الدسائس، وكان أعداء مجلس الشيوخ، وربما قيصر أيضا يعملونه سرا فقدم نفسه لينتخب قنصلا، فكان خصمًا في هذا الانتخاب شيوخن أشهر محام وأعظم خطباء الرومان، وكان هذا توصل إلى أن ينتخب حاكمًا: لأن الأسرات الشريفة غدت منذ عهد ماريوس لا تسمح إلا بانتخاب أتات من الأشراف.

وساعد أشياع مجلس الشيوخ الخطيب شيوخن فجرى انتخابه وسقط كاتاليانا إلا أن القنصل الآخر رصيف شيوخن، وهو أنطونيوس مكان ممالة سرا للباحثين قدرب كاتاليينا مكيدة ضريرًا على أن يذبح أصحابه شيوخن وأعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويعقوها بينا يكون قدما أجناد سيلالا المقيمون في أترونيا زاحفين على رومية فبلغ الخبر شيوخن، فلم يخرج إلا عينه وسوكبة من الفرسان محددة به إلا أنه لم يكن عند جيش لقتال قدماء الأجناد الذين شرعوا يتجتمعون ويتسلمون والمجذب الذين أخذوا يسلحونهم يحكمون فقضي جزءًا من السنة التي تولى فيها القنصلية، وهو يقتل مستمر.

وأخيراً رجع واليان يقودان جنودا فشعر شيوخن بقوة تمكنه من الدفاع

194
فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية
الرومانية، وأن يعطي القناصل سلطة ليتخذوا عامة الأسباب التي يرونها مناسبة
وأدخل الجنرال إلى رومية يرابطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ إلى الاجتماع
ثانية، وَقَدُّمَتْ هِذهِ الجَلَـسَةُ أَّقْلَا خَطْبَتْهُ أَوَّلَهُمُ مقاومة كاتالينا وسأله مشاعرا
إياها بما دبره من المكيدة التي افتضح أمرها وأنذر به الانصار.
فغادر كاتالينا رومية وذهب للانتزاح بقدماء الأجناد المتورمين في إتروسيا
وظل أشياعه في المدينة فالتقوا سراً مع وقود الألوبروج بأن يبادروا لهم فرسانًا،
ثم عيروا آرائهم وأفسدوا سر المتآمرين فطلب شيوخهم خمسة من رؤوس زعماء
المؤامرة واضطرهم إلى الإقرار، ثم استفتى مجلس الشيوخ فيما يجب أن يعاملوا
به فأجاب بأن يجب إعدامهم، ولكن مكان أحد المجرمين اسمه لانتوالوس
قاضياً، ولا يحق لأحد أن يوقفه إلا حاكم له مقام أرقى من مقامه فذهب
شيروين بدأته لتوكيف المجرمين الخمسة وأخذهم إلى سجن الكابثور وحنقهم
وعاد يقول لمجلس الشيوخ "لقد عاشوا".
 فأعلن كاتالينا الرحب، ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً
ومعظمهم انضموا من حوله وحذف عليه جيش بقيادة القنصل أنطونيوس آثيا
من الجنوب وحذف آخر من الشمال، ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل
حاول بهم الفرار نحو الشمال فرأى جيال اثنين في وجهه مسدودة فانقض على
جيش أنطونيوس وهاجمه وقتل مع أصحابه جملة واحدة (33) فنال إذ ذلك
شيروين من مجلس الشيوخ "أبو الوطن" دلالة على أنه إنقذ رومية من مخالب
العدو، ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة.

فتح بلاد الغال
دخل قيصر إلى غاليا اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس أن يتولى كل منهم
القيادة في إحدى الولايات العظمى على أن يكون له الحق في أن يمشي جيشًا

195
فوضع كراوسس يده على سوريا ويومي على إسبانيا وقيصر على الثلاث ولايات المجاورة لغاليا، وذلك لمدة خمس سنوات. وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته وليا إلى مقر ولايته لينشئ فيها جيشاً يكون هو قائدته ودخل الحالة في عدة حروب وظل عشر سنوات بعيدا عن رومية. (ولم يدم حكمه أكثر من خمس سنوات إلى سنة 32 ولكنه جدته دفعة ثانية إلى سنة 48).

وكانت رومية إلى ذلك العهد لم تخضع غير جزء من البلاد التي نزلها الشعب الغال، بل لم يكن لها سوى ولايتين غاليتين غاليتين سيئاليتين، وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال اثنين الألب (وهي اليوم إيطاليا الشمالية) والبروفانسيا، وهي عبارة عن شواطئ البحر المتوسط وبلاد الروم من جبال الألب إلى جبال البيردي، وكانت هذه البلاد مع إقليم إيليريا (الجبال الواقعة في شرق الإدريتياك) في الثلاث ولايات التي تولاه قيصر.

أما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومان غاليانا فكانت مستقلة بعد يسكونها ثلاثة عناصر من الناس أحدها الغاليون، وهم يشغلون القسم الأعظم من البلاد، أي: جميع فرنسا الواقعة بين نهر العارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بأن هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شعر الشعر زرق العيون طوال الأسلاف يأكلون اللحوم ويسكنون بنبيذ السرقواز (ضرب من الجعة)، أو بشرب الأيدروم، وهم أشاد بشبها بالجرمنيين منهم بالفرنسيس اليوم، وكان السواد الأعظم من هذه الأمة يعيش شقيا في الأكواخ لا شأن لهم إلا إدارته شؤون بلادهم مخضوعون لكبار أرباب الأموال الذين يقاتلون رابعين صهوات خيولهم ويدعوهم قيصر بالفرسان يذبحهم؛ كما يذكر محاربين شجعانًا للغاية، ولا يبعد أن يكون هؤلاء الفرسان الغاليون شبيهين بالجرمنيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب أصغر منهم أجساما أصغر وأكثر يشبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية، أي: فرنسا وأيرلندا وبلاد الغال.

القسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة...
٣٧٩

في شمال السين إلى نهر الرين، وهم يشبهون؛ كما كان يقول الرومان
الجريمانين النازلين في الشاطئ الآخر من نهر الرين والظاهر أنهم كانوا أقل
اختلاطا بالشعب القديم من الفاليين وأحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون
راحبين.
والقسم الثالث من تلك المحاير هم الأسكيتيون نزولاً جنوبي نهر الغارون،
وهم ضئيل الأجسام شجعان يشبهون الإسبانيين في إسبانيا ويتكلمون بلغة إيبيرية
ويعتبرون سائر شعوب غالياً سكانهم غرباء وهؤلاء خضعوا قيصر أول الأمر
ويعد، فلم يكن الفاليون والبلجيكيون الأسكيتيون أمراً محدوداً، بل لم يكن ثمة
غير شعوب صغيرة يستولي أقدرها على تحويلات، أو أربع من مقاطعاتها اليوم
وكل مقاطعة تؤلف حكومة مستقلة ودعاها قيصر سلفيتا، أي: التي يحكمها
حكمها; كما يشاء وتجاربها، وكان لبعض تلك الحكومات ملحة ويجبر معظمها
مجلس من الأشراف (الفرسان)، وكان لل المتحدة عند الفاليين سلطة كبرى.
لم تبرح تلك الشعب على حالة من التوجس بعد تعيينها للحا
ماشيتها، وما ورائها إلا أسوار صغيرة محصنة يجعلون فيها مواجهتهم وعيائهم
إبان الحرب ولئن كان معظم البلاد غابات وحراحا؛ فقد بدأوا يزعمون حنطة
ليتيرن أن تطعم جيشاً رومانياً بأسره.
جاء قيصر لينوي فتح غالياً في جيش اختاره من سكان الولاياتين الغاليتين
الخاضعتين لرومية خاصة، وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من مشاة
منتظرين ضابئين وعليهم أسلحتهم، وهم مدركون أكثر من جيوش الشعب
الغالي، ولقد عين قيصر بدوره خبر الفتح في مفاكراته فأهم القارئ بأن الفاليين
ساقوا عليه جيشاً أكثر عددًا من جيشه، ومن المحتمل بأنه لم يقل الحقيقة إذ
لم يكن له استطاعة غالياً أن تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها
ليسوا محاربين.
غارة الهيلفيتين والسويفيين- عندما وصل قيصر إلى بلاد الغال كان الأيدوانيون النازلون في جبال مورفان أشد شعوراً أواسط غالياً بأساً وعاصمتهم بيرراشة بالقرب من أوتون ولبلادهم واقعة بين نهر السون واللوار ومن أشداء الباس الأورفيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (أوبرنما)، وكانوا حاكمين على الأمم النازلة في البلاد الصغرية الوسطى.

فحارب الأيدوانيون السكانيون النازلون في جبال جورا لاختلاف طرفاً بينهم على الملاحية فإن نهر سون فاستدعى الكسيانيون من ألمانيا زعيمها سويفيا، وهو الملوك (أريوفيست)، فأتى على حصبة من خيرة المحاربين مؤلفة من العامة خاصة، وهم السويفيون، وبعد أن تغلب الأيدوانيون طلب الملك أريوفيست إلى السكانيين جزء من أراضهم لينزل فيها جيشه، وسكان السكانيون صاحبوا الأيدوانيين لقتال أريوفيست الذين نزلوا عليهم. وقد قاد قيصر جيشه إلى بلاد سون تقدم على أنه خليف شعب غالي لمقاومة غارة جرمانية، وينغضون ذلك أخذ الهيلفيتين، وهم شعب غالي يسكن سويسرا بالهجرة من بلادهم فأنتكلوا منها يحملون أسرائهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات قائلين إنهم يريدون مهاجمة بلاد الغال ليستوطنوا شواطئ المحيط، وربما كان ذلك حيلة منهم ليذهبوا لنصبة الأيدوانيين على أريوفيست وتقدموا إلى قيصر ان يسمع لهم باحتيال تلك الولاية الرومانية فأتى عليهم ذلك، فلم يبق، أما الهيلفيتين إلا أن يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من نهر سون وحمل أولاً على ساقية جيشه، ثم هاجم مجموعهم فنجب منهم جزءاً عظيم، واضطر أن أفلتوا من القتل إلى الرجوع إلى بلادهم، ثم ارتد على أعقابه لقتال أريوفيست وأسرع، حتى بلغ جيشه إلى فيرونيسيا (برزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب، وهم في البلاد جبلية مغشاة بالغابات يهاجمون برابرة أشداً على أبهية تامة فجمع قيصر قواته المئة من جنده (يورياشية)، وقال لهم على من يوجسون خيفة أن يسافروا مع الفرقة العاشرة.
فأجابه قواد المئة بأنهم يتبعونه حينما ذهب.

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفووس ونزل إلى سهل الألارس وواجه
يعسكر أمام العدو وألف أريويفيست معسكره من مركباته وتحصن وراءها، وكان
قيصر يمرن جيشه إلى السهل ويعقبه للقتال، ثم صحت عزيمة أريويفيس على
الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني فرسانه فجرج فجر جنده فطارده
العدو، حتى نهر الرين، وكان المهاجون الجرمان يطردون إلى خارج غاليا، ولكن
قيصر لم يأت مع جيشه إلى ولايته، بل رابط معه وادي سون، حيث قضى
الشتاء، وقد أخذ يعامل بلاد غاليا ك.WriteLine(199)
}
دون الهزيمة فأخذ قيصر يحارب النيرفيان حربا يريد بها إبادتهم عن آخرين، ولا أخضر الجيش الرومانى الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطئ اللوار.

فتح الغرب قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط أن تحالف رومية وتقدم لها رهائن، وما جاء الشتاء، حتى تحالفوا بينهم وأدوا أن يرسلوا حزمة لإطعام الجيش الروماني وأسروا منهم مندوبى الرومان الذين جاءوهم طلب ذلك ليكرهوا قيصر على أن يعيد إليهم من استباقهم عنده من رجالهم رهينة، وسكان للهفنتين (سكان فان)، وهم من الشعوب الخطيرة فذالك الحلف سفن حربية صنعوها من شجر البلوط وجعلت بحيث تسير على إرادة ربانها ولها مقدمة مرتفع يقاوم فعل الأمواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع أن تبحر على قيعان الشاطئ، ويغبح البحر الصغيرة فأنشأ قيصر سفنا ذات قلوع في مصب نهر اللوار هاجم بها أسطول الفنتين وصعب عليه أن يحظمه؛ لأن سفنهم لم يكن لها من العلو ما يكفي للوصول إلى مساحة تلك السفن الفينيقية، وكانت مراقبة داخلة في الماء كثيرا بحيث لا يتسنى لها أن تطارد مراقب عمود في وسط الصخور والقيعان وبدلا الزيارى والتي صنع الرومان مساجل ذات مقابض وعصى طويلة قطعا بها الخيال التي كانت تمسك قلوع سفن الفنتين فلما سقطت القلوع من هذه السفن، ولم يكن عندنا مجاديف تصدف بها وقفت لتبدي حراكا فذاها الجيش الروماني وأخذها عنوة فطالب الفنتين الصلح إلا أن قيصر أمر بإزراخ فرشته أعلامهم وبيع سائر الشعب بيع العبيد، وذاك تلقى المدة أيضا مكان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الإقليم المعروف اليوم بإقليم نورمانديا، وهناك فرقة أخرى له تحارب شعوب الأحتجزاء في جنوب نهر الغارون، وعلى هذا، فقد أخضر قيصر غذي ثلاث حملات (56 - 55) عاما بلاد غاليا وافتتح فرصة الشتاء للعودة إلى ولايته في إيطاليا المعروفة بسيزاليين.
ويل العام التالي (61) ضرب موعدا للقائدين الآخرين الذين كانوا يقاسمان الحكم، وهما بومبي وكراسوس فاجتمع ثلاثتهم على تخوم ولايتهما في ولاية لوجوس وقرروا تجدية حكومتهم لخمس سنين أخرى.

حملات إلى خارج غاليا - حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته وإشغالا لجيشه، وككان شبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجموا بلاد البلجيك فسارت قيصر، جيشه وفرسان شعوب غاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر الدور وهاجم الجرمان وذبحهم مع نسائهم وأولادهم، ثم بنى على الرين جسرًا من جذوع الأشجار وذهب لتخريب الشاطئ الأيمن.

ولا عاد إلى غاليا ركح البحر مع فرقتين (55) واجتاز ببحر المانش ونزل إلى بريطانيا (إنكلترا)، ولا أنشأها السنة التالية سفنًا متسعة قليلا لنقل الأثقال والخيول عاد إلى بريطانيا في جيش كبير واجتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيين، حتى بلغ نهر الشيمس (55).

قيام الغاليين وكان الأشراف في معظم الشعوب الغالية من أشياع رومية يقاتلون في الجيش الروماني على أنهم رديء من الفرسان ويعاشرون الضباط الرومانيين، وكان بعضهم من أصحاب قيصر إلا أن السواد الأعظم من تلوك الأمم كانوا يتباحون بأولئك الجنود الغربيين الذين يسيران سير السادة فانشق بعض الزعماء عن حرب الأشراف واتفقو بينهم سرا على تهيج الشعب، وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك: لأن القمح كان نادراً لهذه السنة فقرر زعماء الغاليين أن يغتنموا هذه الفرصة لمحاصرة الفرق المنعزلة وقطع مواصلاتهم فانتظروا ريثما يبتدئ قيصر إلى ولاية سيزاليين، حيث ذهب لقضاء الشتاء.

إلا أن شعب الكاروت (شارتر) أبدي نواجه المقصود قبل أن يتم ما دبروه مستشيطا غضبا من ملكه الذي نصب قيصر وحاكمه فحكم عليه بالإعدام وقتل فبلغ قيصر هذا النبأ فاستعد للحرب، ولم أزمعت الفرقة الرابطة في بلاد
السافر الخروج من معسكرها دامها الأثريورون وذبحوها ورأت شرقة رومانية أخرى أن تبقى في معسكرها فأخذ بها الغالبون فأسرع قصير وتمكن من إنقاذها.
وعند ذلك استراح الجنود الرومانية إلى آخر الشتاء، ولما طلع الربيع أبقى عدة شعوب غالية من الشمال أن يبعثوا بوفودهم إلى قيصر فجمع جيشه برمتهم وسحقهم واحدا بعد واحدا فانتقم من الأثريورون بتحريط زرعهم وحرق قراهم وذبح السكان وطارد المنهمزين إلى غابات آدين وما جاء الخريف إلا وقد خضعت غاليا الشمالية بأسرها.

الفارس فرسنجتوريس - Аجمع شعوب أواسط البلاد في خلال الشتاء أمرهم بينهم على العصيان ثانية وبدأ الكارينيون أولا فداهموا مدينة سابوم على نهر اللوار فقاتلوا فيها تجار الطليان سكافة، وَإِذ هِيَ هَذِهِ الْمَرْحَةَ تَسْلُحُ عَامَّةُ الْشَعْبِ النَّازِلِينُ بين نهر السين والغابون لقتال الرومان ويقي الأثريون على الحياض وبدأت الشعوب المحاذفة لرومية تنزع السلطة من يد الأشراف أشياع قيصر وأقاموا زعماً جددا ودخل هؤلاء الخليج الغالي.

وكان زعيم الثورة شاباً من أشراف أرفننا اسمه فرسنجتوريس، وهو فارس يحسن الفروسية خدم في الجيش الروماني، وكان صديق قيصر وأحكم ثورة في بلاده أولاً وما هاج سكان القرى، حتى نزع السلطة من أيدي الأشراف وأصبح ملكا على أرفننا، ثم بعث برسول إلى الشعوب الأخرى وجمع جيشا وجعل من نظامه أن يحرق الخائنين ويصلع آذان الأبقين ويسمل عيونهم وداهم الغاليون الرومانين إلى أن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من إقليم لانكدوك)، وَإِذَا الشمال من البلاد الواقعة بين نهر السين والسون، حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر أن يجعل جبال سيفين، وهي مملكة بالثولوج وأصره فرسنجتوريس من رجاله أن يعود للدفاع عن بلاده فاتسع الوقت لقيصر أن يجمع جيشه بالقرب من سانس ويذهب فيه إلى إقليم اللوار فتخرر فرسنجتوريس جميع البلاد وجعل المدن قاعا صفصيا لتكون قضا لا يجد فيها.
العدو شيئاً يطمأنه، بين أن البيتروريجيين لم يقبلوا بتخريب مدينتهم أفراركم، ودافعوا قيصر عنها زمناً. بعث قيصر في الرابع (52) فيلقاً لمغارة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جريركوفيا قلعة الأفريقيين فرد على أعقابه وحرج موقفه إذ لم يكن لديه طعام (لخرب مخازن ذخائه في برف)، وهو محصور بين شعوب الأفريقيين والأيدوانيين الذين ذبحوا التجار الطليان ومع ذلك أصر على عدم إخلاء غالية وتمكن من الوصول إلى سانس، وخلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبين جميع الشعوب الغالية الزعيم فرسنجتوريكس قائدًا عامًا على الجيوش الغالية.

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرسانا لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون ولهذه فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفسيا فتبعة فرسنجتوريكس غي جيشه وحاول أن يقطع عنهم مواد الطعام ومدى الجيش الروماني، وهو غي مسيره بفرسانه الغاليين فهمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسنجتوريكس على أعقابه إلى مدينة إليزيا الحصينة في بلاد الأتمام بين نهر السون ومصب نهر السين فتتبع قيصر وحاصرها فيها جاعلاً حول إليرها سورة تعلوه دائرة مجنحة ذات أبراج يحميها بخندق.

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسنجتوريكس وداهم الرومانيين، ولكن حال دون الوصول إليه ذاك السور الذي أقامه قيصر من ناحية الخلاء وبعد استناد القتال بين الجيشين رد الجيش الغالي على أعقابه وتحرك شندرو مدر، فلم يبق عند الجيش المحاصر في إليزيا شيء من النزاع فسلم فرسنجتوريكس (52) فبعث به قيصر إلى رومية، حيث قضى ست سنين سجينًا، ثم شهد حفلة انتصار قيصر وضرب عنقه.

وهكذا انتهى العصيان العام وقضى قيصر سنة أخرى في إخضاع الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فأبادها، وسكان يفخرون بأنه ذبح غي ثماني سنين.
مليون من السكان وأنه أسر منهم مليوناً آخر باع بيع العبيد وقضى سنة أخرى لتنظيم شؤون حكومة غالياً. وبعد ذلك صفا الجو لورميا بهلاك أعدائها، وقد وسد قيصر الحكم إلى الأشراف أشياع الرومان وألف فرقة من الغالين لقبواهم بالسنون، وكان جيشه المدرب يحبه فحدثته نفسه أن يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية بأسرها فخضعت غاليا لورميا مباشرة وانقسمت ولايات، ولكن تنظيمها لم يتم إلا على عهد أغسطس.

عاقبة الجمهورية

скаاتون الأوثيكي بنيا سكان القواد يناظرون بينهم فيمن يستأثر بالسلطان على العالم الروماني اشتهر رجل بتمثله بالدستور الجمهوري القديم الذي أخذ يمزق، وما زاهقياً في التداعي لم يلث أن انتحر، وكان سكاتون هذا هو الملقب بعد سكاتون الأوثيكي باسم المدينة التي انتحر فيها.

كان هذا الرجل من أسرة شريفة من أهل دولة سكانتون ووزير الإحصاء الشهير والمدافع عن الأحوال الرومانية القديمة كتب له أن يكون صاحب ثروة طائلة وهو شاب بعد، وكان قد تعلم فلسفة الرواقين وجرى عليها فأنشأ يعيش عيش الزهاد بأصل قليل ويشرب قليلًا، ولا يطيب وعود نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة، حتى مع أصحابه الراقبين خيولهم، ولا يلبس إلا ثياباً بسيطة رئة ولد وقع له أن خرج بدون حذاء.

ولما أرسل قائدًا لأحد الجيوش إلى إحدى الحروب (بموجب امتياز فتى الأشراف) أحبه جنده واحترموه إذ رأوه يعيش مثلهم عيشاً بسيطاً، ولم يسكت إليه نظارة المالية عنى بالنظر في الحسابات بنفسه على المكس فيمن كان قبله من الأشراف يتولون هذه النظرية، فإنهم كانوا يتركون الكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف تزويرات الكتب وحاجز المركبين وشهم بغيره، وكان لا يتأخر عن جلسة من مجلس مجلس الشيوخ، أو مجلس الأمينة فصار
يضرب المثل بشرح واصبح القوم يقولون عن الأمر المتعذر "لا يمكن تصديق هذا وله قاله سكانون".

وكان سكانتون يقوم بما يعتقد أنه واجب عليه دون أن تأخذ رأفة أو تناهه رهبة وحاول أن يحكم على موريينا لأنه ابتاع أصوات الأمة، حتى انتخبته قنصلًا في بلده وسليمون، وكان إذا ذاك قنصلًا بخطاب سخر فيه من فلسفة الرواقيين فرأى شيرشون، وكان إذا ذاك قنصلًا بخطاب سخر فيه من فلسفة الرواقيين فقال سكانتون: "حتى لنا قنصلًا مضحكاً واقتراح قيصر في مسألة المشتركون فيقتل سكانتونا أن يتأنى إعدامهم لأنه رفعوا قضية فاشتد سكانون على قيصر وأشار إلى مجلس الشيوخ أن يأمر بإعدام الجناة في الحال، فلم يسمع المجلس إلا أن يقرر قتلهم.

ولا اقترح يومي بي سكانون يسمح له بإدخال جيشه إلى رومية خلافا لما رسمه الدستور استئثار سكانتون غضبًا في جلسة مجلس الشيوخ من المحامي ملتوض الذي اقترح وضع القانون وصرف بأنه مادام حيا لا يدخل يومي بي إلى المدينة مسلحاً، ولا جاء ملتوض إلى الساحة في جيش من العبيد المسلمين للموافقة على القانون اختارن سكانتون صفوف الجماعة وقعد بالقرب من ملتوض ومنهم من قراءة مشروعه فجاء العبيد إذ ذلك صارخين يرمون بالحجارة ويضربون بالعصي فهرحب الشعب وقفي سكانتون فانصفوه موريينا بأن جره إلى أحد المحايد وعاد الشعب فصعد سكانتون على المنبر وخطب في سيئات هذا القانون فأبى ملتوض أن يعرضه وذهب إلى آسيا ليلحق يومي.

ولا اتفق قيصر يومي ويومي، وكان قيصر قنصلًا اقترح يومي بي سكانون فلم يجرأ غير سكانون على قتاله فأنزله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة ويوميته إلى السجن وظل سكانتون يتكلم في الطريق وقدم تبعه جمهور من أعضاء مجلس الشيوخ فعزم قيصر أن يخلي سبيله وللمؤلخ منه أرسلته الحكومة إلى قبرص ليطرد منها الملك بطيلموس دون أن يعطوه جيشا إلا أن كان هذا الملك انتصر لم يبق على سكانتون إلا أن ينظم قائمة بما خلف الملك من الكنوز فأتى إلى رومية.
بالمبلغ كبير فاستقبل مجلس الشيوخ أحسن استقبال وتقدم للانتخاب عاصيًا، وكانت القبلة الأولى واقفة على انتخابه وإذ كان بومبي رئيس المجلس لم ير بدا من أن يدعي أن السماء ترعه وأعلن انضمام الجلسة (وهي الرعد طالع شؤم، كما عرفت في بعض الفصول السابقة) وعندما اقترحوا أن يعطوا لقيصر جيشًا تقدم سكان إلى بومبي ولطالما شغل الأول بقتل الثاني وحده على الحذر من قيصر فقى بومبي عدوًا لهذا، وهذا لم يمنع سكان عندما رأى المنافسين في الحكومة يقتلون في المدينة من معاعبة اقتراح المقترحين أن يعينوا بومبي وحده قنصلاً عندما اقترحوا أحدهما من صاحبه، ولا زحف قيصر على رومية بجيشه نصح سكان مجلس الشيوخ أن يلقى إلى بومبي بمقباليد الحكم بأجمعه قائلاً على من عمل العرش أن يتلافاه وتقب بومبي إلى خارج إيطاليا ومنذ ذلك العهد أطلق شعره وثبيته عامة على الحزن وأدار بإطاله زمن الحرب، وكان يخاف من عاقبة قتلة يقتل فيه الرومانيون بعضهم بعضاً.

ولا بلغه هزيمة فارسال سافر إلى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف بعِ إفريقية، حيث سكان لأحد أشباح بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة أوتيكياء.

وإذ هزم قيصر جيش إفريقية اقترح سكان على الرومانين النازلين في أوتيكياء أن يحاصرروا فأتوا فأطلق سكان جميع أعضاة الشيوخ الذين لجأوا إليه، ثم استحمر وتعشى مع أصحابه وأخذ يخوض في المباحث الفلسفية، ولا حان وقت النوم طالع محاورة لأفلاطون في خلود النفس والتمس سيفه الذي كان نزمه ابنه عنه مغاضياً ف交流合作ه إليه فجعله على مقرية منه ونام فاستيقظ عند الفجر، ثم طعن نفسه في صدره، وكان عمره 82 سنة.

فارسال لم يبق في البلاد بعد وفاة مكراسوس غير بومبي وقيصر وحكالهما يود الاستئثار بالسلطة، وكان من تقدم بومبي على صاحبه أنه سكان في رومية مستولاً على أزمة مجلس الشيوخ، وكان مع قيصر جيش غالياً المدرب على الحروب منذ ثمان سنين قضاها في الحملات.
فاتخذ بومبي خطة الهجوم واستصدر من مجلس الشيوخ أمرًا بأن يترك قيصر جيشه ويجيء إلى رومية فعقد قيصر إذ ذاك عزمه على اختيار حدود ولايته (وكان الحد هو نهر روبيقون) وححف على رومية، ولم يكن عند بومبي جيشه في إيطاليا للدفاع فرت إلى الضرب مع أكثر الشيوخ من الشاطئ الآخر من بحر الأدراره، وكان له عدة جيوش في إسبانيا واليونان وافريقيا شنت قيصر شملهم واحدًا بعد الآخر فهزم جيش إسبانيا سنة 88، ثم جيش اليونان في فارسلا سنة 88 ففجيش إفريقيا سنة 86، ولا غلب بومبي في فارسال لجأ إلى مصر فقتله ملكها.

حكم قيصر - ولا رجع قيصر إلى رومية عهد إليه بالأمر لدعت عشر سنين فصار الحاكم المطلق، ثم حارب جيوش أشياء بومبي في إفريقيا وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتفل برومية لحظته بقارب أعداء الفااليين والمصريين وملكه ببحر الجزئير في آسيا الصغرى وملكه النوميديين حليف البومبيين في إفريقيا (لم يكن من اللباقة بأن يفاخر لتغلب عليه جيش روماني).

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فأعطاه أولا سكرسكيا أعلى من مقاعد القناصل ولقبه بالأول، ثم خوله الحق أن يحمل تاجا من الغار (وكان ذلك من حق الأديان) ومنه لقب "أبو الوطن" وابتدأت احتفالات وألعابه إكراما له وأقام له تمثالا خصوا فيه أهلاً للعظم التمظيق ووعهدا إلى الكهنة للاحتفال بعيدة ربيع يوليو قيصر، ومن الممكن أن يكون قيصر طمع في لقب ملك مع هذا دعا نفسه بالإمبراطور وقبل بأن يلبس ثوبا أرجواني، وانجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود.

واحتفظ قيصر لمجلس الشيوخ وجميع المناصب، وهو الذي كان يعين المرشحين الذين يقضي على الشعب انتخابهم، وهو الذي وضع قائمة لمجلس الشيوخ، وكان هلك كثيرون من الشيوخ فأبلى عدد الأعضاء إلى تسعة، ومعظمهم من انتخابه وصديقون منهم الغالين، ولم يقض في رومية غير خمسة
عشر سنوات من، حيث المجموع فما اتسع له الوقت أن يقوم بالإصلاحات التي كان ينويها (ماعدا تقويم السنين)، ثم قتلته ندماؤه الذين كانوا يرغبون في إعادة حكومة مجلس الشيوخ (44).

أحد الحكام الثلاثة - اضطر الشعب الروماني، وكان يحب قيصر زعيمي قتله، وهما بروتوس وكاسيوس أن يهربا فتحينا إلى الشرق، حيث جيشا جيشًا عظيما وظل الغرب تحت حكم أنطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر فحكم رومية حكما استبداديا.

وكان قيصر ابن أخته أوكتاف وعمره ثماني عشرة سنة بوصية أوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متبنيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الأوكتائية فضم إلى حزبه جند قيصر ووعود إليه مجلس الشيوخ أن يحارب أنطونيوس وبعد أن تغلب عليه آثار الاستشارات منه لاقتسام السلطة فاتحدا مع لبيدوس ودخلا ثلاثتهم إلى رومية واستولوا على الأمر استلقاء مطلقًا مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود إليه تنظيم المسائل العامة وشرعوا في نفي خصومهم وأعدائهم الخاصة (فأمر أنطونيوس بضرب عنق شيرون) (43)، ثم ذهبوا إلى الشرق لتشتت جيوش المتحالفين وبعد ذلك اقتسموا الملكة بينهم، ولم يدم الوفاق بينهم طويلًا، بل قاتل بعضهم بعضًا في إيطاليا، حتى توسط جندهم في الأمر واضطروهم إلى العودة لما سكانوا عليه من الاتفاق، ثم جرى تقسيم الملكة من جديد فأصبح أنطونيوس ملكًا الشرق وأوكتاف ملكًا الغرب (39).

حرب الأكسيوم - دام السلام بضع سنين فأخذ أنطونيوس يعيش عيش ملحك شرقي مصاحبًا لكلوبطرة ملكة مصر وشغفل أوكتاف بقتالي ابن بومبي الذي كان تحت أمره أسطوله يخرب به شواطئ إيطاليا وانتهت الحال بهذين الملكين بانقطاع علاقيهما فنشبت آخر حرب بينهما، وكانت حربا بين الشرق والغرب تحت حرب أكسيوم البحرية وأسلم أسطول مكلوبطرة أنطونيوس صاحبها.
فلجا إلى مصر وانتحر وقى أوكتاف وحده صاحب المملكة المطلق (31)، وكان قد انتهى أمر حكومة مجلس الشيوخ.

تقرير السلطة المطلقة - شكا الناس كلهم من هذه الحروب، وكان سكان الولايات يؤذرون فداء ويساء الجند معاملتهم، وقاتلهم تقتلا بل يضطرون للفرار من الحكام أن يحازوا إليه ويعاقبهم الغالب على انتصامهم إلى الغلوب، وكان القواد يمدون الجند بأن يكافؤوه بإعطائهم أراضي يستغلونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليحل محلهم قدماء الأجداد، وكان أغنياء الرومان يخاطرون بثرؤتهم وحياتهم ومتى ويهب حربه يصبحون العونة. يبد الغالب يتصرف فيهم بما يشاء، فقد وضع سيلاً مثالاً من المذابح المدبرة (81) وبعد أربعين سنة (32) جدد أنطونيوس أوكتاف أمر القتل بدون محاسبة.

ولقد كان شعب رومية نفسه يشكو من سوء هذه الحالة فلا تصل إلى رومية الحبوب التي هي مادة غذائيه على طريقه مطردة، بل كانت تقع غزير من البحر، أو ينهبها أسطول العدو فبعد أن مضى قرن على طريقه هذا الحكم لم يعد للجميع من الرومان وسكان الولايات والأغنياء والفقراء رغبة غير السلام وعندما تقدم إلى ذلك الشعب المنهوع بالفتيات الأهلية وارتقيصر ابن أخته أوكتاف أحد الحكام الثلاثة تقدم إليهم بعد أن تغلب على رصيفيه، قال المؤرخ ناسيت وقبض بيده على جميع سلطات الأمم ومجلس الشيوخ والحكام، ولم تمض بضع سنين إلا، وقد أصبح سيداً على رومية، وليس بعدها من لقب، فلم يعد يفكر أحد في مقاومته، وقد أغفل معبد حابوس ونشيط العالم ألوية السلام، وهذا بكان ما يطلبه العالم بأجمعه وذلحك ؛ لأن حكومة الجمهورية بواسطة مجلس الشيوخ لم تكن تمثل غير النهب والحروب المدنية فكانت النفوذ تطم بيد رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والثورات، وعلى هذا الوجه أسست الإمبراطورية الرومانية.
تنظيم الحكومة الملكية - يقضي نظام الحكم الجديد الذي وضعه وريث قيسر أن يكون الحكم المطلق، بيد رجل واحد يدعي الإمبراطور، أي: الرجل المدبر للأمر. ولله الحق أن يتولى السلطات بأسرها التي كانت موزعة بين الحكام القدماء في مجلس الشيوخ ويجمع الجيوش حكماً ويقودها ويضع قائمة بأسماء أعضاء الشيوخ والفرسان والوطنين ويجيب الضرائب، وهو القاضي الأكبر والمحترم الأعظم ولله سلطة القضاء وليبيان أن هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بلقب ديني، وهو أغسطس، أو أغسطس، أو أغست ومعناه المحترم.

لم تنتظر شؤون المملكة بثورة أتت على مثل اصطلاح قديم، ولم يلغ اسم "جمهورية" وانقضت ثلاثة قرون وأعلام الجنود لا يزال يكتب عليها أربعة حروف من أول أربع كلمات ومعناها مجلس الشيوخ والشعب الروماني، ولكن S P Q R اجتمعت السلطة التي كان ينتقدها أشخاص صetriون لا يد واحدة بدلاً من أن ينضموا سنة فقط أصبح يتولاها طول حياته فالأمبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجسد الشعب الروماني، ولذلك كان مطلق التصرف.

مجلس الشيوخ والشعب بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديما، وليس مجلس أعيان الأغنياء وأكثر الوجوه حرمته في الملكة فكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرغوب فيه فإذا أرادوا أن يقولوا الأسرة الفلانية كبيرة يقولون هي أسرة شيوخ، ولكن مجلس الشيوخ على حرمته لم تعد له سلطة لأنه لا يتأتي للأمبراطور أن يستغني عنه، ولم يبرح مع هذا أول قوة حاكمة في الحكومة، وإن لم يكن السيطرة عليها، وكان يتظاهر الإمبراطور أحياناً بأنه يريد أحد رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراتيه.
فقد الشعب بكل سلطة إذ أنه يمتلك منذ عهد تيبر وأصبح جمهور الأمة المذكور في الدولة الرومانية لا يتألف إلا من بضعة آلاف من كبار السادة مع عبدهم، ومن خليط من الشهدان، وكذلك الحكومة قد تحتل بإطعامهم، وكان الإمبراطور يوزعون عليهم الحنطة ويرضخون لهم بشيء من النقود فأعطى أغسطس سبعمائة فرنك من كل رأس تسع مرات وأعطي نيرون 250 فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس.

ثم إن الحكومة كانت تقيم مشاهد لتشجيع هذا الفُرُوض، وكان عدد المشاهد النظامية 20 يومًا في السنة على عهد الجمهورية قبلها، بعد قرن ونصف على عهد مايكل أوريل 125 يومًا، وعهد القرن الخامس وصلت إلى 175 يومًا دع منحك الأيام الإضافية.

وتبدو هذه المشاهد منذ شروق الشمس إلى غروبها فيتناول المتفرجون طعامهم في الساحات، وهذا ما كان الإمبراطور يتخذه منه طريقة أمينة لإشغال العامة، قال أحد الممثلين لأغسطس: نفادت يكا قيصر يعتني الشعب بناؤه، بل كانت هذه المشاهد واسعة استمالة قلوب الأمة للإمبراطور فكثيرا ما كان أقبح الإمبراطور أكثرهم حظوة عند العامة، فكان نيرون (الظالم) يعبد لأنه قام بألعاب نفية كلام يصدق العامة بأنه مات، ومكان ينتظر قدمومه بعد ثلاثين سنة من موته.

وما كان العامة رومية يبحثون عن تولي الأموات، بل غاية ما تطل إليهم نفوسهم أن يتسلوا، أو يأكلوا: كما قال حوفينال في عبارة له إشارة: "خبز وألعاب الميدان".

التاليه- الإمبراطور وحده سيد المملكة مادام حيا؛ لأن الشعب الروماني يتعلق له عن كل سلطة ومنى مات يبحث مجلس الشيوخ فيما آتاه في حياته ويعالمه باسم الشعب فإذا حكم عليه تبطل جميع أعماله وتحتمب تماشية
ويحكي اسمه من المصانع والآثار، وإذا أقر على أعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بأن الإمبراطور مات وقد ارتفع إلى مصاف الأدباء.

وبهذا معظم الإمبراطرة أربابا بعد موتها على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد إلى كاهن أن يقيم لهم الشعائر الدينية، وقد كان في جميع أجزاء المملكة معابد رسمت باسم الرهب أغسطس والربة رومية واشتهر عن أشخاص أنهم قاموا بوظائف كاهن للإلهي سكود ولالهي فرنازين، وهذه العادة تأليه الإمبراطور المتوفى كانت تسمى "التاليه" والكلمة يونانية وانتقلت عادتها من يونان الشرق على ما يظهر.

إدارة الولايات تكاملة، أو أرئمذائمه أسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستثمر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فجاء الإمبراطور ينزع منهم الحكومة ويخلص يسوله، حتى أصبح كتاب الرومان يبنون من، فقد حريتهم المسولية، ولم يكن لسكان الولايات ما يأسفوه عليه، بل ظلوا يرعى، ولكن بدلاً من أن يراهم عدة من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام يجيئونهم نهمين للفنّي أصبح لهم رئيس واحد: وهو الإمبراطور يهتم بالنظر في أمرهم، ولقد أوجز تيبر السياسة الإمبراطورية بما يأتي "الراعي الصالح يجز صروف غمّه، ولا ينتفه" فمثلى يهورن، وقد اكتفّى الإمبراطور بجيز سكان مملكتهم يسبرون منهم أكثرهم من الأموال ولكنهم يحمونهم من العدو الخارجي، بل من عملهم أنفسهم، ولكن سكان الولايات يشكون من الفتاني، ومن سرقات حكامهم كانوا يستودون الإمبراطور فيبعدهم، وبشكل من المعروف عند القوم أن الإمبراطور يقبل الشكوى على ضابطه، وهذا سكان يكفي لإدخال الربع على قلب الولاية الفاسدين وإدخال الطمانينة على رعاياهم.

الولايات تمثل ملحوظة الإمبراطور (32)، لأنه يمثل الشعب الروماني فهو قائد

---

(31) عثر على كتبات محي منها اسم دومينسين على هذه الصورة
(32) ترك أغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من أقل ولايته منزلة ولكن ظل فيها حاضرًا متحكما مثل ولاياته الخاصة حكائه صاحبه

212
جميع الجنود وسيد الناس طرا ومالح الأراضي صافة (قال الفقيه كايوس ليس لنا - أراضي الولايات إلا التمتع بها والإمبراطور وحده مالك لها) وإذا كان من المتعذر أن ينصب الإمبراطور في كل ولاية عليه الوكلاء الذين يختارهم بنفسه يرسل إلى كل ولاية بضابط (يسمونه مندوب أغسطس لتولي وظيفة القضاء)، وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطرف على ولايته ليفضح المصالح المهمة وبيده الحياة والموت كالأمبراطور ويبعث الإمبراطور أيضا بمحافظ لجبي الخراج وإدخال المال في صندوق الإمبراطور (ويسمونه نائب أغسطس).

فالضابط والمحافظ يمثلان الإمبراطور ويحكمان على رعاياه ويقودان جنده ويثبتان ملكيته ويختراعهم الإمبراطور أبدا من الطبقتين الشريفتين في رومية يختار الضباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان ولهؤلاء العمال مراتب للتشريف على نحو ما كان الحكام في رومية القديمة يدرجون من ولاية إلى أخرى ذاهبين من طرف المملكة إلى طرفها(34) فمن سورية إلى إسبانيا، ومن إنكلترا إلى إفريقيا وأنى لتصرى الكتابة المكتوبة على قبور رجال ذلك العهد جميع المناصب التي شغلوها مبينة أحسن بيان وكتابة قبورهم تكفي لبيان تراجمهم، وما تولد من أعمالهم.

الحياة البلدية - وكان تحت هؤلاء العمال الكبار الذين يمثلون الإمبراطور، وهم لا يسألون عما يفعلون أساس من العامة الخاضعين يديرون شؤون أنفسهم بأنفسهم والإمبراطور الحق يحترم شؤونهم الداخلية إلا أنه لا يسيء فيها الادة استعمال هذا الحق فإنه يطلب منهم فقط أن لا يحاربوا، وأن يدافعوا على وثيقة واحدة ما يفرض عليهم من الأموال، وأن ي}catchوا أمام محكمة الوالي،

(34) قال الفيلسوف إبكيت لا يقدر حاكم الرجال أن يتأصلوا في الأرض مكاليمات بل عليهم أن يسبحوا كثيرا لإطاعة أوامر الإمبراطور.
وكان في كل ولاية كثير من الحكم المحكومين ويسعون أهل المدينة، أو البلدية، ومن هنا جاءت محكمة الحكم البلدية والمجلس البلدي.

تجري في كل مدينة خاصة للإمبراطور ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنصي مجلسها لسنه ويقسمون إلى فرق في كل فرق عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من ضار أرباب الأملاك والأغنياء وأرباب الأسر القديمة، وفي الولايات: كما في رومية لا يكون مجلس الأمة إلا صورة والحكم لمجلس الشيوخ، أي: للأشراف.

من المعادة أن يكون مقر الولاية مدينة، أي: مثل مدينة رومية مصغرة ولها معابدها وأقواس نصرة وحماماتها العامة وأحواضها ودور تمثيلها وميادين قتالها والعيش فيها عيشة مصغرة من عيش رومية فتوسع الحنطة والدراهم على الفقراء وتولم الولائم العامة وتقام الحفلات الدينية الكبرى والألعاب الدموية إلا أن رومية تقوم بما يجب لذللك في النفقات تأخذه من مال الولايات، أما في الولايات فإن الأشراف يقومون بالإنفاق على حكومتهم وأعيادها والخراج الذي يجيب لحساب الإمبراطور يحمل نفسه إليه، ولذلك يقضي على أغبياء كل مدينة أن يقوموا بما يقتضي من النفقات للاحتفال بالألعاب وإحياء الحمامات وتبليط الشوارع وبناء الجنور والمجاري والساحات قاما بذلك عدة تزيد عن قريني وانفقوا عن سعة شهدها بذلك المسالك المبنية في أرض المملكة وألف من المكتوبات على الأحجار.

المستعمرات - تقيم رومية في البلاد التي تشكك في إخضاعها لها جيشا صغيرة تسكنها فيها فيبني مدينة تكون حصنها حصنها ويبعث إليه بأنه من الوطنيين الرومانيين يكونون جنديا وفلاحين في أن واحد ويجزئ الجهية الأرضية المجاورة إلى حصص متساوية توزعها عليهم، وهذا ما يسموه مستعمرة.

وتبقى المستعمرون وطنين رومانيين ويخضعون لجميع ما تأمر به رومية وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية التي كانت كثيرا ما تشق
عصا الطاعة، حتى إنها لتحارب أثينة نفسها بأن تكون أبدا ابنة خاضعة لأمها فليس المستعمرة إلا حامية رومانية مرتبطة بين الأعداء، وكانت اثكر هذه المحطات العسكرية في إيطاليا، ولكن مكان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فارون وليون وأزر فإنها كانت مستعمرات رومانية.

جيش التخوم - لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني، لأن صناعة لا يرون الانتقاد على الحكومة، فلم يكن للمملكة أعداء إلا على الحدود، وكان الأجانب أبدا على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء نهر الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال إفريقيا وراء الفترات جيوش الملكة الفارسية.

ولذا كان من اللازم للازمة إقامة جنود يكون على قدم الاستعداد على تلحك التخوم المعرضة أبدا للتهديد بدرك أغسطس ذلك فأنشأ جيشًا دائمًا، فلم يكن جنود الإمبراطورية من أصحاب الأراضي يخضدون من حقوقهم ليخدموا في الجندية بعض حملات، بل كانوا أتاسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليخدموا فيها ست عشرة سنة، أو عشرين سنة، وربما جددوا هذه المدة.

وعلى هذا سكان بالإمبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من المواطنين، أي: 180 ألفا وهم بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو 400 ألف رجل على التقرب، وكان هذا الجيش قليلا بالنسبة لعظم تلحك المملكة.

ولكن ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يشبه قلعة يجيء الباعة ينزلون بقربيها فلا يعثر المعسكر أن يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند بإزاء العدو فيحفظهم شجاعتهم ودريتهم مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زمن مع البرابرة المتوحشين ولاسيما على ضفاف الرين والطونة في بلاد ندية فاحلة مغشاة بالغابات والمستنقعات، وربما بدل الجند الروماني في هذه الحروب التي لا نتيجة لها من الشجاعة والشهامة أكثر مما بدل قدماء اليونان في فتح العالم.

٢١٥
الأدب - لم يكن الرومان بالطبع أمة فنون، وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقترنين فيها أثر اليونان فمن يونان آخذاً نموذجاً من فاجعاتهم وقصصهم الهزيلة وملاحمهم وأناشيدهم وأشعارهم الفلسفية والعامة والتاريخية واقتصر بعضهم على ترجمة الأصل اليوناني (كما فعل هوراس في أناشيده) و وكلهم اقتبسوا من اليونان أفكارهم ومناحيمهم ومزجوا عندما احتذوا مثالوا بما عرف فيهم من صفات الصبر والشجاعة، حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرابي في أسلوبها.

وافتق الرومان على أن العهد الذي أزهرت فيه الأدب اللاتينية حقيقة كانت الخمسين سنة التي قضاها أغسطس في الحكومة فهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس وأوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف، ولكن عصر أغسطس (حكمه يسمونه قد سبقة ولحقه قرنان ربما عادلاً في إخراج النوابغ فضي الجيل الأول (القرن الأول قبل المسيح) ظهر الشاعر الغريب المدحش لوكرس وقيصر رانير ناتر وشيشرون أخطب خطيب الجيل اللاحق كتب سينيك ولوصين وناسبت ويلين وجوفينال ما كتبوا.

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم إيطاليون وكتابون من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيبت ليف من بادو (في غاليا) وسينيكا إسباني، وكان الفضحة هي الفن الوطني حقاً في رومية، فكان الرومان كطالبان وهمنا يحبون الكلام علينا، وكان الخطباء يأتون إلى ساحات الاجتماع، حيث يلتئم مجالس الأمة في أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكتبون من الحركات وسط دوي القوم وتشيرون أعظم أولئك الخطباء، وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه.

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس فقدت الفضحة لقلة المادة.

اللغة اللاتينية - انفتحت آداب اللغة اللاتينية بفتحات رومية فنقلها الرومان مع لفتهم إلى رعاياها المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب إيطاليا.

٢١٦
وغاليا وإسبانيا وافريقية وضفاف الطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية، ولا لم يكن لهم آداب وطبيعة خاصة قابضوا آداب حاكمهم فتكلمو أهل الإمبراطورية إذ ذلك بلغة الشعبي الكبير القديمين فظل الشرق يتكلمو باليونانية وأخذ الغرب بأجمعه يتكلموا باللغة اللاتينية، فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للإليين وكبار الرجال فقط، كما هي الإنجليزية لعهدنا في الهند، بل إن الأمم نفسها تتلكم بها ما أمكن من الصحة بحيث إن القوم أوربا بعد انقضاء ثمانية عشر قرنا ما برحوا يتكلمون إلى اليوم بخمس لغات مشتقة من اللاتينية، وهي الإيطالية والإسبانية والبرتغالية والفرنسية والرومانية.

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة أنحاء الغرب فما كانت تدرس في القرن الرابع مدارس بوردو وأوتوس غير شعراء اللاتين وخطبائهم وظل الأساقفة والقسيسون بعد هجوم البربرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة أيضا إلى شعوب إنجلترا وألمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية فباللاتينية كتب في القرون الوسطى السجلات والعقود والتراث واليدار والكتاب العلمية، ويدارون والإدار والدار لا تقرأ ولا تنسخ، ولا تعتبر غير الكتب اللاتينية، وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين أمثال فرجل وهوراس ويشرون ويلين لجون، وما كانت النهضة الأوروبية إلا عبارة عن إحياء ما، فقد من أثار أقدم كتب اللاتين وأصبح النسج على منواعهم أكثر من ذي قبل فما أن الرومان أنشئوا لأنفسهم آدابا خاصة لتقليدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الأوربين ينسجون على مثال كتب اللاتين ويت شعري هل عاد ذلك بخير أم بشر، ومن يجري أن يفوه بهذله فهما لا جدال فيه إذ أنغانتنا الرومانية الأصل هي بنات اللاتينية، وإن أدابنا طافحة بالأفكار والمنازع الأدبية الرومانية، وإن العالم العربي بأسره مصبوب بصبغة الآداب اللاتينية.

الصناعات - عشر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية أبدتها الأيام من عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها
التقليد لها ولكنها أقل من الأصل لطفا وذوقا، ومن أغرب الأنواعات البارزة
النقش البارزة والصور النصفية.
فالنقش البارزة كانت تُذِّدان بها المصانع (سكونابد والعمد وأقواس النصر)
والقبور والنقاشيس تمثل بها أحسن تمثيل مشاهدة حقائقية وحفلات وندورا
وحرويا ومأتام وكل ما يحيطنا علما بالحياة السالفة. وأن النقوش البارزة التي
جُعلت حول أعمدة تراجع ومارك أوريل لتجعلنا صائحا نشاهد مشاهد حروبيها
العظيمة ويتلك الرسوم تمثل لحك الجنود تقاتل البرابرة وبحاصرهم قلاعهم
ويأتون بالأسرى؛ كما يشاهد النذر العام والإمبراطور يخطب شعبه.
والصور النصفية هي في الأكشتر صور الإمبراطورة ونسائها وأولادهم وإذ
كثرت تماثيلهم في أطراف المملكة بأسرها عشر على كثير منها، حتى إن عند
جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الإمبراطورية، وهي صور
حقيقية، وربما كانت شبيهة بأصحابها لكل الشبه إذ ترى فيها سيماء كل
إمبراطور واضحة، أي: وضوح وكثيرة ما تكون بشعة مستمرة بحيث لم يحاول
النقاشون أن يزيدوا ويحققوا من سحنات المصورين.
فعلم البناء هو الفن الروماني الحقيقي؛ لأنه يقوم بحاجة عملية وفيه أيضا
قد الرومان اليونان باتخاذ الأروقة والعمد، ولكن سكانت لهم طريقة لا يستعملها
اليونان، وهي العقود (الأقربية)، أي: فن وضع الأحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضا
على شكل قوس مربع فبالعقود تسنى لهم أن ينشئوا أبنية أوسع وأكثر تفنا من
أبيتنا اليونان.
المصانع - إليهك أهم أنواع المصانع الرومانية منها "المعبد"، وهو كثيرا ما
يشبه المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون أحيانا أكشتر سعة تعلوه قبة، ومن
هذا النوع معبد البانتيون الذي بني في روما على عهد أغسطس ومنها "الكنيسة
كبرى"، وهي بناء مستطيل طويل يعلوه سقف وتحيط به أروقة وفيها يتضمر
الحاكم يحيط به نوابه وفيها يجتمع التجار ليجتادلوه. ثم البضائع

218
فالكنيسة هي "بورصة" ومحكمة معا، وكون الكنيسة الكبرى أقيمت بعد ذلك مجامع المسيحيين وظلت الكنيسة النصرانية قرونا حافظة تسمى الكنيسة الرومانية وأشغالها.

ومنها المراوح "الرايس" ذات الدرجات "انغنيات" والملعاب، وهي مؤلفة من عدة طبقات وأروقة وسعت بعضها فوق بعض تحيط بالملعاب وشكل طبقة من هذه الأروقة يعلوها عدة صفوف من الدرجات، وذلكل مثل الكوليرة في رومية وميديان أزر ونفي ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يفاوض مروره مركبة منه، وهو مزين بمعد ومزخرف بنقوش صخرية، ومن هذا النوع قوس النصر في أورانج ومنها الجسر، وهو يبنى على صفح من الحنایا وسط النهر ومنها المجار التي تجلب فيها المياه حكثيرا ما تكون على شكل جسر تنتمر فوق دار، ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة مكارد.

وقد كان الإمبراطور أغسطس يفاخر بأنه افتتح في رومية زهاء ثمانين معبدا، قال: "نجد وجدت مدينة من القربمده وها أذرك مدينة في الرخام ومعل أحلاه صلتهم على زخرفة رومية، وقد ازدحمت المصانع حوالي الفرومو الميدان) خاصة وأصبح الكانتول مع معبده المعروف بمعبد المشتري أشبة شيء بالأحوروب في إثينا، وذا ذلك الحي أيضا أنشئوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قبص وبساحة أغسطس وساحة برفنا وساحة تراجان، وهي أزهار.

استخدم الرومان (24) لا أبنيتهم الحجارة التي وقعت تحت أيديهم في البلاد يرغبونها بعلاط، متين صنع بالمنس، والرمل بحيث أتت عليه، وفي ثمانينية سنة، وهو لم يتحت بما أصابه من الرطوبة، ولا تقريبا مصانع الرومان تلمع البهجة التي تتجلى على المصانع اليونانية بل إنها متصلة معينة راسخة القواعد شأن الفتح الروماني ومازالت أرض البلاد إلى يومنا هذا طافية بأنقاض تلمع

(24) لا ينبغي أن يغريب عن الأذهان أن الصناعات الرومانية هي كالآداب الرومانية.
المصانع، ولم يبرح الباحثون يعرفون، حتى بـ قفار إفريقية والدهشة أخذتهم على مصانع رومانية محصودة سالما، وكما أريد جلب الماء إلى تونس لم يعملوا إلا أن أصلحوا مجرى النهر الذي أنشئ في العهد الروماني.

التجارة أصبحت رومية أعظم مدينة في العالم (ويذهبون إلى أنه جاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة، ولقد مضت المصارع القديمة والتجار تنقل في الماء، أي: في البحر، وفي الأنهار أكثر من الطرق التي يستعرضها عجلات ثقيلة تنقل تلبكة التجارة فكانت المتاجرة تنقل إلى رومية من طريق البحر خاصة فتقلها السفن إلى مرفأ أوستي عند مصب نهر التيبور ومنها توسق إلى قوارب تصعد النهر، حتى تصل إلى سفح جبل أفنتين وتنزل شحنها في مرفأً رومية، وكانت البضائع الخاصة ببئرية إيطالية تضرغ في مرفأ فوزول خليج نابولي، ومن هناك يرسلونها في الطرق، وإذا تيسر لهم يرسلونها في قوارب تسير على الشاطئ، أو تجري صعدا في الأنهار تجرها الخيول.

وكانت رومية وإيطاليا تصنفان أكبر مما تنتجان فتجارةهما خاصة تجارة واردات، وكان تجار من الطليان ينزلون في أهم مراقب العالم يجمعون فيها حاصلات كله بلدة لبيغوا بها إلى رومية وفانت تجد لكل بلد مرصدًا للتجارة مثل بلزمة في وقطرة في إفريقية والإسكندرية في مصر، ومن هذه البلاد كانت تجلب إلى رومية الزيت والزيت الفاسحة والبقول الناشئة، ومن المراكز التجارية أصفية في آسية الصغرى وأنطاكية في سوريا ومنها كانوا يرسلون الأسفور والأقمغة والحشنة التي تخرجها البلاد الداخلية، ومن هذه المراكز أولجية على شاطئ البحر الأسود وعليها كانت تأتي حزنة روسيا ومنها قادش في إسبانيا حكانت ترسل إلى رومية فضية المنتجم وأوبرا بيتنيكيا (في الأندلس)، ومن هذه المراكز نارويون وأرؤل في غاليا حكانت يجلب إليها في نهر الرود جلود البلاد الغال و hazırlابها (أموا مارسيليا). فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فيرجوس أصبح مينا حربية).
وكان الرومانيون يجلبون أيضاً بضائع من خارج فيبعث إليهم الشرق بأدوات الزينة والرفاهية كالمطرور والأبازر (الفلفل وجوز الطيب والزنبجيل) والنتيلة والعلاج واللحجور لم تنشأ، بيد صناع من الرومان بل، بيد أناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد، ولم يكن ثبت روماني إلا الرجل الذي يعملون له أعمالهم الكريم كأقمشة الصوف والحصير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسهما القرود) فكانت تجلب إلى الإسكندرية من طريق البحر الأحمر، أو في النيل وتأتي إلى أنطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام (مع القوافل) وإلى أولبيا من طريق بلاد فارس وبحر الجزر، وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تذهبها بد الصناعة مثل عنبر البلطيق وقصدير إنكلترا، وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والأدبيم والشمع وشعور النساء والعبيد.

أغسطس - مات أغسطس، ولم يخلف وريثاً يرثه مباشرة فخلفه ابن زوجته تيبر، وهو الذي تبناه ومضى نصف قرن والإمبراطور أبداً رجل من أسرة أغسطس وأدرك الرومان منذ ذلك فساد هذه الطريقة.

فكان للإمبراطور مدة حياته سلطة متناهية لا حد لها فهو الحاكم على هواه من الأشخاص والأموال يحكم بالقتل ويصادير الأموال ويهلك من يريد إهلاكه بدون رقبي لا يقف أمام إرادته حاجز من نظام ولا قانون، حتى قال المشرعون الرومان: إن لأمر الإمبراطور قوة القانون وبنذك عرفت رومية الاستبداد الذي لا نهاية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصري سور ضيق من مدينة، بل مكان عظيم كما كملك فكما وكان في يونان ظالمون أهل حشمة ووقار مكان رومية إمبراطرة حكماء محتشمون، ولكن قل هل هؤلاء من لم يستهويهم دوار السلطة عندما يرون أنهم بلغوا أرقي رتبة يصل إليها إنسان، ومن إمبراطورة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بمثلها إلا لترسل اسماؤهم كحال الأمثال فضرب مثل بينيرون وظلمه ويكلد خليفة تيبر وسخافته وكاليخولا وجنونه المطبق وتقليده حصابه رتبة قنصل وتطاله إلى أن
يعد مكان الأرباب، فكان الإمبراطرة يضطهدون الأشراف خاصة لِيَحولوهم عن
سيد المكائد ويضغطون على الأغنياء ليصادروا أموالهم.
وكان هذه السلطة المتناهية سببًا من السببات، فهي تتمثل بكلها في شخص
الإمبراطور وحده يبحث فيما أتاه من الأعمال، وكان القوم عازفين بأن
العالم لا يستغني عن سيد، ولكن ليس في شريعة، ولا عادة ما يستدل به على
ماهية ذلك السيد، فكان من حق مجلس الشيوخ وحده أن يعين الإمبراطور ولكنه
يختار أبدا بالقوة من اختياره الإمبراطور السابق، أو رضي عنه الجنرال، ولقد
حرص قصر الإمبراطوري بينا كانوا يبحثون فيه عقيب وفاة الإمبراطور
كالجولا على رجل اختبا وراء الفرش، وهو تردد فرائصه فرأوا أنه من أنسابه
كالجولا فعينه الحرس إمبراطوراً، وكان هو الإمبراطور كعود.
الحرس الإمبراطوري - كان يحظر زمن الجمهورية على القائد أن يأتي في
جيشه إلى المدينة فأصبح الإمبراطور رئيس الجيوش فكلاه ولا هي رومية حرس
عسكري مؤلف من نحو عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تيبر في تكية حصينة
بالقرب من المدينة وينتخب هذا الحرس من قدماء الأجناد وتدرب عليه الرواتب
الكثيرة وتتوالى عليه الإحساست وبؤلاء الجنود يعتز الإمبراطور فلا يخف
بائقة تصبب من الناقمين عليه من أهل رومية، بيد أن الخطر كان يأتي من
الحرس نفسه إذ كانت القوة معهم اعتقدوا بأنه يحل لهم أن يأتوا بكل شيء،
وكان زعيمهم أوسس سلطة من الإمبراطور.
الثورات والحروب - استشاط أشراف الروم غضبًا مما أتاه نيرون من
الفظائع وضرب الجنون فقادًا سخطهم وبعض الوالدة إلى الانقراض وخلع
القيادة فشعر إذ ذلك مجلس الشيوخ بقوة يستند إليها فأعلن أن نيينون عدو عام
فلم يسعه إلا الهرب، ثم الانتحار.
وبعد موتهم (182) وقع اختيار مجلس الشيوخ على ولي إسبانيا المدعو غالبا
فعينوه إمبراطورًا، ولكن الحرس الإمبراطوري لم يره سكريماً جوادًا فذبحه ونصب

222
مكانه أحد ندماء نبرون واسمه آتون، ثم إن الجنود المرابطة يغتخوم جرمانيا أرادت أن تنصب بنفسها إمبراطورا فدخلت فرق نهر الرين إلى إيطاليا فصادفوا الحرس الإمبراطوري بالقرب من ميكريون فقتلا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أحدث بطرية الليل، ثم نصبوا الإمبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ، وهذا القائد فيتليوس.

ويذكر مدناتس ان اختبر جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه (91) وهكذا نصبت رومية ثلاثة إمبراطرة في سنتين وانزل الجناد ثلاثة إمبراطرة عن عروشهم، وخلال هذه الحروب نهب جنود جرمانيا مدينة وحرق معبد الكانتول.

الفلافيون نصب فسباسين إمبراطورا فوطد أركان السلم، وكان إيطاليا، وهو حفيد أحد الفلافيين حافظ على عادات له في الاقتصاد والسنداء في عيشه فرأى القسم الأعظم من مجلس الشيوخ قد تمرّض شملهم والأسرات القديمة قد بدت، أو هلكت فاستعاض عنها بأسرات إيطاليا، أو من أهل الولايات، ولا تجد مجلس الشيوخ على هذه الصورة حكفا عن إبداء العداء للإمبراطور فخلف فسباسين أولا (69) ابنه تينوس الذي مات للحال، ثم ابنه دومنسين (81) الذي سكان قاسيا غدا من مثل ظلمة اليونان.

الأنطونيون اشتهر الخمسة الإمبراطرة الآتون، وهم نرفو وتراجان وأدريان وانطونيون وماري أوبريل (68 – 180) بالحشمة والحكمة ويدعونهم الأنطونيون (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة إلا الآخرين منهم)، ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية، بل مكان تراجان وأدرين إسبانيين وولد انطونيون في نيم، ولم يكونوا أراء من أسرات إمبراطورية خلقت لتولى رقاب الناس منذ ولادتها، وقد تولى الحكم أربعة إمبراطرة، وهم عقييمون، ولم يتسن نقل الحكم بالوراثة، ومكان الإمبراطور اختيار لكل مرة من قواده ولواته أقدر رجل يخلفه ويتبعه، وباختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الإمبراطورية إلا أناس محكون

223
ويقفون أباؤهم في مركزهم بدون قال وقيل.

ولقد كان عصر الأنطونيين اهدا العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنشأ بعيدة عن تخوم الملكة، ولم يحدث في الداخلية سفم عسكري بيتانا، ولا مظلمة، ولا أحكام جائرة فكيف الأنطونيون جماح الجند بتدريبهم على النظام ونظموا المحاكم ومجلس الإمبراطورية، وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستمضاوى عن حروهم من العبيد الذين طالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الأثني عشر قيصرًا بانانس من الموظفين النظاميين اختاروه من أشراف الطبقة الثانية ( يعني الفرسان)، وما عاد الإمبراطور ظالما يخدمه جند، بل مكان حقا المحاكم الأول في الجمهورية لا يستعمل سلطته إلا ما فيه نفع شعبه.

حارب الأنطونيون حروبا كثيرة ليدفعوا الشعوب المحاربة التي كانت تحاول مهاجمة الإمبراطور من ناحيتين فحاربوا في أسفل نهر الطونة الداسين، وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات الغابات التي نسميتها الآن ترانسلفانيا؛ كما حاربوا على الفأتين حكومة البارتيين العسكرية الكبيرة التي كانت جعلت المدنية عاصمتها قرب بابل، وبدأت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس.

ولقد حمل تراجان على الداسين عدة حملات واجتاز الطونة وريح في الثلاثة مواقع وعستولي على عاصمة ملكة الداسين (101-102) وفضل عليهم بالصلح، ولم عاد الداسين الحرب عمد تراجان أن يأتي عليهم فانشأ على نهر الطونة جسرًا من حجر وهاجم واجتازهم وسرعانًا فضمتها إلى المملكة الرومانية (109) وانزل فيها طوارئ ومستعمرات انشئها فيها مدنا وأصبحت ولاية داسيا بدلا رومانية تكلم أهلها باللاتينية وتخلقوا بالأخلاق الرومانية.

وأما نجلت الجيوش الرومانية في أواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من غارات بربرة الصقالبة، وقد أطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمال الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من
اللاتينية كالأوكرانية والإسبانية.

حارب تراجان البارزين أيضا فجاز الفرس بعتر المقام واستولى على "المداين"، وهي عاصمتهم وتوغل فيه أحشاء البلاد إلى فارس ودخل إلى سوس وأخذ منها عرش ملك فارس المومول من الذهب الأصمع وأنشأ أسطولا على دجلة ونزل في النهر، حتى مصم وأبحر في خليج فارس واستخلص من البارزين البلاد الواقعة بين بلاد الفرس ودجلة وجعلها ولايتين رومانيتين، بيد أن هاتين الولايتين انتقضت بعد سفر الجيش الروماني.

أما الأنطونيين الأخران، وهم انطونيوس ومارك أوريل، فقد ضربوا الإمبراطورية بفضائلهما، وكما كلاهما يعيش ببساطة، كهما يعيش الأفراد على غناهم دون أن يكون لهما ما يشبه قصرا أو سرايا، وأن شعر بأنه صلى الله عليه وسلم وسيلة. ولقد لقب مارك أوريل على العرش بالحكم، ومكان حكم البلاد مسؤولعابعامل الواجب على غير إرادة ومع أنه كان يؤثر على عدم حياة في الحكم وقيادة الجيش ونحوه، لترى فيما خذله في تدبره البيوتية من أفكاره صورة الفيلسوف الروائي الصالح الزاهد العازف عن العالم، وهو على جانب من اللفظ والحلم، قال: "أحسن الأساليب في الإنتقام من الأشقياء هو أن لا يعمل المرء عملهم والأرباب أنفسهم يعطفون على الأشقياء فلحنا أن تقتي بأرباب".

ولقد سكن مارك أوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل وبحضر جلساته بدون انتقاع، ولقد وقف فيه وجه كثير من الشعوب البربرية الجرمانية يريد غزائهم ويدفع عاداتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الجليب ودخل إلى شمال إيطاليا واوقفت له أن يناله جيشا فجند عبيدا وبرابرة (173) فانسحب الجرمانيون، ولكن بينما سكن مارك أوريل مشغولا في سوريا بقتال أحد القواد المتمردين عادوا على أعقابهم وهاجموا الإمبراطورية وما من مارك أوريل على ضفاف الطونة (180).
ولم توقف الفتح (بعد تراجان) سكنت الإمبراطوريه نمطا على طول جنوبي أوريا سكناها، وعلى طول السهول من إفريقيا والغرب من آسيا، ولا يقت في سبيلها إلا الحدود الطبيعيه فمن الغرب البحر المحيط، ومن الشمال جبال إيكوسيكا ونهر الرين والطونة وقافةسيا، ومن الشرق بوادي الفرات وبلاد العرب ومن الجنوب شلالات النيل والصغراء الكبيرة فكانت الإمبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتكون منها اليوم محل من إنجلترا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وباكيريا والنمسا والبحر والبلاد اليونانية في أوريا ومراشش والجزائر وتونس ومصر وسوريا وفلسطين والأناضول، أي: إنها ضعفا مملكة الإسكندر.

السلام الروماني- أبطل الرومان الحروب الداخلية بلادهم بإخضاع جميع الشعوب لسلطتهم فتوطد السلام الروماني الذي وصفه أحد كتاب اليونان بما يأتي "كل فرد أن يذهب حيث شاء فالمراقبة غاصة بالسفن والجبال أمينة على ساكنيها أمن المدن تساهليها، ولم يبق داع للخوف، وقد طرحت الأرض سلاحها الحديدي القديم وتجلت في ثياب الأعياد، وما أنتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بأن الأرض ملك للجميع.

فأصبح الناس في الغرب للمرة الأولى في حل من إنشاء بيوتهم ورزع حقوقهم والاستمتاع بأمواتهم وأوقاتهم دون أن يكونوا في حالة تجارة ضعيفةレンديتبتهم باستثناها منهم، أو أن يذهبوا، أو يقذوا في الأسرى والعبيد، وهذا أمان كلمه نقدره قدره إذ قد تمتعنا به كننا منذ الصغر، ولكن الظاهرة أنه مكان بعد من حسنات الأمور النادرة عند القدماء.

سهلت الرحلة جلب الإمبراطورية المسالمة وأنشأ الرومان طرقا في كل مكان مع محطات ومواقف وصنعوا مصانع (خراطين) لطرق الملكة، ومكان كثير من أرباب الصناعات والتجار يرحلون من طرف إلى طرف آخر من الملكة ويرحل علماء البيان والفلسفة في البلاد الإمبراطورية ذاهبين من مملكة إلى أخرى، وهم يلقون المحاضرات.

٢٤٦
وكان ينزل في كل ولاية أناس من أهل الولايات القاصية، فقد دلت الكتابات على الأحرار أنه كان في إسبانيا أساتذة ومصصيون ونقاشون من اليونان، وأُغلَقا صياغة وصناع أسياويون.

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم وأدانيهم وهمزجونها بما يرونه عند الأمم التي ينزلون عليها، ثم يعتادون بالتدريب على التكلم باللغة الرومانية، وما انبلج فجر القرن الثالث عشر، حتى عدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة؛ كما أصبحت اليونانية لغة الشرق منذ قام خلفاء الإسكندر فنشأت رومية؛ كما نشأت الإسكندرية حضارة مشتركة سموها الحضارة الرومانية، ولم تكن كذلك إلا باسمها ولغتها واجتمعت حضارة العالم القديم في قبضة الإمبراطور.

الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيرويون - بدأت الفتن الأهلية بعد عهد الإمبراطرة الأندلوبين فذبح الحرس الإمبراطوري سنة 193 الإمبراطور برينناكوس وأراد أن يضعوا المملكة في المزاد فتقدم طالبان يريدان ابتنائها أحدهما سوليسين تقدم على أن يعطي بكل جندي خمسة آلاف فرنك والثاني ديديوس رفع ما يدفعه لكل جندي إلى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس إلى مجلس الشيوخ وعينوه إمبراطورا، ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فنهباه.

وبعدها خلف ذلك بوبع بالملكة ثلاثة قواد ثلاثة جيوش كبيرة، وهم قائد برتانيا وقائد إيلبريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المنافين إلى رومية فوصلت فرق إيلبريا قبل غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير إمبراطورا على رومية فنشبت عندئذ حربان سالت فيما الدماء أنهما إحداهما لدافعة جيش سوريا الأخرى لدافعة جيش برتانيا وظلت لسيفر الكلمة النافذة مدة سنتين، وهو الذي أوجز سياسته في كلمتين فقال: "أيها الأبناء ارضوا الجند"
واهزة بمن بقي.

الفوضى والغارة - مضى قرن ولم يكن قاعدة ّ في الحكومة غير إرادة الجند، وكان في الإمبراطورية ما خلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على نهر النيل والطونة والشرق وإنكلترا وكل جيش يود أن يجعل قائده إمبراطورا والمنافسون يقتاتلون، حتى كتبت الغابة لواحد فحكم بضع سنين، ثم قتل (٦٢٩)؛ وإذا أسعد الحظ بنقل السلطة إلى ابنه من بعده فالجيش يتمرد على ابنه ذاته وتعود نار الحرب تستمر.

وإذا ذلك العهد نشأ إمبراطور غزائب ّ أطوارهم، فكان إيليوجابال مكاهنة سوريا لبس ثياب امرأة وترك أمه تألف مجلس شيوخ من النساء (مجلس شيوخ وعجائز)، ومنهم الإمبراطور ماقسيمان، وهو جندى بالعرض وجبار قاس وسفاك كان يأكل على ما يقال ٣٠ لترة من اللحم ويشرب عشرين لترة من الخمر ووجه زمن على هذه الملكة والذين يدعون الإمبراطورية ثلاثون إمبراطورا انقطع كل منهم إلى ناحية من الملكة (٧٧٨ - ٣٠٠) وسمى نفسه إمبراطورا فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً.

وبينا جند البلاد مشغولون بقتال بعضهم ببعض كسائر البرابرة أن التخوم خالية من الحامية فيجتازون أرض الإمبراطورية ويخرونها، وكان إقليم غالياً خصوصاً هو الذي يقاسي الأمريـين من هذه الغارات ّ القرن الثالث فيجتازها عصابات من المحاربين الجرمان مكالأتمان والفرننك وإذ لم يجدوا فيها مدناً حصينة، ولا جيوشا نهبوا المدن وحرقوها وأخذوا ما شاءوا من أهلها أسرى معهم وذبحوا الباقين وقرصان السكسون يخرون شواطئ بحر المانش.

مكان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن خرافات فكنّ تجد في ٣٧ مكان أنسا يعبدو أرباب المشرق مثل الرب إيزيس وأوزوريس والربية الكبرى، ولكن

(٦٢٩) قدر أن عدد الإمبراطرة من القرن الأول إلى الثالث ٤٠٠ مات منهم ٢٩ قتلاً
ميترا، وهو رب فارسي رب عام أُكثر من الأرباب قاطبة لِلمبجور وميترا
الشمس، وهي مصورة في المصانع التي أنشئت إكراما لها، وهي تصرع ثورا، وقد
كتب عليه ما يأتي لِلمشمس التي تُغلب للرب ميترا، وقد عثر عليه مثل هذه
الرسوم في جميع أجزاء الإمبراطورية وعباد الشمس ملتبسة مبهمة فهي أحيانا
بالشعائر النصرانية فيكون فيها عمام وولائم مقدسة ومسحة وتوية وشموخ
ولاجل أن يقبل المرء في جملة أهله هذه العبادة يجب القيام بأعمال من صوم
ومحن مخفية.

وقد كان دين ميترا في أواخر القرن الثالث الدين الرسمي لِلملكية ودان
الإمبراطورية والجيش بهذا الرب الكهاب وله هذا الرب في كل مكان معابد على
شكل مفاوت ذات مذابح ونقوش بارزة، وكان متيكز اضافة من معبد فيخيم مسجده
الإمبراطوري أورليان، وكان من أشد الحاجات الناسية لِذاك العهد البقاء مع
الأرباب على صلح ووتمام فاختروا حفلات تزكية النفس فيليبس المؤمن ثوب
أبيض مزين بالذهب وي кудаً فيسفنها على رأسه بلوح من الخشب
مثقوب ويأتيون بثور يقفونه على هذا اللوح فينحره الكاهن فيجري دمه من الثقب
على أثواب المؤمن ووجهه وشعره، وكانوا يعتقدون أن هذا التعمد بالدم يظهر
المروع من السينات عقافة، ومن يجري له يكون ملكوم ولدته آمه لِحياة جديدة
ويخرج من الحفرة بشع الصورة ولكنه سعيدا مغبوطا.

اختلاط الأديان- أخذت الأديان وكلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز
النصرانية على غيرها بالاختلاف فتعبد الشمس تحت أسماء منوعة (وهي
الترينة وهاروس وميل وبلبكلابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوبه بعضها
عن بعض وكثيرا ما تجري على مثال العبادات النصرانية، ومن أعظم الأمثلة في
هذا الاختلاط الدينى ما كان يتوفر عليه إسكندر سيفير الإمبراطور المتحشم
الطيب ذو الذمة، فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسن للإنسانية، وهم
إبراهيم وأوروفيه وسوس وأبولونيوس دي تيان.
ديوكلس - بعد مرور زمن في الحروب الأهلية قام إمبراطرة تمكنا من وضع حد للشعب، وسكتوا قسا عاملين جندا ترقوا في درجات الجنودية، حتى أصبحوا زعماء وقوادا، ثم صاروا إمبراطورا ويكون منشأ معظم أول فئة الإمبراطرة من ولايات نصف متولة كهوليات الطونة وإيليريا وبعضهم كانوا يُطلق عليهم رعاة أو مزارعين، وسكتوا بسجاحا أخلاقهم على مثال قادة قوات الرومان، ولم يطلب وفود ملكة الفرس أن يروا الإمبراطور مكرويوس رأوه شبحا أبع السماة صوف وشعطع عن الأرض ويتناول حمصا وشبح خنزير، وسكتت هذه سيرة مكرويوس دانثاتوس قبل خمسة قرون.

ولقد كان هذا الإمبراطرة أشداء على الجنرال، فأحدثوا لجيش نمزال، وليّ البلاد أماما ولكنه نشأ بحكم الضرورة شوة أضرم نيرانها الإمبراطور ديوكالان الذي توج من الجنرال إلى تولى مقام الإمبراطورية (385) وتنازل عن الملك بعد أن نظم شؤون الإمبراطورية.

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي شؤون الحكم لف تلحك البلاد المتسمة والدفاع عنها فاتخذ حك إمبراطور ليكفا، ما اتخذ ديوكلس من أشجوته وأصحابه اثنين أو ثلاثة يوزعونه وعهد إلى كل واحد النظر في جزء من مملكته، ويبعده العلماء أن يدعو باسم أمير، ويحدث أحيانا أن يتولى إمبراطور مكافئان يدعى كلاهما باسم أغسطس ومتى هلحك أحدهما يجعله أحد القياصرة، أما الجيوش فلا تستطيع أن تنصب إمبراطرة.

واتسعت الولايات، أي اتساع، حتى أدى ذلك إلى تفكيكها، فكان عددها 48 ولاية في القرن الثاني فأصبحت زهاء 90 ولاية (وقد تغلب دائما سبع عشرة ولاية بعد أن كانت سابقا) وأمسى الحرس الإمبراطوري رومية خطرا على البلاد فاستعمل الإمبراطور ديوكالس من بهم فرضتين مما ساهم فرقتين في العصر الرمزي.
المدينة الرومانية على عهد الإمبراطورية

مدينة بومبي - ذكر بليسين الفتي بكتاب له قصة ثوران بركان فروف (سنة 79) الذي هلك فيه حاله بليسين القديم، وكان المعلوم أن هذا البركان أخرب مدتين صغيرتين برهتين، وهما هركالانوم وبومبي، ولكن لم يعرف أحد موقعاً واصطفت في القرن الثامن عشر بالعرض مدتين هركالانوم مغشاة بطبيعة من الحمم، ثم كشفت مدينة بومبي مدفونة تحت طبقة من الرماد وحجر الكذان وبدأت بالبحث في هركالانوم فعثر فيها على تماثيل صغيرة جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء إلى حل بعضها، ولكن حالت صعوبة العمل في الحمم فوقف الباحثون عن التوفر على ما كانوا يدعون به وآثروا أن يبحثوا في بومبي، حيث يسهل نزع الرماد، وقد مضى القرن التاسع عشر بأجمعه، والهموم متوفرة على نزع الرماد عن المدينة، حتى كادت تظهر بأسها الآن، كم كانت.

ظهرت بومبي للأنظر على ما كانت عليه قديماً، وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد وفر السكان من كثير من البلاط عند وقوع هذا الإجلاء، ثم عادوا يبكتون عن أهم الأعلاف وأنفس النفاس، وما برجت الحيطان قائمة، ولم تتح منها الإعلانات المكتوبة بالحمرة، بل مازلت ترى فيها الخطوط التي خطها المارة بالفحم وسلمت الشوارع وبلاطها المحدود بسيير المركبات، وقد وجدا أيضاً على الرماد ما تربته جثث الذين هلكوا اختناقاً من الرسوم، وقد توصلوا بأن جعلوا جنساً مالياً تتحكم الرسوم وأخرجوها فكانوا قوابل لحلل الأجنيد الميتة.

العية الرومانية - تصور بومبي للفكر كيف كانت العبية في مدينة رومانية صغيرة، فقد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة إلى زوايا قائمة ومبلطة ببطية محكم الأجزاء ولها أرصفة إلا أن الشارع الأعظم سكان مهوجاً وبلغ من ضيقه أن سكان يتعذر على مركبتين أن تلتقيا على وسط.
ولم يكن للمساكين غير نوافذ صغيرة وقليلة تطل على الشارع، بل كانت للغرفة مكانًا نوافذ من وسط الدور يدخل إليها النور، ولهذا عرفت أن الشوارع كانت محاطة بحيتان ما عدا الشوارع الرئيسية، وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوقة والباعة.

وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومحاككم وسوق مصطفف ورواق ذو عمود وفيه مكان يجتمع أهل البطالية وفيها داران للتمثيل حفر القسم الأعظم من الكبار منهما.

祖先، وهو يسمع خمسة آلاف متفرج والصغير يسمع أفلا وخمسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة "الفيتامير" تقام فيه الألعاب ويتشارك فيه المصارعون وفيه ثلاثة حمامات عامة (على الأقل) لأصغرهم، وهو الذي حفظ أكثر من غيره مقصورة للاستحمام وأخرى للحمام السخن وثلاثة للبارد وصوان (محل الشيب)، وليس في الدور غير أحونة ومقاعد وصناديق وسرير وشمعدات وعشر من المصابيح إذ لم يكن القدماء يكرون من الأثاث، أما الغرف ففاحيرة ويلعبون الزينة بحلها في قاعة الاستقبال الكبرى إلا أن مصابيح أخرى أخرى أغنية السكان مبلطة بالفسيفساء والجدران مفخاة بصور جميلة فيها مشاهد أساطير وتزينات من أصيلاً وأزهار، أما الحوانيت فحالتها تشعر بضعف التجارة ولحوانيت باعة المشروبات إشارات مصورة، وقد صورت في إحداها صورة بأخوس (رب الكرمة) يعصر عنقوداً وكتب على حائط آخر "هنا فندق يعجر غرفة ذات ثلاثة سرير"، وقد عثروا على تلك المدينة على مخبز فيه رحيان تداران باليد، وعلى معمل لقصر الشيب ودوكان حلاق وبيت جراح وأدواته من القطر (النحاس الصفر) ومعمل نقش ودباغة.

المشاهد: مكان للمشاهد حياة هذا الشعب المطل من الأعمال رومية

شأن يصعب علينا تصوره فكانت المشاهد: حماية يونان عبارة عن ألعاب، أي: حفلات دينية وتعاقب المشاهد طوال النهار وتعود من الأيام التالية مدة أسبوع.
ليس على الأقل.

والشهيد عبرة عن موعد تتواعد إليه الأمة الحرة بأسلوبها، وهناك صنعت تقاسم المظاهرات ففي خلال الحروب الدنيا سنة 1982 أخذ المتضجون بلسان واحد يهتفون "السلام" والشهيد (الفرجة) كان بحسب ما تميل إليه النفس فيه ذلك الزمن، فقد مثل في ثلاثة إمبراطرة فمثل صداقولا هيئة حوضي ونيرون ممثلا وحكومه منصرا ولهما مشاهد ثلاثة أضرب، وهي المرشح، أو السباق (المرحص) والملعب وشكل نصف الدائرة (البيتاتيام).

وكان المرشح على الأسلاك اليونانية والأنفونون يمثلون، وقد جعلوا أوجها مستعارة على وجههم يغشونهم قصصا أخوهما من اللغة اليونانية وقلما مكان الرومان يقدرون مثل هذه الروايات قدرا لأنها تعلو عن عقولهم، ومكانا يثيرون الروايات المشحقة الجافة المعروفة بالشيا ولسما "البانتوميم" التي يشخصها المشخض دون أن يتكلم ويظهر عواطف الأشخاص الذين يمثلون بحركاتهم وسكتاتهم تمتد بين اصطناعين من جبل انافتين وبالأتين ساحة للسباق تحيط بها أروقة على مراقب وإدارة، وهذا المكان هو اللعب الأعظم أصبح يسع منذ وعده نيرون 250 ألف متفرج، ثم وسع في القرن الرابع، حتى صار صالحا لإجلاس 385 ألف شخص، وهناك مكانا يمثلون الفرحه التي يحبها الشعب الروماني، وهي سباق المركبات ذات الأربعة الخيول فالمركبة الواحدة تطوف اللعب من أقصاه إلى أقصاه ثلاث مرات وعليها أن تقطع 25 شوطا في اليوم الواحد وسائق المركبات تبع لشريكه تزاحم كل منها الأخرى ويلبسون لونا من الألبسة خاصا بسويتهم فكانت الشركات أربعا بادآ بدء، ثم استحالت تشتتين، وهنا الزرقاء والخضراء ولكليهما شهرة في تاريخ التمرد، ولقد أوقع القبول في رومية بسباق المركبات، كما يولد الناس اليوم بسباق الخيل، حتى مكان موضوع حديث النساء والأولاد أيضا و كثيرا ما يتعصب الإمبراطور لفريق دون آخر في السباق وتتكون من النزاع بين الزرق والخضرا مسألة سياسية.
أنشأ الإمبراطور فسبارين على أبواب رومية بناء الكوليزة، وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين ألف متفرج. كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فإذا أرادوا الصيد يجعلون الميدان غابات يطلقون فيها الโลحوش الكاترة فيجيء رجال مسلحون بحرب يصيدونها، وكانوا ينوعون المشهد بجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالأسود والفهد والقيلة والدبية والجواويس والكروسكن والزرافة والنمور والتماسيح وظهر في الألعاب التي احتفل بها الإمبراطور بومبي 17 فيلا و500 أسد في الميدان، وكانت لبعض الإمبراطور دار لغرائب الโลحوش، ثم رأى القوم بدلاً من أن يجعلوا الرجال المسلحين أمام الحيوانات أن يطلقوا الحيوانات على الرجال، وهم عراؤ مقيدون وشاعت العادة في جميع مدن الإمبراطورية باستخدام الحكم عليهم بالإعدام، هذه التسلية فافترست الحيوانات ألوها من الناس من كل جنس وصن، ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور.

المصارعون - كان قتال المصارعين (رجال بأيديهم السيوف) من أجل المشاهد الوطنية عند الرومانيين فنزل رجال مسلحون إلى الميدان يتبازرون، حتى يقتل بعضهم ببعض ويلع الحلال بالرومانيين على عهد قيصر أن صاروا يقتلون 200 زوجاً من المصارعين في آن واحد، وقد قتل أغسطس في حياته سجلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلته أربعة أشهر، وسكان المغلوب يدعب في الحال إلا إذا عفا الشعب عنه.

وكثيراً ما يلقون بأناس من المحكوم عليهم في ميدان أشرعاً، ولكن المصارعين يكونون في الغالب من العبيد وأسرى الحرب وكل انتصار يجلب إلى ميدان أشرعا أصابات من البرابرة يقتل بعضهم ببعضاً ليتلذذ المترجوَّن (1)

(1) شكر أحد الخطباء الإمبراطور قسطنطين في خطاب رسمي ألقاه لأنه قدم جيشاً برمتها من البرابرة الأسرى ليعتصار أمام الجمهور ولأنه استعمل قتله الناس لنسجية الناس قال وليت شوري، أي: ظفر أجمل من هذا؟
وكان في رومية مصارعون من كل بلد فمنهم الغاليون والجرمان والتراسيون، وربما كان منهم الزيتون فيقتلون بأسلحة مختلفة عن أسلحتهم الوطنية عادة، وكان يحب الرومان هذه المقاتلات من صور مصغرة.

وكانت ترث بين هؤلاء المقتتلين في الملعب أناها من المتطوعة الأحمر حدا بهم حبهم للخطر أن يقدموا أنفسهم للصراع وقواعده القاسية، وأن يقسموا لزعمائهم بأنهم يقدمون ليضرونا بالعصي ويحرقوا بالحديد المحمي ويقتلون حقيقا، وقد تجد غير واحد من أعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والشردين، بل تجد في زمرتهم الإمبراطور كومود ونزل إلى الميدان بدائه، ولا تقام هذه الألعاب الخطرة في رومية فقط، بل في جميع مدن إيطاليا وغاليا وإفريقية (أما اليونان، فقد استنكروا من قبول هذه الألعاب).

واليحك صورة كتبة على تمثال أقيم لأحد أعيان بلدة منتون "قد أظهروا في أربعة أيام أحد عشر زوجا من المصارعين ما برحوا يقتلون، حتى بعد أن سقط نصفهم في الميدان وصاعد عشرة دببة هائلة، ولا شكا إنكم تدكرونه أيها الوطنيون الأشراف".

وكان الشعب يهوى إهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم بإسبانيا في سباق الشرق وينبغى للإمبراطور، كما ينبغي للحكا إسبانيا أن يحضر هذه المجازر، ولقد، فقد الإمبراطور مارك أوريل ثقة العامة في رومية: لأنه أظهر ميلا من مشاهدة تلك الألعاب، فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلا من أن يتفرج، ولا صحب معه المصارعين ليستخدمهم في قتال البرابرة الذين هاجموا إيطاليا أوسكت الغوغاء أن تتمرد وصرخوا قائلين "إنه يريد أن يسلبنا تسليتنا ليضطرنا إلى التفليس".

المدارس: لم يخطر للقدماء قط أن يعلموا الأولاد كلكهم فليس العبيد وحدهم، بل السواد الأعظم من سكان الإمبراطورية لم يتعلموا القراءة على أنه لم يكن في المملكة غير مدارس للأغنياء، وللرومان، وقالما نعرف...
المدارس التي تعلم فيها أبناء المواطنين والأجانب القراءة والكتابة، وقد كان راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وأباء الأولاد هم الذين يؤدون إليه راتبه وطريقة التعليم عبارة عن ضرب الأولاد بقيقية، أو بالعصي، وقد مثلوا في صورة وجدت في مدينة بومبي ولهذا يمسك أتراك بسماك المعلم يضربه بالسوط.

وتعلم الأسرة النافعة أولادها على مذهب عبد يكون روميا في الغالب في علمهم النحو واللغة اليونانية والمدارس العامة تقبل الشبان الأغنياء خاصة يرسلهم أباؤهم إليها ليتعلموا فيها الخطابة وإلغاء الناشر لم ينزع من الناس ذوقهم في الخطابة ومراتهم عنها، وعلى ذلك المهد بدأ الموهوبون أو الخطباء يكثرون ويعملون الناس كمكينة الآداء فافتتحوا منذ القرن الأول رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الأغنياء، وكان بعضهم يمنون تلاميذه على إنشاء المرافق في موضوعات خيالية في الخطابة، وقد حفز لنا الخطيب سيعبة عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها أولاد مخطوفون ونصوص ومشتردون على أساليب مختلفة.

أسست على الولاء مدارس من هذا الطراز في جميع أقطار المملكة، فكان غالياً مدرسة قديمة في مدينة مرسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من إيطاليا وأصبحت مدرسة أتون منذ زمن زمن أغسطس عامرة أكثر من غيرها بالطلاب، وهي التي بقيت عامة إلى آخر أيام الإمبراطورية.

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريمس وأخرى في تريف، وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه وأشهرها هي التي أصبحت مدرسة بوردو بعد ذلك.

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الأستاذة تدفع لهم أجورهم ومقدص الأول منها تعليم أبناء الأسرات العالية التكلم باللاتينية واليونانية، وأن يكتبوا فيما ليتمكنوا من أن يكونوا موظفين ويعمل فيها النحو والبيان خاصة، وكان أشهر أستاذ في مدرسة أتون في القرن الرابع الخطيب أومين أرسله الإمبراطور.
فلسطينين، وكان مدحه وأعظم رجل في مدرسة بوردو هو أوزون مريي ابن الإمبراطور (139) ومؤلف عدة مقالات شعرية لا يتنية متكافئة.

الأشراف دsetDefault الأسرات القديمة الغنية في رومية إلا قليلاً، ولكن قام غيرها من الأسر الحديثة التي افتتحت بالصيرفة والتجارة والالتزام الجبابة واستثمار الأراضي المفتوحة، وكان لها تمكن غني من أرباب الأماكن من أن يعتبر الإمبراطور هانما تشرف أسرته وبيدها شرفت جميع الأسرات الغنية في إيطاليا والولايات (حتى ثم يبيق في أواخر القرن الثالث آنات من الفرسان العاديين)، وكان مملك عظيم من سكابر هؤلاء المالك يعيش بين عبده ملكا صغيرا لا عمل له إلا اتباع الشهوات وداره في رومية أشبه بقصر تخص غرفة التشريفات (الأتيروت) كل صباح بأواسب من الريف (الريونات)، وهم أساسي من الوطنيين يختلفون إليه لأمور طفيفة صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيدة ويسالون موظبه في الشارع؛ لأن الإصطلح يطلب أن لا يظهر الغني أما أمام الجمهور إلا ويحيط به جماعة، وقد ضحك هوراس من أحد القضاة للرهره بشعوه تببورية خمسة في المعبد فقط ولكبراء خارج رومية مصائف مهجة على شواطئ البحر، أو في الجبال ينثلون فيها لا عمل لهم والضجر أخذ منهم.

ولم تكن واجهات لبيوت هؤلاء الأغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة، بل كانت كلها دائرة من داخل، أما من الخارج، فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل، وهي مظلمة لا يدخلها الضوء إلا من قاعات التشريفات، وهي في وسط البيت وفيها نصب تماثيل الأجداد وفيها يستقبل الزوار ويدخل إليها النور من شق السقف وراءها البيرهيتيد، وهي حديقة محاطة بصفوف من الديم وعليها تisol غرف الطعام مزينة بأفخار زينة وفيها سرر لجلس الضيوف ويتناولون فيها الطعام؛ لأن ذلك مكان من عادة أغنياء الرومان، كما كان عادة اليونان في آسيا وفكثيراً ما يكون بلاط الدار معمولا بالفسسسة.

237
الأخلاق. - وصف سينيكك ۳ رسائل وجهائه الرجال والنساء ۴
عدهما وصفا مزعجا، حتى أصبح فساد رومية القياصرة مثالا سائرا ۵ الغابرين
على أن هذا ناشئ من دوام اضطرابات القرون الأخيرة للجمهورية مثل بدخ
الأغنياء الغليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء المزارج بجنون، فلوم
يأت الشر من طريقة الحكم الإمبراطورية، بل من الإفراط في جمع ثروات العالم
أجمع، بيد بضعة الولف من الأشراف، أو أديعياء الشرف وتحتهم بضع مئات من
الأحرار يعيشون عيشا سافلا وملايين من العبيد يظلمون ظلما هائلا.

وكانت الأسرةكبرى تندر بسرعة، حتى نال بالإمبراطور أغسطس ما رأى
من نقص عدد الرجال الأحرار فسن قوانين لتحمل الناس على الزواج والعقاب
على العزوبة، وإذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج إلى زمن لم تنفع أصلا، ولقد
كثر عدد الأعذاب من الأغنياء، حتى غدت مداهمتهم من الصناعات الرابحة،
وزواجد ليوصي لهم من يهدون لهم بشيء من المال يأخذونه بعدهم، ومن حسن
التدبير أن لا يرقص الغني ولدا فيكون محاطا بالمرأين والمتقربين، قال أحد
الخصسيين الرومانيين: "ينقسم الناس في هذه المدينة إلى طبقتين منهم من
بيضطاد، ومنهم من يصاد، وقال سينيكك: إن في حرمان الأولاد زيادة نفوذ المرأة.

الطبقات النازلة - فقد التمييز بين الوطنيين الرومانيين والغريباء موقعه
ومكانته إذ لم يعد يُدّ رومية انتخابات، وشمل حق التملك على التدريس لسكان
الولايات. و جاء زمن على عهد مكرا كلا كال ( سنة ۲۱۲ ) صدر فيه أمر بمنح حق
الوطنية لجميع سكان الإمبراطورية، ولم يشعر بهذا الأمر كثيرة؛ لأن العمل
سكان جاريا عليه من قبل بالفعل.

ويمتاز الرجل امتيازا خاصا بثروته التي يملكها، ويقسم الناس إلى طبقتين:
الأغنياء ودعون أشرف الشرفاء، وهم أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان وأعضاء
مجلس الشيوخ في المدن، وتتألف منهم طبقة القواد العشرة، أما بقية الشعب
وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدقعون والسوقة الحقيقون.
فأشرف الأشراف وحدهم يحسبون في المجتمع، وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية، وجميع موظفي الامبراطور من طبقة أعضاء الشيوخ أو طبقة الفرسان، وجميع حكام المدن من قواد العشيرة. ولهم حقهمامتيازات رسمية وحالات خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات، وإذا حكم عليهم بالإعدام لا يضلبون ولا يلقىهم للحوش في الملعب: لأن هذه العقوبات المحربة كانت خاصة بالفوؤاد والعامة.

ولقد عاش القراء في هذا المجتمع الأستوكراسي عيشة ضنكًا، فيعيشون فقراء رومية من الصدقات العامة أو بالاختلاف إلى الأغنياء ومداهمتهم، وهذه العيشة كانت ضرية مشهورة في الشجاعة، ويصبح القراء في القرى مستعمرين، في أراضي مكابار الأماكن الذين يعاملونهم معاملة تقرب من معاملة العبيد، وترى القراء في المدن صناعا أو مرزقة ومنزلته منزلة المعتوقين من العبيد. وإذا حسبت حال المدينة يكون لهم نصيب فيما يوزعه الحكام من الصدقات، ويدخلونهم بدون أجرة إلى مشاهد التمثيل والألعاب والحماسات العمومية. وحانت ترية في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات أحواض تأتيها الحرارة من موقع جعل تحت الأرض. والحمامات في المدينة رومانية حكموها الرياضة في المدينة اليونانية هي مكان اجتماع من لا عمل لهم، بل تكانت الحمامات في المدن الرومانية أعظم من محال الرياضة عند جيرانهم اليونان مثات من المقاصير على اختلاف أجناسها، فمن مقصورة باردة إلى فائرة إلى حارة إلى صوان للشيوخ، ومقصورة لدindek البلد بالزية، ومحل للمحادثة ومقاصير للرياضة، وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم. وقد شغفت حرائب حمامات "كاريكالا" بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الأرض.

البياد - وتأتي تحت طبقة الأحرار الفقراء الطبقة الأخيرة، وهي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان والسادة من الرومان، تкалفر فيهما هم الذين كانوا يقنعوا أن يحيط بهم جمهور من العبيد ففي البيت
الكبر اليوناني يعيش منافات من العبيد يتراهم بحسب الخدم التي يتولونها، فمنهم الموكلون بالفقراء وتعهد الأولى الفضية والأعمال والتحف، ومنهم حفظة للشايون، ومنهم وصائف ووصفات، ومنهم القيام على المطابع والحمام، ومنهم رئيس المتكا ومعاونوه، ومنهم عبيد الموكل الذي يرافط سيد البيت وسيدته في الشوارع، ومنهم حملة المحبة (المحاراة)، ومنهم الحوائديين والسوق، ومنهم أمناء السر والقراء والنساء والأطباء والممرضون والممثلون والموسيقيون وأرياف الصناعات من مختلف صنف؛ لأنهم یشكل بيت كبير يطعنون الدقيق ويحيكون الصوف وينسجون السايون، ومن هؤلاء العبيد من حسب أنفسهم كل المعنوي يصنعون أشياء سريعة سادتهم ويكون رحبها لهم، ومنهم من يؤجرهم أصحابهم إلى الخارج على أنهم بناء، أو بحارة، فقد كان كراسوس خمسة ع⎮ب من المهندسين وقبل هؤلاء يدعون عبيد المدن.

عبيد الريف - ككل ملك (تفتيش) كبير يتوفر على زراعته عصابة من العبيد فهم الحراثون والرعاة والكرامون والبارسانئي واصدقاء يجعلون شرائدهم تؤلف كل شرد هم من عشرة أشخاص ويلاحظهم وحيل منهم يهمه عليهم ويؤدل صاحب الملك أن من دواعي إعجابه أن تخرج أرضه بكل شيء فهو لا يبغي شيئا ولكن حاجاته تثبت في أرضه، وهو هذا مما يجعله من جملة الثناء على الأغنياء فصاحب الأرض يؤوي إليه عددًا عظيمًا من عبيد الريف، كما يسمونهم الملك الروماني أشبه بقرية ويسمى مصيفًا (قيلة)، وقد بقي اسمها فأطلق عليه اسم مدينة (قيلة) منذ القرن الوسطى، وهو الملك الروماني القديم مكبرًا.

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب أخلاق سيدهم فمن السادة المنورين الذين اشتهروا بالعثمانية أشيالون وسينيئيك وبلين، فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاما جيدا ويحدثونهم، وربما أجنِسوهم معهم على موائدهم ويسمحون أن يكون لهم أسرة وثروة صغيرة، وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبهم أشد العقوبات، بل ربما قتلواهم
لهوى النفس والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد كان فوينوس بوليون عتيق
أغسطس يطعم السلور البحري (سمكة مزينة) في بركته فكسر له أحد عبيده
آنية على غير قصد فما هو إلا أن ألقاه في البركة ليكون طعمًا لسمكه.
وصف الفيلسوف سينيكا فظائع السادات بهذه العبارات "إذا سُعل أحد
العبيد، أو عطس خلال الأدمة، أو طرد الديب متهاونًا، أو رمي مفتاحاً وسمع له
صوت فكلب في الاقتصاد منه وأي سكبل فإذا أجاب رافعا صوته قليلاً ودلت
تلاميح وجهه على سوء خلق أرحب لنا أن نضربه بالسياط وحكيراً ما نباع غضب
الضرب ونقصه له عوا ونقع سنا" وهكذا رأينا الفيلسوف إبيكتيت، وحكم
عبد كسر مولاه ساقه، أما النساء، فلم يكن أيضًا على شيء من الشفقة وإليه
صيك امتدح أديفيد إحدى العقائل، قال: "مشرعوا رأسها أما مع/go
قطر غزرت الإبرة في ذراع العبد الذي يمشطها".
وما مكان الراي العام ليحول دون هذه الظواهر، فقد مثل جوفنال عقيلة
غضبى على أحد عبيدها، وهي تقول اصلبوه وأي جريمة أتها العبد، حتى
استحق هذه العذاب ما أنحسه وهل العبد من البشر وسواء أتى أمرًا إذا أم لم يأت
وأني أريد عقابه وآمر به وإرادي هي الحجة في هذا الباب.
أما الشريعة، فلم تكن الخلف من الأخلاء فكانت في القرن الأول قبل المسيح
توجب بأن صاحب البيت إذا ذهب أن يقتل عبيده سلطهم به، ولا أريد إلغاء هذا
القانون خطاب ترازيا أحد معتبري الفلسفة في مجلس الشيوخ مطالبة ببقاء
هذا القانون.
وللعبيد مطبق تحت الأرض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا
يتيسر الوصول إليها فإذا أتى لنا يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل، ويزيد
النهار يبعثون بهم ليستغالون بسلسل من حديد ثقيلة وصغير منهم من
وسمت ووجههم بحديدة محمرة.
لم يعرف القدماء المطاحن اليونانية، بل سكانا بطحنون المنطة بمطاحن

٢٤١
باليد يديرها العبيد، وكان ذلك من أشاق الأعمال يندبون إليها عقوبة لهم في العادة، وكانت المطحنة قدماً مثل محبس (لومان)، وقال بلوث: "هكذا يبكي أشقياء العبيد الذين يحمون البولاتا (سويق من دقيق الدورة)، وهناك يرن دوي الأسوط وقمعة السلاسل والأغلال". وبعد ثلاثة قرون، أي: في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي أبي لهب مطحنة بقوله: "إيها الأرباب ما أتعم هؤلاء المساكين من البشر، فقد أسودت جلودهم وتبرقنت من ضرب السياط، ولا تستر أبدانهم غير خرق من قميص مدموجة جباههم ملحوقة رؤوسهم مقيدة أرجلهم مشوهة أبدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان، وقد علّمهم غبار الدقيق.

ولم يكن العبيد يكتبون، ولذلك لا نعرف ما هو رأيهم أنفسهم في معاملة ساداتهم لهم إلا أن الموالي أنفسهم كانوا يشعرون بحقد عبدهم عليهم، ولما انتهى إلى بلين لجون ما أصاب أحد أرباب الأملاء من ذبحه في حمام، بيد عبيده، قال ملاحظا: "هوذا الخطر الذي يهددهنا طمنا"، وقال كاتب آخر: "اصبح كثير من الرومان عرضا لحقد عبدهم أكثر من حقد الظلمين".

الشركات - كان جميع بلاد الإمبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضرائب والأشكال ومنها شركات لأرباب الصناعة الواحدة وشركات للممتلكين والمصارعين وشركات أدبية وشركات لاجتماع السكرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الأغنياء مثل جماعيات الجبهة، وكان أعضاؤها يلتزمون الأموال الأميرية ومثل جماعيات التجار الذين يتجرون بين إيطاليا وغاليا، ولكن معظم تلك الجماعيات كان مؤلفها من صماليك القوم.

ولقد طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجماعيات والشركات، ثم تسامحت بها، حتى إذا كان القرن الثالث أخذت تند إلى يد مساعدتها، ولكن الحكومة لم تمنع قط الجماعيات لدفن الموتى، وسانت هذه الجماعيات تتألف من أئناس
مصادقين لا يستطيعون أن يقتنوا أرضًا لتكوين لهم قبرًا فكانوا يشتركون
ويدفعون أقساطًا للحصول على سرب يكون مشتركتًا بينهم ليدفعوا فيه أموالهم
فالعذراء أو السرب المعد لدون الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة
من المقابر يجعل مع كل واحدة منها رفات ميت ويسمونها برج الحمام بسبب
شكلها.
وعلى هذا يكون أعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفن لائق
بعد موت مهم وقبر دائم لهم على الدهر، وهو ما كان القدماء يحرصون عليه كل
الحرض ويسمون هذه الشركات لا بأسماء حزن لئلا تكون شؤما، بل يسمونها
بأسماء أرباب ويسمونها شركات الصفار، وكان يدخل فيها كثير من العبيدة
وتحمل جميع الشركات إلا قليلا تحت حماية أحد الأرباب ليحميها (مثل
جمعيات الأطباء التي أطلقو عليها اسم اسكولاب)، وما كان كثير من هذه
الشركات من غاية إلا أن يتعبدوا وجلبهم جماعة والحكومة لا تدر الأراز إلا على
المواضد والكهنوت وبعض الشعائر الرسمية وجميع الأديان الأخرى كانت منظمة
على هيئة جماعية ولاهلها صندوقهم وكاتبه ومعاهده ومصالحهم وحفلاتهم،
وكان الكنيس النصرانية أو شركات من هذا النوع.
وأهم الشركات شركات أرباب الصناعات، فكان منها عامة المدن، حتى إن
المواصفع كان فيها عدة شركات من نوعها وأعضاؤها في العادة من أرباب
الصناعة الواحدة وتسمى لكل شركة بأسماء صناعات أعضائها، فقد كان في
أفيز شركة مناجم الصدف، وئة تنفيز شركة الملاحين، و�이شان شركة عملة
البناء وتقبل لكل شركة في أعضائها أناسا من أهل صناعة أخرى، ومن العادة أن
يكون لكل شركة عبادة فتعداد ريا وتحتيم عيدًا للاحتفال به يحملون فيه علمه
(ودعت هذه العادة إلى القرون الوسطى في شركات الصناع المسيحيين)، وهذه
الشركة تقوم بدفع أعضائها مداوى، وهمان صندوق ينتخبهما الأعضاء

243
كلهم إلا أنه لم يكن لهما أدنى سلطة على أرباب الصناعة، وما كان يكره أحد على الدخول معهم.

الحقول الرومانية

دين البيوت - يعبد أعضاء كل أسرة بأجمعهم أجدادهم ويجمعون حول مزار واحد فأريابهم واحدة ولهم وحدهم أن ينظروا إليها، ولا يحق لأحد أن يعبد أجداد أسرة إلا إذا كان من فرع أولى الكهود ويقام المزار الذي يجعل فيه أرباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب والأسرة الرومانية أشبه بكنيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما أحد غير أعضائها، ولذلك تختلف كثيرا عن الأسرة الحديثة: لأن نظامها ديني.

الزواج - أخذ الزواج الروماني يصير احتفالا دينيا فيสลهم الأب ابنته المخطوبة إلى خارج الدار فتحمل في موكب إلى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة، وهي "العرس أيتها العروس"، حتى إذا جاءوا بها إلى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار، وهناك يقسم الزوجان بحضور أرباب الأسرة قطعة من الحلول معمولة من الحواري، وكان يسمى الزوج إذ ذاك شريكة الحلول.

وقد اخترع الرومان منذ الزمن الأطول ضربا من الزواج يسوع للطبقة الوسطى فقط، وهو إما أن يبيع المخطوبة أحد أولائها وأقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بأنه ابتاعها على أن تكون زوجة، وهذا زواج البيع وإما أن تجيء الزوجة فتساكن زوجها ومنذ قضية سنة مما يعتبران متزوجين، وهذا الزواج بالعادة.

الرومان ماكاليونان يرون الزواج فرضا دينيا والذين يأمر بان لا تندثر الأسرة وعند ما يتزوج الروماني يصرح بأنه اتخذ زوجته ليكون له منها أولاد، وقد طلق أحد أشراف الأغنياء زوجته، وكان يحبها حبا جما: لأنه لم يرزق منها أولادا.
المرأة - ليست المرأة الرومانية حرة أصلاً فهي في شبيبة ملكة أبيها يختار لها زوجها، وإذا زوجت يصير أمرها، يبد بعدها ويقول الفقهاء إنها في يده وإنها مثل ابنته ووالجملة فللمراة سيد على الدوام بيده موته وحياتها.
ومع هذا لم يعاملوا المرأة فقط معاملة الرقيق، بل هي مساوية في المكانة لزوجها.
وبدعونا أم الأسرة: كنما يدعون الرجل أبا الأسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكتهن بجميع الأعمال الشاقة وتحيط وتوزع الأعمال بين الإمام وتلاحظ الأولاد وتدير شؤون البيت، وليست المرأة الرومانية ملكة الرومانية بعيدة عن الرجال، بل تتناول الطعام على المائدة مع زوجه، وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر أمام الناس في الحفلات.
وورث التمثيل واعمام المحكمة إلا أنها في العادة تكون جاهلة امية، وذلما: لأن الرومانين لا يهتمون بتعليم بناتهم وأهم صفة يعترفون بها في المرأة أن تكون زاهدة إذا ما كانت يكتبون على قبرها إشارة على مديها "بإله التزامتها بيدها، ولم تخرج منه وغزلت الصوف".
الأولاد - الولد الروماني لأبيه بمشاهبة ملككة له وللوالد الحق في أن يعرضه للشاعر فإذا أخذه يبيعه في بيته أولاً والبنات يبقين في البيت ريثما يزوجن، وهم يغزلن ويحكون تحت ملاحظة أمهاتهم والبنون يعملن في الحقول مع أبائهم ويتمرون على استعمال السلاح.
ليس الرومان شعبا مفتونا في الصناعات ولا سيما أمانيهم أن يعرف أبناؤهم القراءة والكتابة والحساب، وهم لا يطلبون على ذلك مزيدا فلا يعرفون الموسيقى، ولا الشعر ويلقونهم القناعة والصمت والحشمة في مآتهم وطاعتهم في منازعهم.
أبو العائلة - إن من يطلق عليه اسم سيد البيت يدعوه الرومان أبا الأسرة، فابن الأسرة ملككة للأملاك وكاتاهن في عبادة الأجداد وسلطان الأسرة فهو

245
الحاكم المتحكم في بيته يحقق له أن يطلق زوجته ويطرد أبناؤه، وأن يبيعهم ويزوجهم بدون أن يأخذ رائمهم ويحق له أن يستأثر بما يملكه لنفسه، بل وحلما تحمله إليه زوجته وحلاع ما يكسبه أولادها إلا إذا لم يسوع للمراة، ولا لأولادها أن يملكون شيئا وبالجملة فيبدو حياتهم ومماتهم، أي: أنه قاضيهم الوحيد إن ارتكبوا جريمة قرب الأسرة يحكم عليهم لا الحاكم.

 אחר مادة مجلس الشيوخ (186) الروماني أمره ذات يوم بإعدام جميع من اشتركت في الاحترام بعبادة باحوس فنفدت الحكم على الرجال، أما النساء اللائي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعمد المجلس إلى أبائهم الأسرات في أمرهن، وهم الذين أعدموا نساءهم وبناتهم كان الشيخ مكتن يقول "إن الزوج قاضي امرأتي له أن يعمل بها ما يشاء فإنما ارتكبت غلطًا يعقابها، وإذا تناولت خمرا يحكم عليها بالإعدام، وإذا خانت وقتلت"، وما كان مكتن أن يقيد المكائد لمجلس الشيوخ لاحظ أن أحدهم أن ابنه اشتركن في المكيدة فأتقنها وحاكمه فحكم عليه بالموت ودود سلطة أبي الأسرة بدون حياهه والعابن لا يخلص من عقوبته له حتى إنه إذا أصبح قنصلا يظل خاضعا لسلطة أبيه ومتاب مات الأب يصبح الأولاد أصحاب بيوت، أما امرأتي فلا تكون حرة أصلا، بل تكون تحت سيطرة وديث زوجها، بل تخضع لأبنها نفسه.

 التملك: كانت الثروة في القرون الأولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصا واللفظ الذي دل بعد على الدراهم معاناه قطع ويسمي المالك في الأسرة، ومن المحتمل أن الأرض لم تكن تنتقل بالرثاء، لأن نفقة إثر عندهم تدل على أرض مساحتها فدانان، وهو المكان الذي ينفيها إنشاء بيت وحديقة، ولم يلبث الرومانيون أن قبلا عادة اعتبار المالك لحق صاحبه له وعندئذ وضع حق التملك للماشية العبيد والأراضي والبيوت، وكانوا يعرفون أنه حق الانتفاع والتحريب (الاستعمال وسوء الاستعمال).

 ثم صار لهذا الحق أن يتناول كله شيء من الحاجات والأثاث والدراع.
والعقود والديون وحقوق الاستمتاع ويجب على من أراد أن يملحه شيئًا أن يملحه على الصورة التي عينتها العادة والبيك مثلًا كيف تجرى صفقة المبيع يضع البائع أمام خمسة من المواطنين ينوبون عن مجمع ومعهم سادس يمسك الميزان بيديه قطعة من النحاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع فإذا كان هذا حيوانًا أو عباد يمسك البائع بيه وقوله هذا لي بموجب القانون الروماني اتبعته بهذا النحاس الموزون وزناً حسناً.

ثم ابتدعا طرقًا أسهل لنقل المالك من يد إلى يد فصاروا يكتفون بدفع المبيع إلى البائع، وهذه الطرق لا تملحه تملكاً رسمياً، بل يكون المفتني للملحك متمتعاً به، ولكن هذا التمتع يخوله نفس الحقوق; كما لو كان مالكاً رسمياً له.

ولصاحب الملك الحق في أن يعطي أملاكه بعدة من يشاء، وإذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقتسم أولاده شروته، وإذا أراد أن يغير نظام الوراثة يكتب وصيته، ومكان يجري ذلك بمحفظ أمام مجلس الأمة زمناً طويلاً، ثم أصلحوا على صورة متكلفة إذ البائع مكان بيع المالك ماله فلن يريد أن يجعله وريثاً له وانتهى الحال بأن أصبحوا يكتفون بصورة ممطورة، ومكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الأولى أن يوصي من يشاء، وأن لا يترك شيئاً لأولاده، ثم أحكمه القضاء أبناء الأسر بالتدريج على أن يوصوا لكل واحد من أولادهم بقسم من ثرواتهم فأخذ ينال كل ولد قسماً من الإرث.

أحوال الوصاية الأثنتى عشرة - لم يكن عند الرومان في مبدأ أمرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة، بل كانوا يجرون على عادات الأحداث، أي: لكل جيل يجري في حكائه شأن من شأنه، كما جرى الجيل السالف، وقد سن حوالي سنة 50 عشرين حكام منتخبين شرائح كتبوا في الأثنتى عشرة لوحة من الحجر. وعندما هذه شريعة الأثنتى عشرة لوحة انشأت أحكاماً موجزة شديدة قطعية، وما هي إلا تقنين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له قواعد هذه الشريعة يعاقب الساحر إذا تلا سرнести سحرية ومر على حقله بغلة جاره.
والحكم هذا القانون في المدني الذي لم يؤد ما عليه من دين إذا لم يدفع برفع أمره للقضاء، وإذا عاقبه المرض، أو السن عن الحضور يركب حصانا، أو محفزة ويمهل ثلاثين يوما فإذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسيور، أو سلال وزنها 15 ليرة وبعد ستين يوما يبيعه فيما وراء نهر التيبير وللدنائيين إذا تعددوا أن يقطعوا المدين إربا إربا، ولا غني إذا قطعوا منه قليلا أو كثيرا، قال شيرمون: كانت شريعة الأثنتي عشرة لوجه منبع التقنين الروماني بأسره، وبكان الأولاد يعده المدارس يستظهرونها بعد أربعة قرون من وضعها.

الإشارات في الدعاوى - لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الأشخاص في مسائل البيع والشراء والإرث فلا يكفي لأخذ حكم المحكمة الرومانية أن يعرض الإنسان قضية، بل يجب عليه أن يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض إشارات تقتضي بها إعادته بكل قضية تقام أمام المحكمة، يجري تمثيلها بالإشارات فقلللمطالبة بشيء يمسكه المدعى بيده ولاحتجاج على جار رفع حائطه على جاره برمون بحجر على هذا الحائط وهكذا ما يجري إذا اختلف أثنا ملكية حقل يأخذ الخصمان بأيديهما، فإنهم يريدان أن يتضاربا، ثم يفترقان ويقول كل منهما أصرح بأن هذا الحق ل موجب حقوق الرومانيين فأنما أدعو ب sacrific محكمة القاضي إلى مكان الحق ليفصل فيه، بينما في أمرهما القاضي أن يذهبما إلى الحقيل فإذا أخذها ثمما أخذوها فهذا طريقهما أمام الشهود الحاضرين فيخطو المتخصصان بضع خطوات مكانهما ذهبا، وهي ذلك رمز إلى ذهابهما فيقول لهما أحد الشهود ارجعوا، وبدلما إشارة إلى أنهما ذهبا إلى الحقين، ف يقدم كل من الخصمين مدة من التراب، وهي إشارة للحقيل وهكذا تبدأ الدعوى، وعندئذ يستمع القاضي للمختصمين والرومانيين، وكسر الشعوب القديمة ليسIFIED Они ФК 248

ولقد تكان الرومان يحترمون هذه الأشكال القديمة من الأحكام من وراء الغاية فكانوا للاقتضاء، كما هم هم الذين يطيعون نص القانون دون أن يهتموا...
بالبحث عن معناه وعندهم أن لكل دستور مقدس تجب المبالاة في تنفيذه، ومن الحكم الجارية على قضاياهم أن هكذا يفوهم له أن يكون حقا إذا قلت صاحب الدعوى إيراد مدعاه يخسر قضيته، وإذا أقام رجل قضيته على جاره؛ لأنه قطع له مكره يجب أن تكون الصورة التي يوردها أمام المحكمة حاوية لكلمة شجرة إذا استمتع عنها بكلمة مكر لا يحكم ل.

والاحترام هذه المراسيم على إطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في أمور كثيرة فالشريعة تقول إن الأب إذا أباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة أبيه ومن نآه روماني تحريز ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية، وهذا العمل المضحكت في بعه يكفي لتحريره.

وكانت الشرعية تقضي قبل البداية بحرب أن يرسل منادى بها على تخوم العدو، ولم أرادت رومية إعلان الحرب على بيزوس الملكا أباه الذي سكنت مملكته عبر الأدرياتية رأى الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات أن يبتعا أحد رعايا بيزوس، وربما مكان من الآباقين من الجندية حالا من رومية فأوهموا بأن هذا الحقه أصبه أرضا من بلاد أبى وأرزة المنادي يلقي فيها حرية ويدعو فيها للحرب علنا، وكان الرومانين مثل جميع الأمم الفتية يعتقدون باطلا أن للمراسيم المقدسة فضيلة سحرية.

ال hỏng - كانت شريعة الاثنين عشرة لوجة والشرائع التي وضعت بعد موجزة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لا حل لها 2 قانون من القوانين الموضوعة ففي مثل هذه الأحوال الصعبة كانت العادة متبعة أن يعمد إلى الأخذ برأي بعض أشخاص اشتهروا بعرفتهم في مسائل الحقوق، وكانوا من أهل الاعتبار، ومنهم قنال قدماء، أو أحباء وكيتوبن أراءهم كتابة وتسمى فتاهم إجوبة العقلاء، ومن العادة أن يكون لهذه الأجوبة شأن وقيمة؛ لأن أصحابها الحكماء على جانب من الاعتبار والحزم، وقد زاد الليمب طورأ أغسطس بأن عن بعض هؤلاء الحكماء وقرر أن تكون أجوبتهم قانونا يعمل به، وعلى هذا صار الحقوق

٢٤٩
علماً وعلماء الحقوق، أو الفقهاء المشرعون يضعون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية فنشأ بذلك علم الفقه.

أمر القاضي دعت الحال إلى رومية إلى نصب حاكم أعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة وللقينصل، أو القاضي فقط أن يدير شؤون محكمة، أو يحقق الحقوق وإذ كان القنصل يعول بقيادة الجيوش فهم يعهدون عادة بالنظر في الحقوق إلى القضاة، وكان في رومية قاضيان حاكمان على الأقل يفصل أحدهما المسائل التي تحدث بين المواطنين وحسيم قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوى التي تنشأ بين المواطنين والأجانب وحسيم قاضي الأجانب، وحناك محكمتان: لأن الغريب لا يحاكم أمام محكمة المواطنين.

وهذان القاضيان بالنظر ما لمما من السلطة المنطلقة يفصلان القضايا على ما يتراءى لهما، بل إن قاضي الأجانب لم يكن مقيدا بقانون: لأن الشرائع الرومانية لم توضع إلا للضباط الرومانيين، ولما كان حكى الناس يتوالى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله أمراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الأحكام ويسمون هذا الأمر أمر القاضي وبعد سنة عندما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيحل لخلفه أن يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة، ولكن جرت العادة أن يحتفظ بكل قاضي بما صدر عن أسلافه من الأوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويبدي إليها بعض زيادات وهكذا تجمع أوراق القاضي قروناً، ثم أنشأ الإمبراطور هاردن القرن الثاني براءة القاضي وجعلها قانوناً مرسى الإجراء.

وإذ كان هناك محكمتان منفصلتان إحداهما عن الأخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتصلة التي يجري عليها قاضي المدينة، في مسائل المواطنين الحقوق المدنية، أي: حقوق المدينة، ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الأجانب تتألف حقوق الناس، أي: الشعوب (العربية عن رومية) فأدرك القوم إذ ذاك أن أعدل هذه القواعد في الحقوق
أبسطها وأعلها وبالإجمال أفضلها الحقوق الأجنبية، وأن حقوق الوطنيين المأخوذة ضمن قواعد محصورة عن قدماء الرومان مكان فيها خشونة وقواعد ببريرية، أما حقوق الناس (الأجانب)، فكان أساسها على العكس عادات التجارية وعادات آناس من بلاد مختلفة نزلوا رومية، وهي عادات سائمة من كل شائبة وهم وطني أخذت بكرور الأيام وأقرها الاختبار قرنا كثيرة ورأى القوم كيف سكانت الحقوق القديمة مخالفًا للعقل، فقد جاء في بعض الأمثال الرومانية "أن الحق الناصع هو الذي ت قضيه سلطة عليا طافة"، وعلى هذا أنشأ قضاة الوطنيين يصحون القانون القديم ويعكمبون بأحكام المعدل، حتى بلغوا بالتدريج أن ينفذوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الأجانب يجري عليها

مثال ذلك أن القانون الروماني يقضي أن يرث الأقارب من الذكور فقط إلا أن القاضي دعا الأقارب من النساء أن يشر كن رضي الإرث ويقضي القانون القديم بأن لا يكون المرء صاحب ملك إلا إذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بأنه يكفي المباع أن ينقد البائع ثم ما ابتاعه، وأن يضع يده على الملك، حتى يعد مالكا وأنت ترى أن حقوق الأجانب تغلبت على الحقوق المدنية وأبطلتها.

القانون المستر - أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الإمبراطرة خاصة فأصدر الإمبراطرة الأنطونيون كثيرة من الأوامر واللوائح، ووكانت هذه رسائل تصدر عن الإمبراطور جوابا عن الموظفين الذين يستطعون طلع آراءهم فيساعدهم على القيام بهذا الإصلاح القضائي أناس من المشرعين عندهم وظل بعض المشرعين في أوائل القرن الثالث زمن من حسن سيرتهم؛ أو ساءت من الإمبراطورة يضرون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوا منها قديما، ومن أشهرهم بابيين وأولبين ومودسينين وبولس فإن تأليفهم هي التي كانت أساسا للحقوق الرومانية بعد.

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لا شبه بينها وبين الحقوق

٢٥١
الرومانية القديمة بحال من الأحوال إذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقتبس المشرعون أفكار فلاسفة اليونان. ولا سيما الرومانيين منهم وذهبوا إلى أن الحرية حق طبيعي لكل من يولد حرا مهما إن عبودية مخالفه للطبيعة، ولذلك رأوا أنه يحق للعبيد أن يطلب إنصافه حتى من سيده، وأن هذا إذا قتل عبده يجب أن يعاقب عقاب القاتل وكذللك حمو الولد من ظلم أبيه.

وهذا القانون الجديد هو الذي سموه بعد بالقانون المسطور، وهو على الحقيقة قانون جروا فيه مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الناس حكافة ولذا لم يبق فيه أكثر للقانون الحائر المعروف بقانون الاثنيني عشرة لوحة فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الإمبراطورية أساسا زمنا طويلة ذاك القانون الذي لم يبرح بعضه داخلا ظواهرنا، بل هو قانون قدماء الرومان وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم المألوف من حكام اليونان، ثم مزج حك ذلحك مزجبا واحدا وكتبه أساس من الحكماء والفقهاء الرومانيين قرونا طويلة.

النصرانية

تعليم المسيح (عليه السلام).- مكان الإسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكا لهم ومخلصا فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صغيرة من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف بأنها يهودية ولد من أسرة وضيعة تحترف بالتجارة فسماه آت Counties من الروم المسيح، أي: المسيح يعنون الملك الممسوح بالزيت المقدس: كم دعي السيد والرب والمخلص فكلنا نعرف الديانة المسيحية فيكفي إذا أن يبين ما هي التعاليم الجديدة التي نشرتها من العالم، فقد أوصى المسيح أولا بالمحبة فقال: "إنك تحب الإله من خلال جوارحك ففكر وستحب قريبك، كما تحب نفسك فجماع الشريعة وتعاليم الأنبواء داخله وعيسى الوصيتيين".
فمن الواجب محبة الخير واسعاقهم ومنى قضى الله بين عباده يجعل على يمينه من أطعموا الجياع وسقوا العطش وكسوا العارية ويقول المسيح لمن يريد اتباعه أولا: "اذهب فتبع مالك وادفعه للفقراء، ولقد كان القداماء يعتبرون الشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح إلا أن هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فأصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره فعمل الخير هو محبة الغير والصريح والفعيان (وهو بالتاليانة مرادف للحب) أساس التقوى وغدت لفظة محب مرادفة للنفظة محسن ووضع المسيح تعاليمه بـ الإحسان بدلاً من التعليم الإسرائيلي القديم بـ الاختصار فقال: "عرفتم بأنه قيل العين بالسن والسن بالسن، أما الآن فأقول لكم إذا ضربتم أحد على خدكم الأمين فقدموا له الأيسر، وقيل: أحبو قريبكم وأبغضوا عدوكم، أما أنا فأقول لكم أحبو أعداءكم وافعلوا الخير مع من يبغضونكم وباركوا ممن يضطهدونكم لتكونوا أبناء أبكم الذي هو السماوات الذي ينزل المطر على العادلين والظلمين، حتى إن المسيح، وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال: إعف عنهم يا رب، فإنهم لا يعرفون ما هم فاعلون.

أحب المسيح الناس قاطبة ومات لا من أجل شعب واحد، بل من أجل الإنسانية سحرها، وما قط ميز بين الأشخاص فكلهم سواء أمام الله، ولقد كانت الأديان القديمة، حتى دين إسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتبه بعناية احتفاظه بكنز ثمين دون أن تحدثه نفسه النبي بتلبيته شعبا آخر فقال المسيح لتلاميذه: اذهبوا إذن وعلموا جميع الأمم.

وبعد ذلك قام بولس أحد الحواريين وقرر تعليم المساوية النصرانية بقوله "لم يبق أولون، ولا آخرون: حكما لم تبق روم، ولا يهود، ولا مطهرون، ولا قلف، ولا برابرة، ولا عبيد، ولا إحرار، فقد أصبح المسيح هو الكل إلى الكل".

مكان القداماء يذهبون إلى أن الثروة تعني شأن الإنسان وينظرون إلى أن الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح: "طويب للفقراء فإن لهم ملكوت السماوات". من لم
يتنزل عما يملكه لا يكون تلميذاً ليه، حتى إنه هو أيضاً سكان ينتقلون من مدينة إلى مدينة ولأ سيد له ولبيد، ومقدماً سكان تلاميذه يهتمون للمستقبل، سكان يقول لهم: "لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون وأنتموا بانظاركم إلى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد، ولا هذا فإن أباصم السماوي متكفل برزقها".

فعلى المسيح أن يحتقر الثروة وأن يستريح الزراء بالعظماء سكان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فيمن يكون له المقام الأول في السماء فقال: "إن أعظمكم هو الذي يخدم غيره: لأن من يرتفع يسقط، ومن يسقط يرتفع" ومازال البابا إلى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بخادم خدمة المولى سكان المسيح يؤثر أن يجدب إليه المساقط والمرضى والنساء والأولاد، بل والضعاف والمحروميين وحواريه من عامة الناس، وسكان يكره على مسامهم "تنطوف وآلنياً قلوبكم".

ملكوت الله سكان المسيح يقول إنه جاء إلى الأرض ليؤسس ملكوت الله فظن أعداؤه إنه طامع في ملك، وعندما صلب كتبت على صلبه هذه العبارة "يسوع الناصري ملك يهود". وهذا سكان خلاف ما يقصده، فصرح المسيح نفسه بأن ملكوتي ليس في هذا الأرض، فلم يجي لقلب الحكومات، ولا ليصلح المجتمعات وأجاب من سأله فيما إذا كان يجب أداء الجزية للرومانيين، يقوله: "أدفع ما لقيصر لقيصر وأد الله الله ولدا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعلم على تهذيب نفسه وتكميلها لا على إصلاح المجتمع.

ولأجل أن يفوز المسيح بمرضاة الله، وسكون أهلاً لبلوغ ملكوت له لا يقتضي له أن يقدم النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة: كما فعل القدسيين اليهود، أو عبادة الأرباب القديمة "فإن المتعبدن الحقيقيين يعبدون أباهم بالفكر والحقيقة" ووحدة المسيح هي جماع آدابهم، وهي "سكونوا نكاملين مثل أبكم الذي زا السماء فإنه نكامل".

الحواريين عهد إلى الاثنين عشر حواريا الذين كانوا ملتئمين حول المسيح أن يشيروا بتماليهم الممأء بأسرها فدعوا بالحواريين (الرسلين) سكن معظمهم
القدس ودعوا إلى دينهم يأرض اليهودية، وكان المتنصرة الأول من الإسرائيليين.

وكان شاؤول أول من دان بالنصرانية وحفّز حملة تحالفات هذا الدين إلى أمم الشرق فقضى بوس (هو الاسم الذي اتخذه) حياته يزود المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومقدونية داعيا إلى الدين الجديد ل الإسرائيليين فقط، بل أبناء الأمم الأخرى قيلوا صنعت فيما سبق بدون المسيح ببعض من المنافات والوعود ولهذا انتُقل شملكم بدم المسيح! لأنه هو لا يميز بين الشعوب، وينظر إليهم كما كنائهما شعب واحد، ولم يعد من حاجة أن يكون المرء إسرائيلياً حتى ينتحل النصرانية فإن الأمم الأخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقارب فيما بينها بفضل شريعة المسيح، وهذا الاختلاف هو بصنع القديس بوس ولذا سمى رسول الأمم.

سكان المنتحلين للنصرانية بدل بدء من يونان آسيا الصغرى، ثم تنصر كثيرون في جميع المدن الكبرى وأتى زمن طويل والطائفة المسيحية برومياً أيضاً مؤلفة من أبناء يونان فانتشر دين المسيح أول ببطء على نحو ما بشر بهذل وصلته بقوله "يشبه ملكوت الله حبة من الخردل فهي أصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات أطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء إلى ظلها". الكنيسة الأصلية - كان المسيحيون في جميع البلاد التي نزلوها يجتمعون للصلاة جماعة وإنشاد أتاديج المرحل ولاحتشال بالعشاء السري، وهي أكلة يتناولونها بالاشتراف تذكيراً لآخر أكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس).

ومن العامة أن يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الأخوة ويأتون بالعطايا لينفقها على الأرامل والفقراء والمرضى وأكثر رجالهم احتراما بينهم الرهبان ومنعت ذلك القمامة يدينن شؤون الطائفة ويقومون بالفروع الدينية ويتولى آخرون النظر في أملاك الطائفة، وكانوا يدعون
الشامسية (الملاحزون)، ثم كثفت أعمال الكنيسة، حتى انقسم سواد المسيحيين إلى فرقتين: إحداهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنة (أي خدمة الرب) والbacون هم جمهور المؤمنين وسموهم العامة (العلمانيين) وكان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة انتفاحية وكنيسة كورونت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة، وهي كنيسة المسيح، حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بإيمان واحد فالاعتقاد العام: أو الكاثوليكي كان هو العول عليه دون سواه، أما الآراء الخاصة (الهرطقة والأحاد)، فكان يحكم عليها بأنها أوهام وأغلاط.

ويقي الكتاب المقدس عند اليهود، أي: العهد القديم مقدسا عند المسيحيين وصار لهذه كتاب أخرى جمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد فالاثنين الأربعة تقص حياة المسيح والبشارت بما حمله من السلام وأعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارت في العالم ورسائل الرسول هي رسائل أرسلها الحواريوس إلى مسيحي العهد الأول والأبوكاينسيس (رؤيا القدس يوحنا الإنجيل، أو الحواريوس) هو ما أوضحه القديس يوحنا إلى السبع كنائس، آسيا كتب جميع مقتنيات العهد الجديد باليونانية، وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين إلى أواخر القرن الثاني، وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا إنها مقدسة فرفضتها الكنيسة بكلها وسموها المزورة.

الاضطهادات- اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها، فكان اليهود أعداءها الأولي، اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم إلى صلب المسيح ورحموا القديس أتين (الشهيد الأول) واشتدوا في طلب القديس بولس وصداوا يقتلونه، ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فإن هؤلاء سكانوا يتسامحون مع جميع أديان الشرق، لأن عبادة أوزيريس وميتر والبطكة الصالحة سكانوا يعترفون بالأديان الرومانية مع أربابهم إلا أن المسيحيين عبادة الله الحي سكانوا يزرون بالعبادات الصغيرة القديمة، بل إن الجريمة الكبرى التي تعد على المسيحيين هي 256.
نظر الرومانين أنهم كانوا يأبون عبادة الإمبراطور؛ كما يعبد رب، وأن يحرقوا البخور على مذبح ربة رومية.

وقد أصدر كثير من الإمبراطورة أوامر إلى ولائهم يأمرونهم بالقبض على المسيحيين وإعدامهم. وقد كتب بلين، وسكان وانيا وآسيا إلى الإمبراطور تراجان سكتابا يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيين، قال: "جريت الآن مع أنهم كانوا يصاحبهم نصارئ على الطريقة الآتية، وهو إن أسلموا؛ إما إذا كانوا مسيحيين فإذا أقرموا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهددا إيهاهم بالقتل فإن أصلة أنفصل عنهم؛ ثم طالب عليهم مقتنا بأن غلطهم الذي يعترفون به مهما سكنتفظعته، وإن عناهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة، وقد وجهت الشكوى إلى كثيرين بكتاب لم تدلي بأسماء أصحابها فتأرموا بأنهم نصارئ وصرحوا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماءها أمامهم وقدموا الخمر والبخور لتمثال آتى به عمدا مع تماثيل الأرباب، بل إنهم شتموا المسيح وقيل: إن من الصعب إثارة النصارئ الحقيقيين، ومنهم من اعتزموا بأنهم نصارئ ولكنهم كانوا يثبتون بأن جريمتهم وخطأهم محصوران إن أنهم اجتمعوا بعض أيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على إنه ربي وعلى إنشاد الأنشيد إكراما له وتعاهدوا بينهم مقسمين الأيمانات لا على ارتكاب جريمة، بل على أن لا يسرقوا ولا يقتلون ولا ينروا ويرووا بعهدهم ورايت من الضرورة للوقوف على الحقيقة أن أعدب امرأتين أمتنى دعواه خادمتين الكنيسة، بيد إنى لم ألقى على شيء الله إلا ما كان من خلافة سخيفة مبالغ فيها.

وعلى هذا، فقد سكاحت الحكومة في المضطهدة(37) إلا أن العامة في المدن الكبرى كانوا أكثر إفراط، أما للنصريين، فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبون إلاها آخر غير أنه ربيعهم ويتصر هذه الأرباب ويرون أن إنكار المسيحيين

(37) تقول الكنيسة إن المسيحيين اضطهدوا مرات الأولى على عهد بيروت (42) والثانية على عهد ديوكليس (303).
ما يعبد الرومان يجلب على العالم غضب هذه الأرباب، وسكتت تسمع القوم إذا وقع قحط ومجاعة ووهاب يهتفون هتافهم الذي أشتهر أمره "النضال" لأهالي الأسود والشعب يكره الحكم على البحث عن المسيحيين ومطاردتهم.

الشهداء - هلك آلاف من المسيحيين خلال قرنين ونصف نالهم الاضطهاد طول المملكة الرومانية وعمرها، وكان الهالكون من كل سن وجنس وطبقة فاليون الرومانيو تضرب أعناقهم؛ كما جرى للقديس بولس والباقيون يحرون ويرمون وحثرون وكثير ما يلقون للحوض الكاسرة تنهشهم، وإذا أبقوا عليهم يعانون بهم إلى الأعمال الشاقة في المناجم وكثيرا ما كانوا يبادرون في عقاب النصراء بإيبداء وسائل لإهلاكهم من كل نوع ففي المقذلة العظمى التي وقعت في سنة 171 أخذ المسيحيون بعد أن عذبوا وسجنا في مطابض الضيق إلى الصلب فأخذت الحيوانات الكاسرة تمزق أوصالهم، ولا تقتلهم، ثم أجلسهم على كراسي من حديد محمأ بالنار وأذ قاموته فتها من الإيماء اسمها بلاندين إن تعذب على هذه الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها أمام ثور غضبان.

وكان المسيحيون يتلقو بسروحة هذا التعذيب الذي يفتح لهم أبواب السماوات وبرون فيه وسيلة إلى الاستشهاد علنا في حب المسيح، ولذل ذلك كانوا يسمون أنفسهم بالشهداء (أي الشهود) لا بالنفسيون وعقودتهم شهادة، بل إنهم كانوا ينظرون إلى تعذيبهم نظرا إلى قتال الألعاب الأولية ويربون إثمهم كالمصادر الظافر ينالون الضرار والناج، وما برحوا، حتى اليوم يحتفلون بعيد الشهداء وأعيادهم موافقة للأيام التي تقلوا فيها وكثيرا ما يكون أحد من يحضرون تعذيب أحد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقفه واستئنافه وتعذيبه، وهذه الكتابات على اختصارها طافية بالعبرة، وكانت تسمى أعمال الشهداء وتنتشر، حتى بين الطوائف البعيدة من أقصى المملكة إلى أقصاها، وما هي إلا مرادة للمجدد الذي أحرزه المعترفون بالإيمان الصحيح وداعية إلى الترغيب فيها.

الجري على مثالهم.
ولقد حدّ حب الشهادة بأنك من المسيحيين أن يعلنوا أمرهم بأنفسهم ويطالبوا بالحكم عليهم وأمر أحد حكام آسيا ذات يوم بإلقاء القبض على بعض المسيحيين فجنّة جميع مدن النصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين إليها محاصريهم فاستشاط الوالي غضبًا فقتل بعضهم وطرد الآخرين قائلًا "ارجعوا إليها الأسافل إن كنتم تحرصون كثيراً على الموت فقبل عندكم قبور تسعكم وحيال تقيدكم"، وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقبلون فيها اعمال الأرباب ليكونوا على دقة من أنهم يشقون، حتى قضت الحال أن تمنع الكنيسة مرات تعرض النصارى لنبيل الشهادة.

الدياميس- كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة ٢٢ إحرار الموت فأخذوا يدافعون موتاهم كلاليهود ٢٢٠ نوابيس بعد أن يكلفونهم ٢٢٠ أركان فاحتوا إلى قبور وأخذ مكان الأرض غالبة النمن جدًا نزل المسيحيون إلى تحت الأرض وحضوا ٢٢٠ الأرض الرخوة التي كانت رومية قائمة عليها دهايلز طويلة وغرفاً أرضية، وهناك كان المسيحيون ٢٢٠ مقاصير احتضروا على طول الحواجز يدافعون موتاهم وأخذ لكل جيل يحتضر نفسه دهايلز جديدة صارت تحت الأرض مع الزمن مدينة أرضية سموها الدياميس ومثل هذه الدياميس مكان ٢٢٠ نابولي وميลาน والإسكندرية إلا أن أشهرها ديايميس رومية، وقد فتحت ٢٢٠ أياماً فأرها فيها ألوهاً من القبور والكتابات النصرانية وياكتشف هذا العالم المدافن تحت الأرض نشأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية، وهو علم الكتابات والأثار النصرانية، وقد شهد أن قاعات المدافن ٢٢٠ الدياميس متقوشة برسم بسيطة وصور ولكنها تمثل مشهد واحدة إلا قليلاً، وهي إما أن تصور المؤمنين من المسيحيين ٢٢٠ الصلاة أو الراعي الصالح، وهو رمز للمسيح، وكانت بعض هذه القاعات أشبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القدسيين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا ٢٢٠ أن يدافعوا ٢٢٠ جوارهم، وكانوا يأتون كل سنة لتناول الأسرار وعكبر ما اتجأ المسيحيون ٢٢٠ رومية خلال اضطهادات القرن الثالث إلى هذه الكنائس الأرضية

٢٥٩
قسطنطنين

تغلب النصرانية - مضى القرنان الأولان للميلاد والسيحيون ضعاف الشأن في الإمبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوقة والعملة والعبيد المستقيمين والعبيد ممن يضيعون في عمار الناس بالمدن الكبرى، وقد مضى زمن وطبيعة العالمة تنكر وجودهم، حتى إن سويتون في القرن الثاني لم تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح، قال: إنه رجل اسمه كريستوس يلقى الاضطراب بين سكان رومية، ونا أخذ الأغنياء والأدباء يعنون بأمر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم إلا ليهزموا به، ولا يذكرونه إلا أنه دين فقراء وجهله وإذ جاءت النصرانية لمساكن هذا العالم بأن وعدتهم الجزء من هذه الحياة في الآخرة أكثر أشياءها والقائلون بالتدب بنها، ولم تحل الاضطهادات دون انتشارها، بل قوتها ويعتبر صممتها، فقد كان المسيحيون يقولون إن دم الشهداء نذر للمسيحيين، ولقد ظل الاهتمام إلى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث عمياء بين رجال الأسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط، وما جاءت أوائل القرن الرابع إلا، وقد أصبح الشرق نصفه، أي: البلدان التي تتكلم باللغة اليونانية مسيحيا بأسره.

وكانت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطنين مسيحية فجعلتها الكنيسة مصاف القديسات، ونا زحف هذا الإمبراطور على مزاحمة ملكة رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المسيح، وكانت الغلبة التي كتبت له غلبة النصرانية فسمح للنصارى أن يقوموا بشعائر دينهم دون أن يعارضهم أحد (أبامه الصادق سنة 313)، ثم أخذ يعطى عليهم جهارا ومع هذا لم يتخل عن الدين القديم (الوثني) فإنها سكتت تراه يرأس مجلس أساقفة المسيحيين الأولى سكان يلقب بلقب الحبر الأعظم ويحمل على خوذته مسمارا من الصليب الحقيقي ونقوده منقوش عليها صورة رأس الشمس، وقد انشأ في مدينة القسطنطنية كنيسة نصرانية; كما أنه أنجبتا تذكارا لهذه الغلبة ومضى نصف قرن شكان فيه من
الصوب معرفة دين المملكة الرسمي في الإمبراطورية.

تنظيم الكنيسة - لم يخطر في بال المسيحيين، حتى في الأزمان التي نالهم فيها الاضطهاد أن يقبلوا سريان الإمبراطورية، ومنذ بطل اضطهادهم أصبح أساقفتهم حلاء الإمبراطور وعندما انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها إلى يومنا هذا فصار لكل مدينة أسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الأرض خاضعة لأسقف إبرشية، وكان في قطاع الإمبراطورية الرومانية أبرشيات وأساقفة على قدر ما فيها من مدن، وهذا هو السبب الذي من أجله سكان الأساقفة كثيرين والأبرشيات صغيرة في الشرق، وفي إيطاليا، حيث كثر عدد المدن، وعلى العكس في مدن غاليا فإنه لم يكن بين الرين والبربرة سوى 120 أبرشية ومعظمها ما عدا أبرشيات الجنوب الحكمة مكثوبة.

أصبحت حك المحافظة مقاطعة كنائسية وسمي أسقف العاصمة وأسقف المركز بعد رئيس الأساقفة وكثيرا ما ينظر إلى أسقف أعظم مدينة في بقية بأنه أرقي الأساقفة في تلك الأجزاء، وكان أساقفة المدينة الرئيسي بالشرق في القدس وإنطاكية والاسكندرية والأستانة يدعون بالبطاركة وفقهم صقلهم البابا أسقف رومية، وهو الرئيس الأعظم في الكنيسة، وفي هذا القرن أنشئت المجمع الدينية الكبرى، فكان في آسيا الصغرى أول مجتمع خاصة يجتمع فيها أساقفة ناحية من النواحي، وشكنتها، وفي سنة 324 دعا قسطنطين للمرة الأولى لميجماً دينيا عاما من أهل الأرض إلى مدينة نيقية في آسيا الصغرى فحضره 318 رجلا من رجال الكنيسة فتناقشوا في المسائل اللاهوتية وانشقوا الاعتراف بإيمان الكاثوليكي الذي سموه قانون نيقية ومازال المسيحيون ينشدونه إلى اليوم في قداس بكل واحد، ثم صكت الإمبراطور إلى عامة الكنيسة أن تمثل إرادة المولى التي تجلت فيما أجمع عليه المجامع العام، وكان هذا هو المجمع السكوني الأول وأصبحت القرارات التي تقررها المجامع شريعة يجب على المسيحيين قاطبة أن
يعملوا بها وسموها القوانين، أو القواعد ويتألف من مجموع هذه القواعد القانونية الكنائسية.

الملاحدة (الهراطقة)- نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يختلفون في أرادهم السواق الأعظم من أبناء الكنيسة و كثيرا ما اجتمع الأساقفة في بلاد ليعلنوا للمؤمنين أن المذهب الجديد باطل و كرهوه مبتدعا على الرجوع عنه، وإذا أبى يخرجه من الوحدة المسيحية، وقد يستجيش صاحب البدعة أعوانا يقتتنون بصحبة دعوته فلا يرون الرجوع عما وافقوا عليه ويظلون يدينون بما حكم المجمع برده من الأراء، ومن هنا نشات المعارضات والضancies الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتعلمين برأي الكنيسة (الأركوشكس) إذ كان المسيحيون ضعافا ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم إلا بالكلام والكتابة، ولكن لما أصبحت البلاد مسيحية كلها استحال النزاع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الأراء إلى اضطهاد الملاحدة و كثيرا ما تنشب منه حروب أهلية.

وتكدشت تنشأ جميع البدع في ذلك العهد بين يونان آسيا ومصر على يد أئذ من الأذكياء والسفسطائيين والمجادلين، وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم أسرار التثليث والتجسد، و وكانت بدعة آريوس أقوى جميع البدع فمن مذهبه أن الله الأب خلق المسيح وليس هو مثله فحكم المجتمع النقيب بهديه، ولكن مذهبته انتشرت في بلد الشرق عامة ومذ ذلك العهد ظل الكاثوليك والآريوسين يتنازعون بينهم أيهم يستتأثر بالسلطة في الكنيسة والحزب القوي يعزل وينفي و يحبس وأحيانا يدبح زعماء الحزب المخالف ومضى زمن والقوة للأريوسين، وقد تحزب لقولهم عدة من الإمبراطرة، ثم إن الأريوسية كانت تقوى بكثرة دخول البربراء في الإمبراطورية وتمتدهم بهذا المذهب ومعاضدتهم لأساقفته فقضي الكاثوليك زهاء مائتي سنة، حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع.
أواخر أيام الإمبراطورية

ما ذبح الجنود أخوة قسطنطين وأبناء أخته سنة 328 أقتل منهم طفل في السادسة من عمره اسمه جولين فجعله الإمبراطور نسيبه في آسيا الصغرى ورثاه على يد قيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء إلى قبر الشهداء ينشد المزمار ويتو东海 الكتاب المقدس أمام الشعب، ولما شرب رخصه له بالقدوم إلى الأستانة فأنشأه يدرس كتب بلغاء أثريوم و فلاسفتهم وأولع بأحد الفلسفة الإغريقيون فانصرفت نفسه عن النصرانية وأتمنى دروسه في أثينا وتعلمه فيها أسرار عالم الدين وباذن يحتفل بعبادة الأرباب فلقد المسيحون بالمرتفع.

كان جولين آخر من بقي حيا من الأسرة الإمبراطورية وإذا لم يكن للإمبراطور قسطنطين وارث برئ غير هذا أجمع أمره على أن يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش غرنيا (350)، وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وجاءت عصابة من الأثريون على مقربة من مدينة أوتون إلا لم يكن لجولين خبرة بالحرب انصرفت همته إلى درس الفلسفة فصرف نشأه بطولة يتعلم صناعة القرن والفرز وأنشأ يريض نفسه ويتمرر ويتلو سيرة مشاهير الفناء فلما تم له ذلك حمل على الألمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة فكتب له الظفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ ورخص أستكا الألمان ورحبوا يجتاون نهر البرين (357) وقضى جولين في غلباً ثلاث سنين أخرى وجعل متشأن بلدة لوتيس حاضرة الشعب البازني، وهي مدينة بعد جزيرة من جزيرة السين، ومكان يدعوه "لوتيس المحبوبة"، وهو أول من وصفها.

وي هذه المدينة أتاه أمر الإمبراطور أن يبعث إليه بقسم من جيشه إلى الشرق ليقاطع البربر الذين داهموا بلاد الإمبراطورية، فلم ير الجند أن يبتعدوا عن بلادهم إلى مثل تلك القاصية وأبوا أن يقاتلوه، ثم أخرجوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الأسلوب هو الذي يجري عليه المحاربون الغربيون في مباعة
كتب جولين إلى الإمبراطور برسته على أن يرتديه رصيفاً له ضابئ قسطنطين على جريذتين جولين يижبه على القسطنطينية، وكان قسطنطين قضى نحب قبل وصوله (1311).

ولما خلأ الجو لجولين وأصبح إمبراطوراً ولهدته أقام في الشرق وحاول أن يعيد الدين القديم (الوثنية) فأرجع إلى الكهنة أمالاكمهم ومناصبهم وأعاد تقديم النذور للأرباب، بل أصدر أمره إلى المسيحيين بأن يرجعوا المعابد التي كانوا حولها إلى سكان.

وأنشأ ينادض النصرانية مباشرة وأبى أن يعين المسيحيين في الوظائف وطرد المعلمين المسيحيين من المدارس قائلًا إنه لا يحق لهم أن يدرسوا مكتباً يذكر فيها اسم الأرباب، وهم لا يعتقدون فيها وسعى إلى إعادة الدين القديم إلى حالة بأن عهد إلى الكهنة أن يقرروا على العامة مواعظ ودروساً دينية إلا أن الزمن خانه فسافرة حملة على البارزين وغلبهم واصبح بسهم إحدى المعارك، وقيل: إنه صرح، وهو يجد بنفسه "لقد غلت يا عاليلي".

القضاء على الوثنية - لم يقض على دين السوقة القديم لأول مرة، فقد اهتدى الشرق إلى الحال، أما الغرب، فلم يبق مسيحيون إلا في المدن، بل الأمة ظلت هنا أيضاً حية الأنصام وذلتك: لأن الإمبراطرة الأول المسيحيين لم يريدوا أن يقضوا القضاء الأخير على دين المملكة القديم، بل صلىوا يحمون القسيسين المسيحيين، كما يحمون كهنة الأرباب يرازون المجامع الدينية ويقبون أحراراً عظاماً، وكان الإمبراطور فراسين سنة 384 أول من أوى أن يلقي بالحرف الأعظم إذ عزم التسامح في ذلك القرن بدأ براضهاد الدين الروماني منذ غدا غير رسمي وأطلال المقدس المقدس الذي كان يشتغل في رومية منذ أحد عشر قرن وطردت الكاهنات اللاتية سكن في معبد فستا، ويودن النار، كما خمدت واحتفل آخر مرة بالألعاب الأولمبية في بلاد يونان سنة 394 وعندئذ خرج الناساك في مصر من...
السوداء لينقصوا مذابح الأرباب المرورة ويجعلوا بقاياها لـ قبر أنبويس وسيراسيس وقام وارسل الأسقف السوري مقدم عصابة من الجند والمشؤدين فخرب معبد المشتري إولبيا وانشأ يجوب البلاد ويخرب المزارع فقتله الفلاحون جعلته الكنيسة من القديسين.

فما هو إلا قليل، حتى لم يبق عبد أوثان إلا القرى يأوون إليها فراراً من المراقبة، وهم فلاحون ممن بقوا يعبدون الأشجار المقدسة والينابيع ويجمون في المزارع البعيدة وأخذ المسيحيون يطلقون اسم الوثنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم إلى ذاك الحبد بالظرفاء وبيقي ذاك الأمر يطلق عليهم وهكذا اشتقت الحال على الوثنية في إيطاليا وغالباً وإسبانيا إلى أواخر القرن الرابع وطوي بساطها تحت طي السكوت.

التنظيم الجديد في الإمبراطورية رومية والقسطنطينية- خرب الغرب وقُل سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فأصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الإمبراطورية، وكان ديوكليس قد تخلى عن رومية وجعل عاصمته نيكوميديا في آسيا الصغرى، أما قسطنطين فتوسع في الأمر أكثر من ذلك فأنشأ رومية جديدة في الشرق، وسكتت القسطنطينية على رأس من البحر محل لا يفصل أوروبا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق مرض كثيرة الكروما والغلافات وتحت سماء صافحة الأديم وأنشأ طوارئ من الروم مدينة بيزانس، وكان لها من الألكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومرفاها المعروبة بقرن الذهب من أحسن مراقب العالم يؤوي 1300 سفينة ويمكن سده بسلسلة طولها 350 مترًا لئلا يتخطاه أساطيل العدو فهناك أنشأ قسطنطين مدينة الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل فيه أطرافها أسواراً عالية وانشأ فيها ساحتين أثرتين تحيط بهما أروقة وانشئوا فيها قصراً وملعباً ودور تمثيل واتفية وحمامات ومعابد وكنسية مسيحية.
ونزع قسطنطين من المدن الأخرى ما كان فيها من التماثيل والنقوش البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولأجل إسكانها نقل إليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت وألقاب تشريف للأسر الكبيرة التي تنتقل إليها وقرر؛ كما سكان الحال في رومية توزيع الحنطة والخمر والزيت على الناس وتوفر المشاهد والفرج لهم.

فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة العريضة على نحو ما يجب القيام فيه الشرق فيبدأ العمل بذلك في 4 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 326 واحتفل بافتتاحها في 11 أيار (مايو) سنة 320، ولكن استمرت بحيث تبقى على الدهر، فقد صبرت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون وقيت بمقام عاصمة أبدا والمملكة الرومانية تمر، ولا تزال إلى اليوم أول مدينة في الشرق.

وأما ترك الإمبراطور رومية لم تعد مقرا للحكومة وظل فيها مجلس أعيانها، وإن لم تعد له سلطة وقيت مزاراتها واحتفالاتها؛ كما بقيت إلى أواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم.

القصر - أخذ الإمبراطور الديني نزلوا الشرق التعبد بعاداته واتسروا يلبسون ثياباً ضافية من الحرير والقصب وجعلون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً باللؤلؤ ويتوجبون في قصورهم، حيث كانوا يجلسون على عرش من ذهب يخف بهم وزراهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشوف والخدم والموظفين والحرس، وعلى من ينال شرف الحظوة من مواجهتهم أن يسجد أمامهم ويرمز وجههم في الأرض علامة العبادة والخضوع ويطلقون عليه ألقاب "العولي" و"الجلالة". 

(32) صغيراً ما يتولى الإمبراطورية اثنان واحد في الشرق والآخر في الغرب، وإن تكون المملكة واحدة فالإمبراطور، وإن كان أحدهما ينزل الاستعانة والأخرى إيطاليا سكاناً يعني بأن يكون كشخص واحد. فكان القوم إذا خاطبوه أحدهما يخاطبونه بالجمع وفيقولون له: أنت ما تكلمنا!

 sistematically stream, but didn't hallucinate.
ويعاملونهم معاملة الأرباب وكل ما يمس أشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة ومجلس الإمبراطورية المقدس والخزانة المقدسة.

فكان عيش الإمبراطور في الإمبراطورية العربية (إيطاليا) من القرن الأول إلى الثالث أشبه بحياة حاكم، أو فارس. أما قصر الإمبراطور في الإمبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو أشبه بقصر ملك فارس. وقد أطلق على طريقة الحكم في الإمبراطورية الشرقية اسم الإمبراطورية الواطئة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالإمبراطورية العالية.

الموظفون - أصبح الموظفون أكثر عددًا مما كانوا ويحف بالإمبراطور جيش صغير من الخاص يحرسون قصره، وهناك حراس وقريناء ووصلاء وخدم وجلس عمال وحجاب وسعة وأمناء سرينقنسون إلى أربعة مكاتب وأصبح الموظفون في الولايات أكثر سوءاً وأخفقنا إذ رأى الإمبراطور ديوستسيوس الولايات متسعة فقسها إلى عدة قطع ففي غالياً مثلاً قسم ولاية ليبون إلى أربع وأكبتين إلى ثلاث وبعد أن كان في الإمبراطورية 44 ولاية أصبح فيها 17، ثم فصلوا الوظائف فجعلوا مع الولاية والوصلاء قواد عسكريين من دوكات وسكنية في الولايات الواقعة على التخوم.

وأصبح جميع الموظفين لا تصلهم أوامر الإمبراطور مباشرة فلا يخاطبون إلا كبار الموظفين رؤساءهم في خضع الولاة لقائدي حرس القبص والموظفون في الأشغال العمومية لحرب المدينة وجيدة الأموال إلى الكونت الذي يتولى الأعطال المقدسة والوصلاء للكونت المشرف على الأملاك والضباط إلى موالي الأجناد وجميع موظفي القصر يرجعون إلى مولي التشريفات وخدمة القصر إلى رئيس الغرفة المقدسة وهؤلاء الرؤساء مكامن الزراء.

وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها، فقد اعتقدنا أن نرى موظفين وقادة وحجباء ومهندسين على اختلاف أعمالهم التي يتولونها، ولكن واحد عمله الخاص ويرفع أمرهم إلى ناظر هو رئيس ديوانه، بل إن عندنا من النظارات أكثر.
المماضية، إلا أن هذه الأداة الإدارية التي أفندها لأنها نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس، ولمنروع عن حد الطبعة، فقد كانت الإمبراطورية الشرقية أنموذجاً لـ هذا المَبَاب واحتفظت به المملكة البيزنطية، ومن ذاك العهد حاولت جميع الحكومات المطلقة أن تنسج على منوالها لأن ذلك من التسهيل في العمل ما ينفع به من يتولون أعمال الحكم.

المجمع ـ الإمبراطورية الشرقية كنُِتت هذه الإمبراطورية في الحد الفاصل ـ تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع فخذة ملوك الشرق يتألف منهما سلطة لم يكن بها عهد إلى ذلك العهد، وهذه السلطة التي لم يسمع بمثلها تأتي على كل شيء يدها، فلم يعد سكان الإمبراطورية وطنين رومانيين منذ القرن الرابع، بل صاروا يدعون باللاتينية الإمبراطوريا (الخاضعون) وبالرومية "العبيد" فكانوا سكينهم من ثم عبيد الإمبراطورية ولكنهم يختلفون ـ القدر، وهم درجات ـ الشرف الذي يوليهم إياه مولاه ويرثونه أبناءهم وعليهم تلك المناصب بحسب درجاتها.

(1) أشرف الأشراح، وهم الأسرة الإمبراطورية.
(2) المشاهير، وهم وزراء رؤساء الدواوين.
(3) المبترون، وهم كبار أرباب المناصب.
(4) المجدون، وهم كبار الموظفين (ويدعون الأعيان).
(5) أهل الكمال.

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظيفته وأكثر الناس احتراماً الندماء والموظفون، حتى صاح أن يدعى ذلك العهد عهد اللفقات والتشريعات، وما قط شهد إلى، أي: حد تبلغ السلطة المطلقة إذا دعمها الجنون ـ الألقاب واميل إلى ترتيب أثر بالاختيار من القوانين وعليه، فقد كانت الإمبراطورية الشرقية مثالاً تاماً لجتمع بدار بالآلهة السماء والحكومة فنية ـ إرادة قبضها فحازت أكثر ما ينفع إليه، حتى اليوم أنصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد أشباع
الحرية زمنا طويلا تلحد التقاليد التي أبقتها إمبراطورية الشرق.

حكومة المدينة لم يعتن الرومان بجباية أموال الاعمال بانفسهم، بل قيام الإمبراطور يكتفي ببيان الخراج المطلوب من كل ولاية (وذلذاك كل خمس سنين - الغالب) ويكدهه، كما يريد ويعتمد الوالي على مدينة. ما يجب عليها إدارتها فحة حكومة المدينة هي التي تقدم البلغ المطلوب، وما دامت المدينة غنية يجيب الوالي خراجها موزعاً لهم بين السكان إذا عجزوا عن الدفع يتتحم على من تولوا الخراج أن يسدو الحاجز؛ لأنهم مسئولون عن الخراج وخزانة الإمبراطورية لا تنزل عن حقوقها.

ولقد كان منصب الجباية، حتى القرن الثالث مرغوبا فيه كانة من أسباب الشرف فيعد الجبايّي مدينة ضعف الشيوخ، رومية. وإذا افتقرت البلاد يعود منصب الجباية من المناصب التي تكسر مثولها فتتزو من النفوس فتراعي الإمبراطرة أن ينشئوا قانونا لعقاب من يأتي جباية الخراج فصار الجباي بكا يتولى ذلك رغم أنهه ويعجب على كل من يملك خمسة وعشرين فدانا من الأرض أن يكون أحد الجباية طوعا، أو كرها وكثير من الجباة كانوا يؤثرون أن يخرجوا عما يملكون من الأراضي ويهرموا ويدخلوا في سلوك الرهينة والجعيرة، أو الاستخدام والجندة فأصدر الإمبراطرة أوامرهم بالبحث عن هؤلاء الفقراء، وأن يعودوا إلى مدينتهم بالقوة، وقد جاء في أحد القوانين المسنونة أنهم عبيد الإمبراطورية.

فكانت الحكومة تحاول أن تبقى مجالس الشيوخ أيضاً المدن على هذه الكيفية واذا كانت تخرب بيوتهم بخراجها أصبح عدد الجباية أبدا مما كل، وكان مجلس الشيوخ يتتألف على عهد الإمبراطورية الغربية من مئة عضو، وفقة القرن الرابع نشبفت فتن في إحدى الولايات فأمر أحد الإمبراطرة أن يأتهو برؤوس ثلاثة من الجباة من كل مدينة فكتب إليه الوالي "لا يسع حكمكم أن يقرر ما الذي يجب أن يعمله المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الجباية".
المستعمرون وقع في الإمبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل إسبارطة وكرواتيا وإيطاليا، وهو أن يضمحل الأحرار ويخلفهم العبيد، ولم يبق في القرن ما يكفيه من الحراثين لجرم المدينة الرومانية لم تحرث، بل كانت آخذة بالماء، فقد كان عدد الوطنيين في القرن الأول زهاء مليون نسمة، وفي القرن الثالث (212)، وقد صدر أمر الإمبراطور بمنح جميع سكان الإمبراطورية حق الوطنية فصار الوطنيون الرومانيون يعدون بالملايين (32) ينون باضحلاح سائر سكان العالم، بيد أن الحكم الروماني سكن سبباً في اضحلاح شعوب المملكة، كما أضحلاح به من قبل أهل إيطاليا، وسكان يقتضي له كثير من الجنون و كثير من العبود.

ويهذا الحكم يفلح الأغنياء ويصعب على صغار أرباب الأمناك أن يقفوا أمام الكبار فيستخدمون في الجندي، أو يحترشون بيوتهم بأيديهم ويقتني صاحب الأمناك الواسعة أراضيهم، حتى أتي زمن لم يبق في بعض البلداء غير أملاك واسعة يحرثها العبيد وهؤلاء السكان من العبید لا يتجدون من عرض عرض من العوارض المألوفة إذ ذلك من مثل وراء وحرب وغارة برائرة وهلك جمهور من الحراثين في إحدى الأمناك تبقى الأرض بوراً.

فخلت القرى على التدريج، ولا سيما ما كان منها على التخوم من الناس، ولم يبق سكان إلا في المدن، بل صار في عدة أنحاء من المملكة قفار حقيقية خلت من السكان والعمران فانشأ الإمبراطورية يسكنون فيها عصابات من البربر ممن ضروهم وأسرهم ليحيوا بهم موات تلك القرى إلا أن هؤلاء البربر لا يملكون الأراضي، بل يستعمرونها فقط مثل الهيلوتين في إسبارطة ويخضى عليهم أن

(32) كان سكان المملكة يدعون بعضهم بالرومانيين منذ ذلك العهد وناذد البربر إلى عالياً لابيدا فيها عالبين بل رومانيين، حتى أن قبل الشعب في الشرق، حيث سكان السكان يتكلمون باليونانية يدعى إلى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني ومازالت إلى اليوم بلاد الأستانة تدعى روم إيللي.
يبقوا في الأرض التي أُنزلوا فيها لا يفارقونها، ولا أولادهم بحال يعودون إلى صاحب الأرض مالا مقررا فمن، ثم كانوا مستأجرين إلى الأبد بالقوة، وليس هذا النظام جديدا، بل سكان إيطاليا على عهد الإمبراطورية الشرقية أناس من الطوارئ من الأحرار الفقراء قيدوا أنفسهم خدمة صاحب ملك عظيم لينالوا منه أرضاً يزرعونها وزاد سواد هؤلاء الطوارئ زيادة كبيرة لما ضموا إليههم الأسرى من البربر.

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف إحياء أمة؛ لأن أولئك الحراثين كانوا يفرون، أو يهلكون، ويُبقي القرن الخامس بعد مرور الجيوش العظمى من المحرشين (داكيروايتا) خانق أراضي الملكة فرانك كبير تعذر على الإمبراطرة أن يسدوه ويقى غاليها واسبانيا وإيطاليا، ويُغرس وحده جزء من الأراضي بورا لقلة العاملين فيها وأقفر ولائيات التخوم، وقد اضحل الشعب الروماني في جميع حوض الطونة من سويسرا إلى البلقان منذ القرن السادس، فلم يكن تحل البلاد إلا أمم جرمانية، أو سلافية، حتى أن الفرنسا لم يجدوا البلجيكي غير قضر.

البرابرة. إن الجيش الروماني هذه الأراضي الحالية تستدعي سكانا جددا، فكان البرابرة يحاولون على البدو أن يختطوها، وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لا يصعب عليها أن تردهم على أعقابهم إلا أن الأمر في التجنيد صار إلى الصعوبة مكبهاجل المال وألف سكان الإمبراطورية حياة السكون، ولم يعودوا يهتمون بخدمة الجندية، حتى اضطرت الحكومة أن تطلب جندا من أكبار أرباب الأملاك فيأخذ هؤلاء بعض الطوارئ الذين يعملون أراضيهم، فكان هؤلاء المساكين المأخوذين بالقوة من وراء محاربهم جندا غير مكرس للقتال، وخدت الجنون منذ القرن الرابع من الضعف بحيث لا تستطيع حمل الدروع واستعاضت عن الخوذ بالقبعات.

وأصبح القدود يؤثر أن يستعملوا المحاربين من البربر؛ لأنهم يقاتلون بشدة.
على الأقل، وقد جنّدت الإمبراطورية في خدمتها منذ زمن جنوداً من الجرمنيين يتناولون جرائب ويطالبون بأسلحتهم، وكان أكثراً منهم الفرسان وآخذاً إمبراطرة الرومان في القرن الرابع يجدون منهم عصابات ينجلون مع نسائهم وأولادهم وخدمهم في أراض يهبونهم إياها على سبيل الجرابة ويحتفظ هؤلاء المحاربون النازلون في أرض رومانية بلغتهم وعاداتهم ويسلاحهم وزعمائهم ويدعون "الملحكيين"، وبلغ بالإمبراطور أنه أخذ يقبل منهم في جيشه شعوبًا برمتها مثل الزيغوت والبورتند، وسكان اجتازوا التحوم بالقوة أحيانًا، ثم أثروا أن يكونوا في خدمته على أن يقاتلوه فأصبحت إذ ذاك جيوش رومانية مؤلفة من شعوب ببرية يقودها قائد بريبي، وقد سكان الجيش الروماني الذي رد غارة أثليا سنة 51 مؤلفاً من الزيغوت والفرنجة والبورتند وصار كثير من القواد الروماني منذ القرن الرابع (سيلفانوس وآريوكيست) ومعظمهم في القرن الخامس (ممثل ستيفيكلون ورسيمير وأدواكتر) من أصل بريبي، ولم تعد الإمبراطورية الرومانية محمية إلا بأناس من المحاربين من البرابرة فاحتلها بعد أبناء جنسهم.
المحتويات

3
جملة للمغرب

5
البشر والشعوب

7
التاريخ

11
مصر

13
المملكة المصرية

16
ديانة المصريين

19
الصنائع

21
الأشوريون والبابليون

22
الأشوريون

28
أخلاقهم ودياناتهم

31
الفينيقيون

34
التجارة الفينيقية

40
الشعب اليهودي

48
الفرس - دين زردشت

57
اليونان - العناصر اليونانية
· أبطالهم
· العبادة
· إسبارطة - شعبها
· الترتيبات
· أثينا - الشعب اللاتيني
· الحياة المنزلية
· الحروب المادية
· الصنائع في بلاد اليونان
· الآداب - الخطباء
· الصنائع اليونانية
· حرب المورة
· تقدم إسبارطة
· عظمة ثيبة - إيبامينوداس
· عظمة مكدونية
· الحروب الأخيرة في اليونان
· الرومان - وصف إيطاليا
· الديانة
· الجيش الروماني
· فتح حوض البحر المتوسط
· عواقب الفتوح
- الانقلاب الديني والعقلي
- التبدل الاجتماعي
- الحياة السياسية
- إدارة الولايات
- قانون الأراضي
- مابوس وسيلا
- بومبي
- فتح بلاد الغال
- عاقبة الجمهورية
- أغسطس
- الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث
- المدينة الرومانية على عهد الإمبراطورية
- الحقول الرومانية
- النصرانية
- قسطنطين
- أواخر أيام الإمبراطورية
حضارة العرب
تاريخهما، علومها، أدانهما، إخلاقهما، عاداتهما

المؤلف: محمد الغانم
الناشط: العالم للنشر